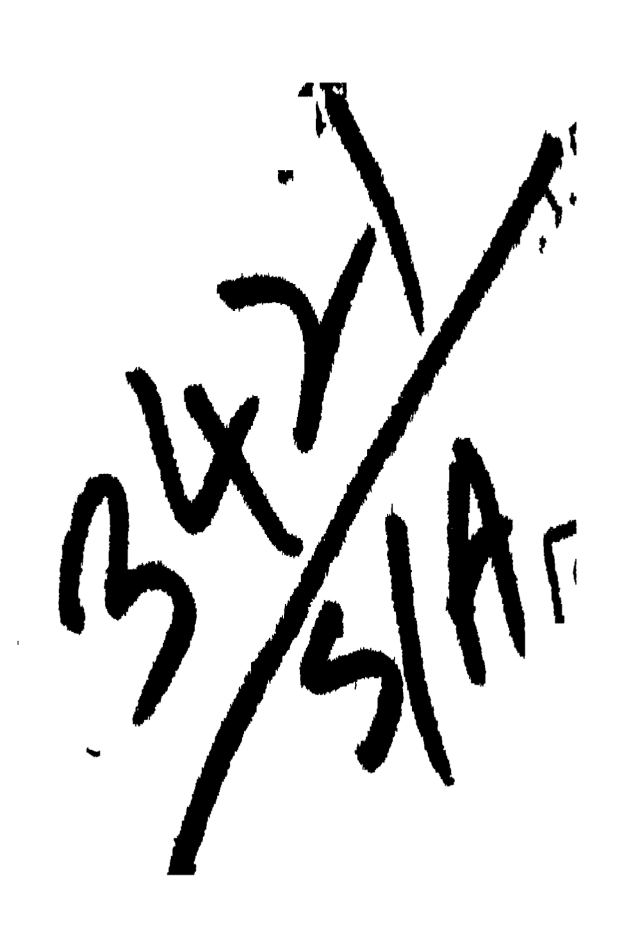


هذا الكتاب المقابسات

لأبي حيان التوحيدي

المتوفى سنة ۴۰۰

هجرية

وقد اهتم على طبعه لندرة وجوده الذي جمع المكارم واجتنب المساوي الميرزا أحمد ملك الكتاب الشيرازي دام علاه

آمين



اللهم اليك نرغب فيما انت اهله ومظنته ومعروف به ونلتمس منك ما انت واجده وقادر عليه وما هو اهل فيها
فهب لي بجودك ومجدك روح القلب بنور العقل وسكون البال ببصيرة النفس ورخاء العيش بإدرار
الرزق وصلاح الحال بفايض الخير وصواب القصد بثبات العقد وبلوغ الغاية بصحة العزم ونيل
المراد بدوام الصبر وبعد الصيت بحسن السيرة وبشاير بمرضى الطريقة وفاتن الاعجوبة براينب الحسن و
سلامة العاقبة بحيازة الفوز واكفنا من اللسان فلتته ومن الهوى فتنته ومن الشر خطرته ومن الرأي
غلطته ومن الظن خبطته ومن الطباع سورته ومن النقد علوته ومن الامر روبته ومن العدو
سطوته وجنبنا معاندة الحق ومجانبة الصدق وشراسة الخلق وملمة الخلق والفخر بالعلم والبهت
بالجهل والاستعانة باللجاج والاخلاد الى العاجلة والخفوق مع كل ريح واتباع كل ناعق حتى نوحدك
بسراير سليمة من الشرك ونقدس لك بالسنة نقية من الهجر ونتوجه اليك بقلوب صافية من الدغل
ونعبدك عبادة بريئة من الريا خالصة باليقين ونستجيب لك في كل سهل وعسير ونستريح اليك
في كل قليل وكثير ونحتمل فيك الاذى من كل صغير وكبير وحتى ان ما حرمتنا من المال والثروة تخفيف
عنا وما رزقتنا من الحكمة تشريف لنا وحتى نعتقد انك لم تسد الى احد من خلقك الا ما هو لايق بالاحتياط
والا ما هو اخذ باوفر الانصباء من عام جودك وسابغ نعمتك وحاضر صنعتك انك الله العزيز الحكيم
الجواد الكريم الرءوف الرحيم اطال الله حياتك واعز قدرك واكرم مثواك وقرن النجح بسعيك وضاعف
منا الحمد قبلك وادامها لك وذب عنها ما يكدرها عليك لم يذهب على حظي في البدار الى رسمك والشروع
الى طاعتك فيما اشرت اليه وحضضت عليه من تصنيف اشياء من الفلسفة وتهذيبها لك ونشرتها عليك
وخطبت بها رغبتك فيها ونشاطك لاقتنائها واضافتها اشياء اخر تجري معها وتدخل في طرازها وتقوى
عهدها وتدل على شرف جوهرها وانا فتحلها عن مشايخ العصر الذي ادركته والزمان الذي
لحقتهم فيه والله ما الومت على جمعها في كتاب واهديها اليك في اقرب وقت على اليسر وجد الاعتراف
هذه الدنيا واختلاف احوال اهلها وتقلب ظلالها وافيائها وخبث نجومها وانوائها وقلة يقظة ابنائها

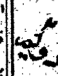
وابنائها

وابتدائها وانحطاط بعد رتبة باهلها وفساد حال بعد حال على المتعلقين بحبلها الحالبين لضرعها الناذبين
في عرانيها فقد اصبحنا في هذه الدار كانها هي قاع املس اوثرا مدرس لم يبق من يرضى هديه ويقتبس
علمه ويخطب عرفه ويقتفي جوده او يمتدح زنده او يستفاد لفظه او يتوخى مكانه او يعرف حلق اداب
من الاداب عليه او يباش بوجه من الوجوه اليه وما ذاك الا لتغلل القلوب ودخل الاعراق وخلوقة الدين
وغلبة القحة وارتفاع المراقبة وسقوط الهيبة ورفض السياسة والتبجح بالفحشاء والمنكر ولعمري ما
زالت الدنيا على سجيتها المعروفة وعاداتها المالوفة ولكن اشتدت مؤنتها وتضاعفت زينتها اليوم بفقد
السايس الصارم وبعد العابد العالم وبانقراض اهل الحياء والتكرم وبتصالح الناس على التعادي و
التظالم ولله جل وجهه وتقدس اسمه في هذا الخلق غيب لا يعرف ماديه ولا يفتح بابه ولا يقع القياس
عليه ولا يهتدي الاحساس اليه ومن اجله سقط الاعتراض ووجب التسليم والانقياد ودع هذا فهو
سلم طويل وفضاء عريض بل ما اخرجت حاجتك الى هذه الغاية مع تقاعسك بالتعريض والتصريح
والماحك بالغلاة والحشي وتلطفك بالشفيع بعد الشفيع الا لظني بانها تزيف على نقدك وتبهرج
بتقليبك ويبدو عوارها لعينك ويخجه عليها وعلي من يمنك من اجلها ما شئت من طعنتك ولا امنك في
السكوت ابقاك الله امان من هذا كله وليس القلم كاللسان ولا الخط كالبيان ولا ماين هب مع الانفاس
كما يبقى رسمه بين الناس فهذا واشباهه يقص جناح العزم ويغض طرف النشاط ويغطي وجه
الهمة ويكذب رايد الطمع ويلجلج لسان الراي الى ان قال لي بعض من اثق بخلته واستنير
بمشورته واستقبل مقاصدي برايه ينبغي ان تاتي لعلي ما اهلك ثلاث له وشرفك به وتخف الى مراده
وتعلم ان ايثارك لامره رشد واثرة وجمال وزينة وليس في فرش فضائل هؤلاء المشايخ ونقل
كلامهم عليك مؤنة ولا مشقة فادحة ولا كلفة شديدة ان لم تبلغ فيها ذروة الخاصة لم تقع منها الى حضيض
العامة بل ان لم يزد ما تحكيه عنهم رونق لفظ وبهاء وصف وتقريب بعيد وايضاح مشكل لم ينحسه
حظه من الحقيقة التي اليها انتهت المطالبة وعليها وقفت الارادة فخفض عليك وخفف عنك فما
بالامر كل هذه الصعوبة ولا بك كل هذا التبرم وقال ايضا قد علم الصغير والكبير ان كل انسان
يتنفس برئته وينشق بانفه ويبتاع بساعده ويسبق الى غايته ويعمل على شاكلته ويجري على قدر علمه
ونيته واجتهاده فوهب هذا قوة ولكن مدخولة واعطي نشاطا ولكن ضعيفا فاقبلت على ما
عرفتك من حالي وضيق صدري وفقد انسي وانسداد مذهبي اتالف ما شرد منها وانظر الى ما
انتثر عنها وارقع بجهدي وطاقتي شملها واحلي بوسعي واستطاعتي عطلها ومن بذل لك
مجهوده فقد حرم عليك ذمه ومن سعى الى مرادك شوطه فقد استحق منك ثوابه هذا في اوايل
التعارف وفواتح التناصف وارجو ان لا احبس بين ارادتي الخير لك واشتمالك بالكرم علي ان شاء الله
عز وجل



مقايسة سمعت ابا سليمان المنطقي يقول بالاعتبار تظهر
الاسرار وبتقديم الاختبار يصح الاختيار ومن ساء نظره لنفسه قل نصحه لغيره وكما تنظف الانية
من وسخ ما جاورها ولابسها وضر ما خالطها ودنسها لتشرب فيها ولتنظر اليها وتستصحبها

وتحفظها ولتكون غنيا بها ولا تزيل ها الا طاهرة نقية مجلوة ومتى لم تجد هاكذلك عفتها وكرهتها و
نفرت وطرحتها الا ان طبيعتك لا تساعدك عليها ونفرتك لا تزول منها واباؤك لا يفارقك من اجلها وتشعرتك
لا تذهب من شناعة منظرها وكذلك فاعلم انك لا تصل الى سعادة نفسك وكمال حقيقتك وتصفية
ذاتك الا بتنقيتها من درن بدنك وصفايها من لدر جملتك وصرفها عن جملة هواك وفطامها عن
ارتضاع شهوتك وحسمها عن الضراوة على سوء عادتك وردها عن سلوك الطريق الى هلكتك وتلفك
وثبورك واضمحلالك فاسعد ايها الانسان بما تسمع وتحس وتعقل فقد ارددت لحال نفيسة ودعيت
الى غاية شريفة وهيئت لدرجة رفيعة وحليت بحلية رايعة وتوجت بكلمة جامعة ونوديت من ناحية
قريبة **مقايسة اخرى** هذه مقايسة دارت فى مجلس ابى سليمان محمد بن طاهر



بن بهرام السجستانى وعنده ابو زكريا الصيمرى والنوشجانى ابو الفتح والعروضى ابو محمد المقدسى
والقومسى وغلام زحل وكل واحد من هؤلاء امام فى شانه وفرد فى صناعته سوى طائفة دون هؤلاء
فى الرتبة وهم احياء بعد فاستخلصتها بجهدى ورسمتها فى هذا الموضع وقد كادت تضيع فى جملة تعليق
كثير ضاع استحقت منه الحسرة والاسى ومن حق العلم وحرمة الادب وذمام الحكمة ان يستحمل كل
مشق دونها ويصبر على كل شديد فى اقتنايها وتحصيلها ولا انسب فضلا الى واحد منهم بعينه لان الكلام
بينهم كان يلتف ويلتبس وكانت المباهاة والمناسبة يدخلان فيه ويظهران عليه وينالان منه وهذا
من ذوى الطبايع المختلفة معروف ومن اصحاب التناقض معتاد ولو استتب القول بين سائل
ومسؤل لحكيت الحال مقربا ومبعدا ومصوبا ومصعدا ولكن الامر على ما عرفتك فكن عاذرى عند
خلل يتران ابيت ان تكون شاكرى عند صواب تظهر عليه ان شاء الله تعالى **قيل** لم خلا علم النجوم من
الفايدة والثمرة وليس علم من العلوم كذلك فان الطب ليس على هذا بل الناظر والشادى منه و
الكامل من اهله يقصد بالطب استدامة الصحة ما دامت الصحة موجودة وصرف العلة اذا كانت
العلة عارضة وكذلك النحو الذى قصد به الماهر فتق المعانى وصحة الالفاظ وتوخى الاعراب و
اعتياد الصواب ومجانبة اللحن على حدود ما فى غرايز العرب وطبايعها وسلايقها وكذلك الفقه
الذى قصد به صاحبه اصابة الحكم واقتضاب الفتيا وايجاب الحق ورفع الخلاف واقماع الخصم وحسم
مواد التنازع ورد اهله الى الرضى والتسليم وكذلك الشعر الذى منتهاه قايم فى نفس صاحبه ثابت
فى قريحته يجيش به صدره ويجود به طبعه ويصح عليه فوقه من مدح مامول وترقيق غزل وهجو
مسيئ واستنزال كريم وتوشية لفظ وتحلية وزن وتقريب مراد واحضار خدعة واستمالة
غرير وضرب مثل واختراع معنى وانتزاع تشبيه مع تصرف فى الاعاريض بين وقيام بالقوافى
ظاهر ومحصوله حاظر وفايدته عامة ونتيجته منجدية وثمرته دانية وغبه محمود وجدواه موجود وبه
صحت المعاملة وقامت الدولة وحرس الملك وجبى المال وامن الغبن وقام الديوان وقوى
السلطان وقرت الرعية واستفاضت السيرة واستمرت القضية هذا الى اسرار فيه عجيبة وغوامض
ترجع اليه شريفة وخواص لا توجد لغيره غريبة وكذلك البلاغة التى قد علم صاحبها وطالبها ما

ومعنى

ينتهي اليه ويقف عليه من تنميق لفظ وترويق غرض وتغطية مكشوف وتعمية معروف واختصار بينة واظهار بصيرة واختصارات و
تقليل بات وتالف شارد وتسكين مارد وهداية متحير وارشاد متسلع واقامة حجة وارادة برهان واستعادة ضريك وتلطيف
قول في عتب وتسهيل طريق في اعتاب وتهنية مسرور وتسلية محزون وتلهية عاشق وتزهيد راغب ونصح عن غرض وحسم
مادة مناطمع وقلب حال عن حال حتى تضم بها امور منتشرة وتندمل بها صدور منفطرة وتستبق بالاحوال متعاندة وتستمال بها حسرات نائية
وتخمد نيران ملتهبة وكالصناعات كلها كالهندسة في شرفها والهيئة في علو رتبتها وحدود هذه العلوم بعيدة وفوايدها جمة وليس هذا
القدر راتيا على حقايقها ولكنه مشير الى موضع المسالة والبحث عنها فقد وضح لكل ذي حس مفيد وعقل متأيد وراي صحيح وذكاء صريح ان
هذه العلوم كثيرة المنافع عامة المصالح حاضرة المرافق وان الناس لو خلوا منها وعروا عنها لتبدد نظامهم وانقطع قوامهم وكانوا نهبا
للكايد وحيارى طول الابد وليس علم النجم كذلك فان صاحبه وان استقصى وبلغ الحد الاقصى في معرفة الكواكب وتحصيل مسيرها واقترانها بينها
ورجوعها ومقابلتها وتربيعها وتثليثها وتسديسها وضروب مزاجها في مواضعها من بروجها واشكالها ومقاطعها ومطالعها ومشارقها
ومغاربها ومناصبها حتى اذا حكم اصاب وان اصاب حقق واذا حقق جزم واذا جزم ختم فانه لا يستطيع البتة قلب عين شيء ولا صرف امر الى امر
ولا تنقيل حال قد دنت ولا نفي ملمة قد كتبت ولا دفع سعادة قد اجمت واظلت اعني انه لا يقدر على ان يجعل الاقامة سفرا ولا الهزيمة
ظفرا ولا العقد حلا ولا الابرام نقضا ولا الاياس رجاء ولا الاخفاق دركا ولا العدو صديقا ولا الولي عدوا ولا البعيد قريبا ولا
القريب بعيدا وهذا باب طويل والحديث فيه ذو شجون وكان العالم بالحاذق فيه المتناهي في حقايقه بعد هذا التعب والنصب
وبعد هذا الكد والدأب وبعد هذه الكلفة الشديدة والمؤنة الغليظة مستسلم للمقدار ومستجدى بما يأتي به الليل والنهار
وعادت حالة مع علمه الكبير وبصيرته النافذة الى حال الجاهل بهذا العلم الذي انقياده كانقياده واعتباره كاعتباره ولعل توكل
الجاهل به احسن من توكل العالم ورجاؤه في الخير المتوقع والشر المتوقى اقوى وارسخ من رجاء هذا المدل بزيجه وحسابه وتقويمه
واصطرلابه قالوا ولهذا روى الصالحون ان الثوري لقي ماشاءالله فقال له انت تخاف زحل وانا اخاف رب زحل وانت ترجو
المشتري وانا ارجو رب المشتري وانت تغدو بالاستشارة وانا اغدو بالاستخارة فكم بيننا **قال** وهذا انوشروان و
كان من العقلاء الافاضل روي عنه انه كان لا يزيغ بالنجوم فقيل له في ذلك فقال صوابه شبيه بالحدس وخطاؤه شديد على
النفس هكذا ترجم وهو كما ترى قال فحتى افضى هذا الفاضل النحرير والحاذق البصير الى هذا الحد والغاية كان علمه عاريا
من الثمرة خاليا من الفايدة حائلا عن النتيجة لا عايدة ولا مرجوع وان اثرا اوله على ما قررنا وآخره على ما ذكرنا لحري بان لا يشغل
الزمان به ولا يوهب العمر له ولا يعار الهم والكد ولا يعاد عليه بوجه ولا سبب هذا اذا كانت الاحكام صحيحة ومداركه محققة و
ضمانه ملحقة ومعروفة محضة ولم يكن المذهب ما زعم ارباب الكلام والذين يابون تاثير هذه الاجرام العالية في هذه الاجسام
السافلة وينفون الوسائط والوسائل ويدفعون الفواعل والقوابل تحصلت حفظك الله المسئلة بعد تشذب الكلام فيها و
رعيتها جهدي من اولها الى اخرها بطولها وعرضها ودخلها ومخرجها ولا اشك في اطراف زلت عني عند اختلافها واقتباسها
وقد تقفت الجواب عنها على اوجز ما اجتهد في الاعراب عنها في هذا الموضع بمبلغ وسعي فاني بين فاتنة لا علم لي بها وبين
زيادة لا يطمئن متن الكلام لابها وكلتاهما خطة صعبة لولا كلف النفس بالعلم ومحبتها للفائدة لكان الاضراب عنها اذهب
عن العرض واصون للمقدار وابعد من استدعاء اللائمة ممن لعله لو اتى بهذا المقدار لكان عندي عظيم المنة حقيقا
بالشكر والمحمدة فاول ما قيل في ضد هذا الكلام هذه العلوم والمعارف كلها من آثار هذه الاجرام العلوية ومنها الخواطر
السريعة والبطيئة والمتوسطة على اشكال صحيحة دائبة واسباب على الطبيعة جارية ثم رجع الى الجواب فقال   عن هذا لا

المسئلة الا على هذا التهويل جوابان مختلفان من وجهين مختلفين احدهما هو زجر عن النظر فيه لئلا يكون هذا الانسان مع ضعف
مخيلته واضطراب غريزته وانفتات طينته وانبتات مريرته من ربه محادا متكبرا على عباده ظانا بانه ماقى في شانه قائم بجلده و
قدرته وحوله وقوته وتشميره وتقليصه وتجبيره وتجربيه فان هذا النمط يحجز الانسان عن الخشوع لخالقه والاذعان
لربوبيته عن التسليم لمدبره ويحول بينه وبين فرح الكاهل بين يدي من هو املك له واولى به واما الجواب الاخر فهو
بشرى عظيمة على نعمة جسيمة لمن حصل له هذا العلم وذلك الغيب لو اطلع عليه وثمر لو وصل اليه لكان مايجده الانسان فيه من الروح
والراحة والخير في العاجلة والآجلة يكفيه مؤنة هذا الخطب الفادح ويهينه عن تجشم هذا الكد الكادح فاجعل ايها المفكر لشر
هذا العلم بدلا لغيبك ما يخفى عنك خفيه وسكونه بك الا الله تقدس اسمه فيما استبان لك معلومه وصح عندك مظنونه
ثم قال اعلم ان العلم حق ولكن الاصابة بعيدة ولا كل صواب معروفا ولا كل محال موصوفا وانما كان العلم حقا والاجتهاد في طلبه
مبلغا والقياس فيه صوابا والسعي فيه محمودا الانتشال هذا العالم السفلي بذلك العالم العلوي واتصال هذه الاجسام
القابلة بتلك الاجرام الفاعلة واستحالة هذه الصور بحركات تلك المحركات المتشاكلة بالوحدة واذا صح هذا الاتصال والتشابك
وهذه الحبائك والربط صح التاثير من السفلي بالمواصلات الشعاعية والمذائبات والاحوال الخفية والجلية واذا صح
التاثير من المؤثر وقبوله من القابل صح الاعتبار واستتب القياس وصدق الرصد وثبت الالف واستحكمت العادة
وانكشفت الحدود وانثالت العلل وتعاضدت الشواهد وصار الصواب غامرا والخطأ مغمورا والعلم جوهرا راسخا
والظن عرضا زائلا ثم تشقق الكلام في وجوه مختلفة حتى كاد لا يحصل منه ما يكون تلو المسئلة والجواب ولم ازل ارقى و
انفث واغزل وانكث حتى نظمت هذا الذي يربك في هذا المكان على تارك كثير وتعاند شديد وبين اول واخر
وصل وعجز وسلامة ودخل واقباس واقتباس ضمن جملة ذلك وجوهره لمن قيل هل تصح الاحكام ام لا تصح لكان من
محصول الجواب قال قائل الاحكام لا تصح باسرها ولا تبطل من اصلها وتلك ليست بالهوينا اذا انعم النظر ونشط
للاصغاء وصمد نحو الفائدة بغير متابعة الهوى وايثار التعصب لان الامور الموجودة على ضربين ضرب له الوجود
الحق فالامور الموجودة بالحق قد اعطت الباقية نسبة من جهة الوجود وانجحت منها حقيقة ذلك فالحاكم بالاعتبار
الفاحص عن هذه الاسرار ان اصاب فبنسبة الوجود الذي لهذا العالم السفلي من ذلك العالم العلوي وان
اخطا فيما فات هذا العالم السفلي من ذلك العالم العلوي والاصابة في هذه الامور السيالة المتبدلة عرض والاصابة
في امور الفلك جوهر وقد يكون هناك ما هو كالخطاء ولكن بالعرض لا بالذات كما قد يكون ههنا ما هو كالصواب والحق
ولكن بالعرض لا بالذات فبهذا صح بعض الاحكام وبطل بعض الاحكام ومايكون اياه لهذا الفصل وشاهدا قويا ان هذا العالم
السفلي مع تبدله في كل حال واستحالته في كل طرف ولمح متقبل لذلك العالم العلوي شوقا الى كماله وعشقا لجماله وطلبا
للتشبه وتحقيقا بكل ما امكن من شكله فهو بحق التقبل يعطي هذا العالم السفلي ما يكون مشابها للعالم العلوي
ومن هذا الباب يقبل الانسان الكامل من البشر من الملك ويقبل الملك من الباري وكذلك تقبل الطبيعة النفس
النفس للعقل والعقل للباري **قال** اخر وانما وجب هذا التقبل والتشبه لان وجود هذا العالم وجود متهافت
مستحيل لا صورة له ثابتة ولا شكل دائم ولا هيئة معروفة وكان من هذا الوجه فقيرا الى ما يمده ويشده ويمسكه
وسوسه فهو موجود ثابت مقابل لذلك العالم الموجود الثابت وانما عرض ما عرض لان احدهما مؤثر والاخر
قابل فبحق هذه الرتبة ما وجد التباين وبحق تلك الرتبة ما وجد التواصل **وقال** اخر وقد يجفل مع هذا

كله المنجم (عن) اعتبار حركات كثيرة من اجرام مختلفة لانه يعجز عن نظمها وتقويمها ومزجها وتسييرها وتفصيل احوالها
وتحصيل خواصها مع بعد حركة بعضها وقرب حركة بعضها وبطئها وسرعتها والتفات صورها والتباس مقاطعها و
تداخل اشكالها ومن الحكمة في هذه الاغفال ان الله تقدس اسمه يتميز بذلك القدر الفضل والقليل الذي لا يؤبه
له والكثير الذي لا يحاول البحث عنه امر المركب في حساب الخلق ولا سيما علموا فيه القياس واختلط بالتقدير والتوهم **قال** و
ههنا حكم هذا الحاذق في صناعته لهذا الملك وهذا الماهر في علمه لهذا الملك ثم يلتقيان فتكون الدائرة على احدهما
مع شدة الدفاع وصدق المصاع هذا وقد حكم له بالغلب والظفر قال في هذا الموضع النوشجاني انما يوقع احد الحاكمين
لاحد الملكين لا من جهة غلط في الحساب ولا قلة مهارة في العمل ولكن يكون في طالعه ان يصيب ذلك الحكم ويكون في
طالع ذلك الملك لا يصيب منجمه في تلك الحرب فمقتضى طالعه وحال صاحبه يحول بينه وبين الصواب ويكون الآخر مع
صحة حسابه وحسن ادراكه قد وجب في طالع نفسه وطالع صاحبه ضد ذلك فيقع الامر الواجب ويبطل الآخر الذي ليس (بواجب)
وقد كان المنجمان من جهة العلم والحساب اعطيا الصناعة حقها وقاما عليهما ووقفا موقفا واحدا على غير مزية بينة
ولا علة قائمة **قال** ابو سليمان ما احسن هذا وطالما يسكت عن هذه المسئلة فانقضت عن جوابها قالوا ولولا هذه
المشيئة المدفونة والغاية المستترة التي استاثر الله بها لكان لا يعرض هذا الخطأ مع صحة الحساب ودقة النظر وشدة الغوص
وتوخي المطلوب وتبع غلبة الهوى والميل الى المحكوم له وهذه البقية دائرة في امور هذا الخلق فاضلهم وناقصهم (وسطهم)
وفي دقيقها وجليلها وصعبها وذلولها ومن كان له من نفسه باعث على التصفح والنظر والتميز والاعتبار وقف على (ما)
اومأت اليه عن كثب وسلم من غير شك ولا صخب ثم قيل وللحكمة جليلة ضرب الله دون هذه العلل بالاسداد وطوى
حقايقه عن اكثر العباد وذلك ان العالم بما سيكون ويحدث ويستقبل علم خلق للنفس واقع عند العقل فلا احد الا و
هو يتمنى ان يعلم الغيب ويطلع عليه ويدرك ما سوف يكون في غد ويجد سبيلا اليه ولو دل السبيل الى هذا الفن لرأيت
الناس يهرعون اليه ولا يؤثرون سبيلا اخر عليه لحلاوة هذا العلم عند الروح ولصوقه بالنفس وغرام كل احد به و
فتنة كل انسان فيه فضيحة من الله لو يصح هذا الباب ولا انكشف من دونه الغطاء حتى يرتقي كل احد ووضع ويلزم مرحله و
يرغب فيما هو اجرى عليه وانفع له اما عاجلا فقد علمت ان علم ما يكون احب الى جميع الناس من كل فقه وكلام وادب و
هندسة وشعر وحساب وطب لان هذه رتبة الاهية وهي الفاصلة الكبرى فطوى ، الله عن الخلق حقايق الغيب
فنشر لهم نبذا منه وشيئا يسيرا يتعللون به ليكون هذا العلم محروما عليه كسائر العلوم ولا يكون مانعا عن غيره **قال**
ولولا هذه البقية التي فضحت الكاملين واعجزت القادرين لكان تعجب الخلق من غرائب الاحاديث وعجائب الضروب
وظرايف الاحوال عبثا وسفها وتوكلهم على الله لهوا ولعبا **ثم قيل** وهذا يتوضح بمثال وليكن ذلك المثال ملكا في زمانك
وبلادك واسع الملك عظيم الشان بعيد الصيت شايع الذكر معروفا بالحكمة مشهورا بالحزامة متصل اليقظة قد صح عنه
انه يضع الخير في موضعه ويوقع الشر في موضعه عنده جزاء كل سيئة وثواب كل حسنة قد رتب لبريده واصلح (لاوليا)
له وكذلك نصب لجبايته اموال القوم الناس به وكذلك لعمارة الارض انهض الناس بها وانصحهم فيها وشرف آخر بحجابته
لحضرته وآخر بخلافته ووزارته في حضره وسفره اذا نظرت الى ملكه وجدته موزونا بسداد الراي ومحمود التدبير و
اولياؤه وحواليه وحاشيته بين يديه وكل يخف الى ما هو منوط به ويستقصي طاقته فيه ويبذل وسعه دونه والملك
يامر وينهى ويصلك ويورد ويحل ويعقد وينظم ويبدد ويعد ويوعد ويبرق ويرعد ويقدم ويؤخر ويخلع ويهب

ويعاقب ويثيب ويغفر ويغضي ويحسن ويسيء وقد تأمر صغيرا وليائه وكبيرهم ووضيع رعاياه وشريفهم ونبيه الناس
خاملهم ان الراي الذي يطلق بامره كذا وكذا اصدره من الملك الى كاتبه لانه من جنس الكتابة وعلائقها وايدخل في شرايطها و
وتانقها والراي الاخر صدره الى صاحب بريده لانه من احكام البريد وفنونه وما يجري في كايته والامر الاخر القي الى صاحب المعونه
لانه من جنس ما هو مرتب له ومنصوب من اجله والحديث الاخر صدره الى القاضي لانه من باب الدين والحكم والقضاء في كل
هذا مسلم اليه ومعصوم لا يفتات عليه في شيء ولا يستبد بشيء دونه فالاحوال على هذا كلها جارية على ادلائها وقواعدها في
مجاريها لا يزل منها شيء الى غير شكله ولا يرتقي الى ما ليس من خليقته وهكذا ما عد جميع ما حدثناه باسمه وحكيناه برسمه فلو وقف رجل له من المزيد
نصيب من الفطنة قسط على هذا الملك العظيم او على هذا الملك الجسيم وسدد فكره وجد وهمه وصرف ذهنه وتصفح حالا حالا وحسب
شيئا شيئا وقدر امرا امرا وتامل بابا بابا وتخلل شيئا شيئا ورفع سجفا سجفا وتقفر وجها وجها لامكنه ان يعلم ما يتم له هذا النظر
ويتيسره هذا القياس ويصل هذا الحدس ويقع عليه هذا الامكان لما يستعمله هذا الملك غدا ويسلبه بعد غد وما ينقله
به الى شهر وما يكاد يكون منه الى سنة وسنين لانه على الاحوال ملنا ويجلوها جلوا ويقايس بينها قياسا ويلتقط من الناس لفظا
لفظا ولحظا لحظا ويقول في بعضها يترك كذا وكذا او يفعل كذا وكذا وهذا يلك كذا او كذا واما هذه الجراة على هذا الحكم
والبت لانه قد ملك لحظ الملك ولفظه وحركته وسكونه وتعريضه وتصريحه وجده وهزله وسجيته وتجعده واسترساله و
وجومه وتثاقله وانقباضه وانبساطه وغضبه ورضاه ونادره ومعتاده وسفره وحضره وبشره وقطوبه ثم يحبس في
نفس هذا الملك يوما هاجس ويخطر بالخاطر فيقول اريد ان اعمل عملا واؤثر اثرا واحدث حالا لا يقف عليها اوليائي
ولا المطيفون بي ولا المختصون بقربي ولا المتعلقون بحبالي ولا احد من اعدائي والمتبعين لامري والمحصين لانفاسي
والمترقبين لعطاسي ونعاسي ولا ادري كيف اقترحه لاني متى تقدمت في ذلك بشيء الى كل من يلوذ بي ويطيف بنا حتى
كان الامر في ذلك نظير جميع اموري وهذا هو الفساد الذي يلزمني تجنبه ويجب علي التيقظ فيه فيقدح له الفكر الثاقب
والذكاء اللاهب انه ينبغي ان يتاهب للصيد ذات يوم ليتقلد مريد ذلك ويذيعه ويطالب به فيأخذ اصحابه وخاصته
في اهبة ذلك واعداد الالة فاذا تكامل ذلك له اصحر للصيد وتشوف له وتطلب في البيداء وصمم على بعض ما يلوح له وامعن
قبله وركض خلفه جواده وشدد في طلبه بلاده ونهى من معه ان يتبعه حتى اذا اوغل في تلك الفجاج الخاوية والمدارج
المتنائية وتباعد من متن الجادة وواضح المحجة صادف انسانا فوقف عليه وحاوره وفاوضه فوجده حصيفا محصلا
يتقدحهما ويتنقد افهاما وقال له افيك خير فقال نعم وهل الخير الا في وعندي والا معي لو الي ما بدا لك وحلني وذلك
فقال له ان الواقف عليك والمكلم لك ملك هذا الاقليم فلا ترع واهدأ ولا تقلق فيشكر له عند سماع هذا ويقول السعادة
فيضمنني لك والجد اطلعك علي فيقول له الملك اني اريد ان اصطنعك لا رب في نفسي وابلغ بك ان بلغت ذلك لي واريد
منك ان تكون عينا على نفسك زكية وصاحبا لي نصوحا فتعمل بذلك بجهدك ووسعك والموسرى عن مسالح اولك
فضلا عما خلا ذلك فاذا ابلغ منه غاية الوثيقة والتوكيد القى اليه بجرته وبجرته وبعثه على السعي والنصح وتحري الرضى وصام
بما احب واحكمه وازاح علته في جميع ما يتعلق المراد به ولا يتم الا بخصوصه ثم ثنى عنان دابته الى وجه عسكره واوليائه و
لحق بهم وتعلل بقية النهار في قضا وطره من صيده ثم عاد الى سريره في داره ومقره في ملكه وليس عند احد من
رهطه وبطانته وغاشيته وحاشيته وخاصته وعامته علم بما القاه سره الى ذلك الكهل الصحراوي وبما عاد نفسه
الناس على سكناتهم وغفلاتهم حتى اصبحوا ذات يوم عن حادث عظيم وامر جسيم وشان هايل وعارض محير وكل

قويا

عند ذلك يقول ما اعجب هذا من فعل هذا أمتى تهيأ لهذا من لم تصد لهذا من انتصب لهذا وكيف ثم هذا صاحب البريد و
ليس عنده منه اثر وهذا صاحب المعونة وهو عن الخبرة بمعزل وهذا الوزير الاكبر وهو متحير وهذا القاضي وهو متفكر وهذا
حاجبه وهو ذاهل وكلهم عن الامر الذي وهم مشدوه وهو بينه معجب وقد قضى الملك مأربه وادرك حاجته واصاب طلبته وبلغ
غايته وانفذ ما يريد ونال اريكن الا ينظر هذا المنجم الى زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر والى البروج وطباعها
والراس والذنب وتقاطعهما والهيلاج والكدخداه والجميع ما ادى الى هذا او قارب وكان له فيه نتيجة وثمرة فيحسب ويمزج ويركب
ويقلب عنده اشياء كثيرة من ساير الكواكب التي لها حركات بطية واثار مطوية فينبعث بما اغفله واهمله واضرب عنه ولم يتسع له ما
يملك عليه حسه وعقله وفكره وبه وبيته حتى لا يدري من حيث اتى ولا من اين دهي وكيف امتزج عليه الامر واشكل دونه الطلب
وفاته المطلوب وغرب عنه الراي هذا ولا خطأ في الحساب لا تقصير في الحق وهذا كله يلاذ بالله عز وجل في الامور ويعلم انه الله
الله هو رب ومدبر الخالق وصاحب له واعى والعواين والعالم على كل نفس والحاكم عند كل نفس انه اذا شاء نفع واذا شاء ضر و
اذا شاء عافى واذا شاء اسقم واذا شاء اغنى واذا شاء افقر واذا شاء احيا واذا شاء امات وانه كاشف الكربة والمونس في الغربة وانيس
الجلى الغمة وصارف الازمة ليس فوق يده يد وهو الاحد الصمد على الابد والسرمد **وكنت** سمعت الحراني الصوفي يقول قديما
بمكة وكان شام شيئا من الحكمة وعرف نذرا من حديث الاوايل فقال هذه الامور وان كانت منوطة بهذه العلويات مربوطة بالفلكيات
عنها تحدث ومن جهتها تنبعث فان في عرضها ما لا يستحق ان ينسب الى شيء منها الا على وجه التقريب قال ومثال ذلك ملك له سلطان واسع
ونعمة جمة ويفرد كل احد بما هو لايق به وما هو ناهض فيه فيولي مثلا بيت المال خازنا امليا كافيا ثم ما يفرق على يده ويجمع على يده ثم ان
هذا الملك قد يضع في هذه الخزانة شيئا لا علم للخازن به وقد يخرج منها شيئا لا يقف الخازن عليه ويكون هذا منه دليلا على ملكه
واستبداده وعلى تصرفه وقدرته الى هاهنا كان كلام الحراني ومثله هذا وان كان نظير المثل الاول فانه شاهد له وجار معه **وقيل**
ايضا في عرض الانسان الذي كان بين اوليك المشايخ ما هو زجر عن تعاطي هذا العلم ومانع عن التحقيق بباب الحكم لما كان علم النجوم
وصاحب الشغف بالاحكام يريد ان يقف على حدث الزمان في مستقبل الوقت من خير وشر وخصب وجدب وسعادة و
نحس وولاية وعزل ومقام وسفر وغم وفرح وفقر ويسار وصحبة ونبض وجاه وصلاح وعافية وسقم والفة وشتات وكساد
ونفاق واصابة واخفاق وراحة ومشقة وقسوة ورقة وتيسير وتعسير وتمام وانقطاع والتيام وانصداع وافتراق واجتماع
اتصال وانبتات وحياة وممات وهو انسان ناقص في الاصل زايد في الفرع لا ترتفع نقصانه في الاصل لان نقصانه بالطبع وكماله بالعرض
وهذه الحال المخلوطة بالشيء المزوقة بالطين قد باري بارئه وجاري مجريه ونازع ربه وتتبع غيبه وتوغل علمه وتخلل حكمه وعارض
ما الكرم بالله نابذه هذا العلم وقصر قوته عن الانتفاع به والاستمتاع بمن شجرته واضافه الى من لا يحيط بشيء منه ولا يحلي بشيء في با
القبس والقطر وجعل غاية سعيه فيه الخيبة ونهاية علمه فيه الحيرة وسلط عليه في صناعته الظن والحدس في الحيلة والزرق في الكذب
والختل ولو شئت لرويت من ذلك صدرا وهو مثبوت في الكتب ومنشور في المجالس ومتداول بين الناس فبلغ همم اشباههم
حط رتبته ورده على عقبيه ليعلم انه لا يعلم الا ما علم وانه ليس له ان يتعلى بما علم على ما جهل فان الله لا شريك له في غيبه
ولا نذير له في ربوبيته وانه يونس بالعلم ليطاع ويعبد ويوحش بالجهل ليفزع اليه ويقصد عز وجل الاها وتقدس شأنا
اليه وتعالى ... الا ترى قال العروضي قد يقوى هذا العلم في بعض الدهر حتى يشغف به ويدان بتعلمه بقوة
سما ويته وتعمل فلكي فيكثر الاستنباط والبحث وتستبد العناية والفكر فتغلب الاصابة حتى يزول الخطأ وقد يضعف هذا العلم
في بعض الدهر فيكثر الخطأ فيه لشكل اخر يقتضي ذلك وحتى يسقط النظر فيه ويحرم البحث عنه ويكون الدهر حاظر الطلبة الحكم

به وقد يعتدل الامر في دهر آخر حتى يكون الخطا في وزن الصواب والصواب في قدر الخطاء وتكون الدواعي والصوارف متكافية ويكون الدين لا يحث على طلبه كل الحث ولا يحظر على طالبه كل الحظر **قال** وهذا انما اصح تعلق الامر كله بما يتصل بهذا العالم السفلي من ذلك العالم العلوي فاذن الصواب والخطا محمولان على القوى المبثة والانوار الشايعة والاثار الرايعة والعلل الموجبة والاسباب الموافقة **ورايت** اباسليمان يرتضي بهذا القول ويقوي هذا الراي **قال** النوشجاني انما القوم اختصروا الكلام وقربوا البغية فان الاطالة مصدة عن الفايدة ومصلة للفطنة والفهم هل تصح الاحكام فقال غلام زحل ليس عن جواب يتسبب على كل وجه فقيل ولم ويحك قال لان صحتها وبطلانها متعلقان باثار الفلك وقد يقتضي شكل الفلك في زمان لا يصح منها شيء وان غيص على دقايقها وبلغ الى اعماقها وقد يزول ذلك الشكل فيجيء زمان لا يبطل منها شيء فيه وان تورب في استدلال وقد يتحرك هذا الشكل في وقت الى ان يكثر الصواب فيها ويتقاربان ومتى وقف الامر على هذا الحد لم يثبت على قول قضاء ولا وثق بجواب فقال ابوسليمان هذا احسن ما يمكن ان يقال في هذا الباب وهو الذي من كلام الشيخ ابي محمد قيل بعد هذا كله فاما الجواب الذي هو كالبشرى بفائدة هذا العلم وثمرة هذه الحال على ما نقله من قول من قال انه الجماعة فهو ما اختم به هذه المقايسة ان شاء الله تعالى وانما اخترت الرواية قليلا لان كلام القوم اختلط اختلاطا مانع من اداء ما جرى على ذلك كنهه وخاصته بعضه بالطول وبعضه بالتحريف وبعضه بالدقة والغموض وبعضه بالكناية والتعريض ولولا اني خلعت الحيا خلعا وتصديت للوم تصديا في تحرير هذا الكلام على ما به من اضطراب اللفظ وانتشار المعنى وزيغ التاليف وتراخي الحكاية لكان ذلك كله منسيا في جملة ما نسي ومغمورا في غمار ما جهل وفائتا في عرض ما فات والعلم حرسك الله وحشي والحكمة نفور والبيان حرون والبلاغة ظنون والجهل صاحب والسفه طباع والعي الوف والقلب شعاع وعلى ذلك فقد نسقت في هذا الكتاب ما ان لم تكن فائدة لغيري لم يبعد ان تكون تذكرة لنفسي وتبصرة لمن يعرف معرفتي الى الله نشكو قسوة تلونا في ايثار الصدق وتحقيق العقد وتصفية الخلق ومما قد حل بنا ونزل بساحتنا من فقد الناصر واسلام المعين فنحن كما قال القايل افتضحنا فاصطلحنا **قال** بعض الحاضرين ان الله تعالى تقدس اخترع هذا العالم وزينه ورتبه وحسنه ووشحه ونظمه وهذبه وقومه واظهر عليه البهجة وابطن في اضعافه الحكمة وحققوا بكل ما طلبا العقول تصفحه ومعرفته وحشاه بكل ما حاشا النفوس الى تقليبه والتعجب من اعاجيبه وامتع الارواح بمحاسنه وابدع امور او استجن اسرار ثم حرك اوليك عليها حتى استثارتها ولقطتها واجتلتها وعشقتها وولهت عليها الا انها عرفت بها ربها وخالقها والاهها واضع وضايعها وناصرها وراشدها وحافظها وكافلها ثم انه تبارك وتقدس مزج بعض ما فيها ببعض وركب بعضه على بعض وسل بعضه من بعض ونسج بعضه في بعض فامد بعضه من بعض واحال بعضه الى بعض بوسايط من اشخاص واحساس وطبايع وانفس وعلوم وعقول وتصرف في ملكه بقدرته وحكمته لا معيب الفضل ولا مقلي الاختيار ولا مردود الحكم ولا مجحود الذات ولا مجحود الصفات وهو سبحانه مع هذا كله لم يستفد شيا ولم ينتفع بشيء بل استفاد منه كل شيء بحسب مادته المنقادة وصورته المختادة ولم يثبت بشيء وثبت به كل شيء ولم يختص بشيء وحضي به كل شيء فهو العالي القادر والجواد الواهب والمنيل المفضل والاول السابق والواحد المطلق فلما كان الباحث عن العالم العلوي يتصفح مكانه ومعرفته اماكنه واثاره ومواقعه واسراره متعرضا الان يكون مشابها للباري منتسبا بهذا الوجه المعروف استحال ان يستفيد بجلاله كما استحال وبطل ان يستفيد خالقه بعلمه لان نفسه لصق به وحكمه لزمه وحليته بدت منه وصفته عادت عليه وهيئته تعلقته هذه حال اذا فطن لها واشرف عليها ببصيرة ثاقبة وتحقق حقيقتها وتولى الخبرة بنفسه ما فيها

علم ١٢٢ فلسفة

علم اضطرارا عقليا انها اجل واعلا وانفس واسنى وارفع واوفى واعظم وازكى وادوم وابقى من جميع فوايد ساير العلوم
التي حازها اليك العالمون لان اولئك اعملوا فوايد علومهم فيما حفظ عليهم حد الانسان وخلقه ومادته وشهوته واخذوا في
اجتلاب نفع ودفع ضر ونقصت رتبتهم مشاكلة ومناسبة والتشبه بخاصيته والتحلي بحليته وكذلك نعبر الله نقصهم في
علمهم بفوايد نالوها ومنافع اخبروها واوطار قضوها بسببها فامامن اراد معرفة هذه الخفايا والاسرار في هذه الاجرام
والانوار على ماهيئت له وعينت عليه ونظمت به ورتبت فيه وزينت بمحاسنه فهو حري جدير ان يعري من جميع ما وجد منا
كل علم من المرافق والمنافع على ما اتسع القول به في فاتحة لهذه المقابسة وينفرد بحكم مرتبتها على ما هو عليه غير مستفيد به الا
فايدة ولا جدوى وهذه لطيفة متى وقف عليها حق الوقوف وتقبلت حق التقبل كان المدرك لها اجل من كل قلب ان علانيتها
بشريته صارت الاهية وجسميته استحالت روحانية وطينية انقلبت نورية ومركب عاد بسيطا وجزء حال كلا وهذا افق
قل ما يهتدى اليه وينتبه عليه ثم اني بعد هذا كله **قلت** لابي سليمان في خلوة ايها الشيخ تكررت في هذه المسألة كلمات
جافية بشعة مانية مكروهة لا اراها تسلم او تسلم قال ما هي قلت مثل قول القايل مشاكلة الباري ومناسبة الباري ومثل قوله نعته
لصق به وحكم لزمه وحليته بدت منه وصنعة عادت عليه **قلت** لعمري ان تقديس الباري يحق هذا كله ويذهب به ويطرحه
بتغيره ولكن اذا عرفه واشار اليه وكنى عن ربوبيته وافصح عن الاهيته لم يجد بدا من هذه الكلمات التي هي الطف ما في ملكه
واشرف ما في قوته والمراقي التي هي فوق المرام التي تتراسل بين الخلق في عباراتهم واشاراتهم لكنها مستعارة في حمى التوحيد
وحرم المعرفة مرفوعة المقادير عما يدنسها ويذيلها ويفسدها ويحيلها على عادة اهل اللسان في الاسماء والصفات والحروف
والاحداث وانما يوحي الى هذه الغايات بهذه العبارات ايماء لانها تفوت ذرع القول كما تفوت ذرع العقل وتسبق ظن
القايس كما تسبق وهم المستشعر وهذا اضطرار اشترك جميع اهل اللغات فيه عند اخبارهم عن الهتهم الا من كانت معرفته من
جنس معرفة العامة واستبصاره من قبيل استبصارها وعبارته في طريق عباراتها والعامة لا توحيد لها ولا تحقيق
معها ولا مبالاة بها **قلت** لابي سليمان في هذا الموضع حصل لنا في هذه المسألة جوابان احدهما زجر عن النظر في هذا
العلم على ما طال الشرح فيه والاخر على هذه الفايدة التي تكاد الروح تطير معها طربا عليها فهل يجوز ان نعتقد فساد
احد الجوابين وهو ما نهي عن التبصر فيه والاخذ بالحظ الوافر منه ليكون الجواب الاخر جامعا للوجوب لحق فقال الجوابان صحيحان
وذلك ان ههنا انفسا خبيثة وعقولا ردية ومعارف خسيسة لا يجوز لاربابها ان يتنشقوا ريح الحكمة او يتطاولوا الى غرايب
الفلسفة فالنهي ورد من اجلهم وهو حق والحال هذه الحال فاما النفوس التي قوتها الحكمة وبلغتها العلم وعلتها الفضايل و
عقدتها الحقايق وذخرها الخيرات وعمارتها المكارم وهمتها المعالي فان النهي لم يتوجه اليها والعيب لم يقع عليها كيف يكون
ذلك وقد بان بما كثر القول فيه ان فايدة هذا العلم اجل فايدة وثمرته احلى ثمرة ونتيجته اشرف نتيجة فليكن هذا كله كافيا عن سوء
الظن وكافيا لك عما وقع القول فيه وطال بين هؤلاء السادة الجحاجحة في الفهم والعلم والبيان والتصفح **هذا** ابقاك الله
اخر ما نقلت به من حكاية هذه المقايسة بين هذه الطايفة الفاضلة وقد اعتذرت اليك في خلالها مرارا من قصور لا حيلة
لي فيه ومن تقصير لم اقصد اختياري اليه وظني بايثارك لستر القبيح على اخوانك ونشر الجميل عن اصدقائك جميل والله كا
فيك ونعم الوكيل **مقابسة اخرى** جرى عند ابن سعدان يوما كلام في الاخلاق وحضره جماعة منهم عيسى بن ثقيف
الرومي وابو المسيح وغيرهما من مشايخ النصارى وكانوا متحرمين بالفلسفة ومحبين لاهلها وكان محصول ذلك مرارا

ان يكسب نفسه هيئة جميلة وسجية محمودة بتهذيب الاخلاق وتقويمها وتطهيرها من الادناس التى تعتريها تصعب امره وتتباين احواله

عسر ذلك وتعلسه والتوائه فيظن لذلك ان الامر الذى يحاوله ويعجز عنه وانه غير مقدور عليه فان الوصول اليه محال والاخر

استجابته لذلك وانقياده ومطاوعته وامكانه فيظن لذلك ان الغاية التى يؤمها باجتهاده وقصده ورايه وعزمه دانية معرضة سهلة

قريبة والمثال على هذا من الشاهد فى اخلاق الانسان موجود من اعتبار امر البدن وذلك ان الانسان اذا قصد لطافة بدنه وتدليك

اعضائه وتقليم اظفاره ونفى القذى عن عينيه وتسريح شعره وترجيل جمته وتنقية ارفاغه وازالة الدرن عن مغابنه بيده وبيد غيره والقيم

فى الحمام وغيره وقدر على ذلك ووجد السبيل اليه سهلا حتى يخرج من الحمام نافر البدن نقى الاطراف قد اكتسب صاحبه صباحة ونظافة

وهيئة وخفة ظاهرة من ثقل ما كان ركبه وما لازمه من الوسخ والدرن فان اراد بعد ذلك ان يحول فطسا مقوما نقيا وزرقة عينيه حورا والفقع

لسانه استمرارا اراد المحال وحاول المعجوز عنه وتوقف سوء الاختيار وحكم عليه بوار السعى وبطلان الاجتهاد ومع هذا فليس له ان

يباشر من اصلاح ما هو مستطاع لياسه من صلاح ما هو غير مستطاع وليس له ايضا ان يرجو صلاح ما ليس بمستطاع لاقتداره

على صلاح مستطاع **قطب** هذه الدائرة فى الاخلاق على ان تهذيبها وتطهيرها وردها الى مقارها وتسويتها وتعديلها من

الصعب العسير والممتنع المتعذر ولكنها مع هذا كله ممكنة من نفسها فى اشيا خاصة وفى مواضع معلومة بعض الامكان وضامنة

الاستحالة فيها بعض الضمان فعلى هذا لا ينبغى ان يطمع فى اصلاحها كل الطمع ولا يقطع الرجاء عن اصلاح الممكن منها كل القطع وكان

فى كلامهم حشو كثير حصلت خالص زبدته ما عرفت هاهنا وذكرته وجملة الناس من اول الدهر انما يتكلمون فى الاخلاق وعلى هذا

تدل الكتب السالفة والاشعار المتقادمة والمواعظ القايمة والمزاجر المترددة ومع ذلك كل من طبع على الجبن ليس تجيئ منه شجاعة ومن

طبع على الغيرة لم يمكنه ان يتغفل ومن وجد فى سوسه شيئا ابداه ومن كان فى قوته شيء اظهره ومن استكن فى مزاجه شيء لاصطلاح

رابه على الايام والاختبار فى الاشياء قوة ضعيفة تجد الاثبات لها مع الضرورة التى ترد قاهرة وتوافى مخبرة فان الاختيار

ايضا فى الاول من جملة تلك الضرورة فى عرض القسمة السما وبتروان اذن لم يبد او ظهر وسعى وسفر وان تكن الاخرى بطل حكمه ورسمه

وارتفع عيبه وفعله وقد شاهدنا من يمدح الجود ويحث عليه ويحسنه ويدعو اليه وهو ابعد الناس من العمل به والقيام بحكمه وقد

وجدنا من يلوم التغافل فى الحرمة وما يجرى معها ويبعث على الغيرة والصرامة فيها وخوض الدم من اجل عارض فى بابها وهو اشد

الناس غفلة عنها واكثرهم اختلالا لاجلها فكان ما يقوله احدهم ذاما وما دحا هو غير ما ينبغى ان ياتيه او يتركه مجتنبا وكان ابو سليمان

يقول كثيرا من اخلاق الانسان تخفى عليه وتطوى عنه وذلك جلى لصاحبه وجاره وعشيرته وهو يدرك اخفى من ذلك

على صاحبه وجليسه ومعامله وقريبه وبعيده وكانه فى عرض هذه الاحوال عالم جاهل ومتيقظ غافل وجبان شجاع وحليم

طايش يرضى عن نفسه فى شيء هو المغتاظ على غيره من اجله قال وهذا كله دليل على ان الخلق فى وزن الخلق وعلى نسبه

يجيسر منه ما يحيسر من هذا او يسهل من هذا ما يسهل من ذلك قلت له عند انتهاء الكلام فى هذا الحد ما الخلق قال شعار

قلت فما المحمود منه قال ما انشاته النفس الفاضلة فى المزاج المعتدل قلت فما المذموم منه قال ما ثوره الطبيعة فى مزاج متفاوت

والكلام فى الاخلاق مطرب وكل هذا الكتاب فيها ولهذا ما يجب ان يخطى وان امكن عدت اليها فى اثناء غيرها فالغرض كله

تقديرها بالقسطاس وتطهيرها من الادناس التى عليها جمهور هذا الخلق **مقابسة اخرى** سمعت ابن مقداد يقول

لابد فى وضع الناموس الالهى الذى يتوجه برافاضة الخير وترتيب السياسة وما يورث سكون البال ويحسم مواد الشر

ويوطد دعايم السنن ويبعث على تشريف النفوس وتزيين الاخلاق ويقرب الطريق الى السعادة المطلوبة ويواصل اسباب

الحكمة ويشوق الارواح الى طلب الحق وايثار العفة وتقديم دواعى العدل والنصفة والرحمة والكرمة من الاخبار التى تنقسم بين

ماهو صدق محض وبين ما هو صدق ممزوج وتكون الالفاظ التي تدور بها واللغات التي ترجع اليها كثيرة الوجوه سمحة عند
التاويل وانما وجب ذلك لأن الناس في اصل جبلتهم وبدء خلقهم واول نشأتهم قد افترقوا مجتمعين واجتمعوا مفترقين و
اختلفوا مؤتلفين وائتلفوا مختلفين واجسامهم متوقدة وظنونهم جوالة وعقولهم متفاوتة واذهانهم عاطلة وآراؤهم سايحة
وكل منهم منفرد بمزاج وشكل وطباع وخلق ونظر وفكر واصل وفرع واختيار والف وعادة وضراوة ونفرة واستحسان
واستقباح وتوقح وتقية واقدام وجسارة واعتراف وشهادة وبهت ومكابرة هذا سوى اعراض كثيرة مختلفة لا اسماء
لها عندنا خالصة ولا صفات متميزة **قال** ومثل هذا الكل رجل اصلح طعاما كثيرا واسعا مختلفا من كل لون وجنس
ومذاق ورائحة ووضع وتصعد وحرارة وبرودة وحلاوة وحموضة ونصبه على مائدة واسعة عظيمة فجمع فيه عدة جم
فمتى لم تكن المائدة ذات الوان مختلفة واطعمة مركبة متباينة في القلة والكثرة والملوحة والحرافة والرقة المتقد متى لم يقبل كل
انسان على ما يليق بشهوته الخاصة له ولم تمتد يده الى باللون الذي تدعو اليه العين لان للعين نوعا من الطلب ليس
للفم وللنفس بضا مثل ذلك اعني النفس المغتذية فهذا غير ما هو مطلوب النفس الناطقة من الترتيب المكرمة
والايناس والمحادثة **قال** فلما كان الناموس الالهي نصيحة عامة للكافة وجب ان يستعان عليها بكل ما يكون رداء لها وقرينا
معها وفارشا لما انطوى وموضحا لما خفي عنها وداعيا باللطف اليها وضامنا لحسن الجزاء عنها وهذا القدر كاف لما الصنعة ما
وقع التفاوض به ثقة على ما امكن والحمد لله وحده **مقابسة اخرى** قلت لابي بكر القومسي وكان كبيرا في الاوايل
باي معنى يكون هذا الزمان اشرف من هذا الزمان وهذا المكان افضل من هذا المكان وهذا الانسان اشرف من هذا الانسان
فقال هذا يشعر بافاضة الزمان الى سعادة شايعة وعز غامر وبركة فايضة وخصب عام وشريعة مقبولة وخيرات مفعولة ومكارم
موثرة من جهة شكل الفلك بما تقتضيه بعض دوايره وكذلك المكان اذا قابله اثر من هذه الاجرام الشريفة والاعمال
المنيفة واما الزمان الذي هو رسم الفلك بحركته الخاصة فليس فيه جزء اشرف من جزء وكذلك المكان لانه رديف الزمان
ولا سبيل في مثل هذه المسايل الى معرفة الحقايق الا بالامانة التي هي شاملة للعالم غالبة عليه من محيطه الى مركزه واما الانسان
فلا شرف له ايضا على انسان آخر من جهة حده الذي هو الحياة والنطق والموت لان الحد في كل احد واحد فاذن لا شرف
من هذا الوجه فان اعتبر بعد هذا افعل هذا او فعل ذاك من جهة الاختيار والايثار والاكتساب والاجتلاب فذاك يقف
على الاشرف فالاشرف والاعلى فالاعلى بحسب ما يوجد منظوما في نفسه نافعا لغيره واقعا موقعه الاخص منه
مقابسة اخرى قلت لابي بكر القومسي وكان كبير الطبقة في الفلسفة وقد لزم يحيى بن عدي زمانا وكتب لنصر الدولة
وكان حلو الكتابة مقبول الجملة ما معنى قول بعض الحكماء الالفاظ تقع في السمع فكلما اختلفت كانت احلى والمعاني تقع في النفس
فكلما اتفقت كانت احلى فقال هذا الكلام مليح وله قسط من الصواب والحق ان الالفاظ يشملها السمع والسمع حس ومن
شان الحس التبدد في نفسه والتبدل بنفسه والمعاني تستفيدها النفس ومن شانها التوحد بها والتوحيد لها ولهذا تبقى
الصورة عند النفس ثابتة وملكة وتبطل عند الحس بطولا وتمحى محوا والحس تابع للطبيعة والنفس منقلبة للعقل
وكانت الالفاظ على هذا التدريج والتنسيق من امة الحس والمعاني المقولة فيها من امة العقل فالاختلاف في الاول بالو
والاتفاق في الثاني بالواجب وبالجملة الالفاظ وسايط بين الناطق والسامع فكلما اختلفت مراتبها على عادة اهلها
كان وشيها اروع واجهر والمعاني جواهر النفس فكلما ائتلفت حقايقها على شهادة العقل كانت صورتها انصع واظهر
واذا اوفيت البحث حقه فان اللفظ يجزل تارة ويتوسط تارة بحسب الملابسة التي تحصل له من نور النفس وفيض العقل

خامس

٩

سادس

شهادة الحق وبراعة النظم وقد يتفق هذا التحويل للانسان بمزاجه الصحيح وطبيعته الجيدة واختياره المحمود وقد يفوته
هذا الوجه فيتلافاه بحسن الادب ابن سبق بهذه المعاني اليه فيكون اقتدائه حافظا عليه نسبة البيان على شكله العجيب
وصورته المعشوقة ومدار البيان على صحة التقسيم وتخير اللفظ ورتبة النظم وتقريب المراد ومعرفة الوصل والفصل

سابع توخي الزمان والمكان ومجانبة العسف والاستكراه وطلب العفو كيف كان **مقابسة اخرى** قيل لابي سليمان قد
جرى كلام في السر وطيه والبوح به وما السبب في ان السر لا ينكتم البتة فقال لان السر اسم لامر موجود وقد ضرب دونه حجاب
واغلق عليه باب فطيه الكتمان والطي والخفاء والستر منعه عن العرب وهو مع ذلك موجود العين ثابت الذات محصل
الجوهر فباتصال الزمان وامتداد حركة الفلك يتوجه نحو غايته التي كالحد فلا بد له اذا من النمو والظهور لان انتهائه اليها و
وقوفه عليها ولو بقي مكتوما خافيا ابد الآبد والدهر سرمدا وهذا غير سائغ اعني ان يكون الموجود معدوما ولو قبل الوهم
هذا القبل ان يكون المعدوم موجودا وهذه مسئلة في الهوامل ولها جواب اخر في الشوامل لكن هذا القدر مستفاد من الشيخ
الفاضل وهو ايضا في كلامه ان الحجاب المضروب على هذا السر يرث ويخلق لانه لا يبقى على هيئته الاولى يوم يقع سرا ويحدث
مكتوما ثم قال هذه الخواطر والسوانح على لفظها ورسمها وشدة حقايقها وعموم مشاربها تبتذل وتظهر وتقوى و
تكثر حتى يعرف فيها الشيء بعد الشيء باللحظ والنتيجة والتلفت وضروب شكل الوجه فكيف ما ابتذله اللسان ونسجته العبارة

ثامن وطعن من مكان اليه كان **مقابسة اخرى** سمعت الطاكي ابا القاسم وكان يعرف بالمجتبي يقول الاسباب التي هي مادة الحياة
هي بعينها الاسباب التي هي جالبة للموت قيل له فلم كان الموت على هذا احب الى الانسان من الحياة فقال لان الموت طبيعي وكل طبيعي لا محيص عنه
وانما اطلقت الكلام الاول لانك ترى من يحامي الموت بشيء به يخلص غيره الى الموت فلو استطيع حصر هذه الابواب
لما به يموت من يموت في علة ما به يحيى من يحيى ثم قال وها هنا موت طبيعي معروف به وفي مقابلته حياة طبيعية وهكذا
ايضا ها هنا موت عرضي وفي مواجهته حياة عرضية فالموت الطبعي قد قامت منه الشهادة من الكافة فاما
الحياة الطبيعية فحياة العقل بالمعقول والموت بالعرض الجهل الشايع في الانسان واما الحياة العرضية فحس الانسان وحركته
بسلامة تركيبه وسكون اخلاطه وقوة طبيعته وتصرف ساير ما هو مركب من جهته ثم قال ومن فتح الله بصيرة عقله لحظ هذه
هذه الحقائق ترقى في درجات المعارف وسلاليم الفضائل وانتهى الى افق الروح والراحة ونجا من هذه المعادن التي
هي معادن العطب والتلف ومساكن الافات والهلاك وتفجر في هذا الفصل بكل كلام شريف وكل موعظة حسنة



وكان من القادرين على امثاله وممن قلما ايده الله بتوفيقه ومعونته **مقابسة اخرى** سال ابو محمد الاندلسي النحوي
عيسى بن علي بن عيسى الوزير وانا عنده فقال له قال صاحب كل علم ليس في الدنيا اشرف من علمي الذي انظر فيه
هكذا نجد الطبيب والمنجم والنحوي والفقيه والمتكلم والمهندس والكاتب والشاعر قال وانا الحاكي من النحو
اقول هذا وهكذا اجد جميع من سميت قال الشيخ عيسى بن علي هذا لان صورة العلم في كل نفس واحدة وكل احد
يجد تلك الصورة بعينها فيمدح العلم بها ويظن ان تلك الصورة انما هي لعلمه وحده وكذلك صاحبه وتلك الحال الله
بقالب صورة العلم الاول فاما اذا قسمت العلم كما قسمه ابو زيد احمد بن زيد البلخي الفيلسوف في كتابه المسمى اقسام
العلوم وتتبعت مراتبه فانك حينئذ تجد علما فوق علم بالموضوع او بالصورة وعلما دون علم بالفائدة والثمرة و
هذا المعنى الذي اشير اليه يصح لك ولو فرضت نفسك عالمة كل شيء فكنت حينئذ لا يحضرك علم دون علم بل كنت
تطلع على جميعه بنوع الوحدة مع اختلاف مراتبه من نواحي مواده وصوره وفوايده وثمره كنت تجد ها كلها واحدة لا

حد العلم كان يسبق من كل فن منها على ما هو به من غير خلل عارض ولا فساد واقع قال الاندلسي قد كنا ايها السيد قرأن
هذه المسئلة تحقيراً لها وامتهاناً لقدرها وفيها هذا الجواب الذي لو رحل اليه من قطر شاسع وغرم عليه مال كثير لكان
ذالك دون حقه وما اكثر ما يحقر الشئ فيصير صلة للشئ لا يحقر لولا ان عمري يستهلكه الضحى لكنت البس لهذا العلم صدار
المنكمش واصبغ نفسي صبغة المتحققين **مقايسة اخرى** قال ابو زكريا الصيمري لابي سليمان اذا كان الباري
لا يفعل ما يفعل ضرورة ولا اختياراً فعلى اي نحو يكون فعله فانه ان كان كاستنارة الهواء عن الشمس فهو ضروري
ان كان كفعل احدنا فهو اختياري وما خلا هذين فغير معقول وما لا يعقل فغير مقبول قال ابو سليمان قد قال كبار
الاوائل انه يفعل بنوع اشرف من الاختيار وذالك النوع لا اسم له عندنا لانا انما نعرف الاسماء التي قد عهدنا اعيانها
او شبهها والناس اذا عدموا اشياء عدموا اسمها لان اسمه فرع عليه وعينه اصل له واذا ارتفع الاصل ارتفع الفرع هذا
ما لا دافع له ولا امتناع منه وخواص الخواص معك ومع الاسماء ونحن نحس بمعاني جمة وفوايد كثيرة لا نستطيع صرفها
عن انفسنا وقد التبست بها وترقت في فنانها ومع ذلك اذا حاولنا اسماءها عجزنا بلى قد نعتاض من الاسماء الفائتة
اشارات بصفات وتشبيهات تقوم لنا من بعد مقام الاسماء الفائتة ولكن لها فينا اعمال ردية وايهامات عندنا
فاسدة ولكن ليس لنا في هذا توجه من الوجوه جملة فمن جملة ذالك هذا الذي نحن فيه انه قد صح بالبرهان ان فعل
الله تقدس وعلا ليس باضطرار لان هذا نعت عاجز ولا دافع لهذا القول وليس باختيار ايضا لان في الاختيار معنى
قويا من الانفعال وهذا مسلم عند من الف شيئا من الفلسفة وشدا ببعض علم الاوائل فلم يبق بعد هذا الا انه بنحو عال
شريف يضيق عنه الاسم مشار اليه والوسم مدلول به عليه ولو قال لك رجل لم خبرت عن الله بالتذكير دون التانيث
لما كان عندك الا ان تقول هذا ما اقدر عليه وليس عندي لما هو حقه في الخبر عنه اسم يخصه واكثر ما امكنني نفي لما نعت
به الانثى وهذا لان التذكير والتانيث معنيان يوجدان فينا وبهما اشبهنا سائر الحيوان وهما منفيان عن الله
تعالى من كل وجه وبكل وهم ثم قال بعد هذا الذي قد مضى القول والذي اختاره في هذا الجواب مع هذا
التضييق الواقع قولنا يفعل لا يصح معناه في البادي تعالى البتة بل قولنا يفعل عبارة عن انفعال الاشياء له لان الاشياء
له وان الاشياء كلها مشتاقة اليه متوجهة نحوه مستانسة مقتبسة منه وذالك اتصالات وجوده فدخول الاشياء
الى ذاته وشوقها الى قربه وبث الوسايط بينها ثم ضرب مثلا فقال الا ترى ان الطبل يضرب عند الرحيل من قبل
الملك فترى كل احد يتحرك حركة لايقة به موقوفة عليه نحو الملك من غير ان يكون قد تقدم الى واحد منهم بما هو اليه
بل هو على سكونه وحاله السابقة فانما لاح لهم منه لايح فتحركوا مشتاقين متشبهين ثم قال وينبغي ان تعلم انه لا فاعل الا
ويعتريه نوع من انواع الانفعال في فعله كما انه لا منفعل الا وهو يعتريه نوع من انواع الفعل في انفعاله الا ان الانفعال
في الفاعل خفي جدا والفعل في المنفعل خفي جدا فلهذا لا يطلق على الفاعل الا الاسم الاشمل له الاول ولذالك لا يطلق على المنفعل
الا الاسم الاخص له والاعم لجملته وهذا وان كان للاطلاق وللاستعمال على حد ما حقق القول فان المعقول لا سبيل الى
انكاره وما عرف حقيقة لا طريق الى جحوده فقد بان ان قولنا يفعل ولا يفعل وفاعل وغير فاعل كلمات مطلقة على حد
المجاز والعادة **مقايسة اخرى** سمعت ابا اسحق الصابي الكاتب يقول لابي الخطاب الصابي علم ان
المذاهب والمقالات والنحل والآراء وجميع ما اختلف فيه الناس وعليه كدايرة في الفعل فمتى خوض فيها قول وجعل
مبدأ الاقوال انتهى منه الى اخر ما يمكن ان يقال فليس من قول الا وقد قيل او يقال وليس من فعل الا وقد فعل او سيفعل

ثغ ١٤

حادثه

وليس من شيء الا وقد علم او يعلم وهكذا في الظن والراي وغير ذالك واشكال هذا ابين في كل ما ارد ترو ذالك ان لك
الا تشير الى رأى ويخلق الا امكنك ان تظن بكل ما ظن ويظن وتقول كما قيل ويقال وانما يضيق بحجم احدنا ونيفسح بسبب
الاحوال الخاطر يسنح مرة ولا يسنح مرة والقلب يتسع تارة ولا يتسع تارة واللسان ينطق وقتا ويمسك وقتا
قال ابو الخطاب هل للخواطر والالفاظ والاراء والمقالات نسبة الى المزاج والطينة والهواء والى العناصر بالجملة فقال
نعم لها نسبة قوية وعلاقة شديدة وروابط متين الى هذه الامور التي تنظر فيها وتطيف بها وتطل عليه ولا سبيل مع
ذالك الى اتفاق الناس في حال من الاحوال ولا سبيل من السبل ولو امكن ذالك لوجد الاثر على انه لا سبيل الى ان يكون
الناس كلهم طوال القدود او قصارها وضخام الروس او صغارها وفصحاء الالسنة او لكنها او على مذهب واحد وحد
ومقابلة واحدة كيف يكون هذا او يظن هذا والطبيعة انما تعطي صورتها لكل شيء بحسب قبوله وتهيئه ومواتاته فليس
الزند من عطية الطبيعة ولكن على قدر قبوله وصلابة الحجر من عطية الطبيعة ولكن على قدره فاختلاف الصور انما تنشا
من اختلاف المواد وهذا اصل لا اصل له وعلة لا علة لها الا انه لم يفعله فاعل على ذالك بل الصورة من شانها هذا والمادة
من شانها ذالك والامر مسبب على سنن ما ترى فعلى هذا لكل احد ينتحل ما شاكله مزاجه وينبض عليه عرقه وينزع اليه شوطه
ويجن به طينته ويجري بعد ذالك عليه ما يرويه بدنه **مقايسة اخرى** سمعت الخوارزمي الكاتب يقول لابي اسحاق

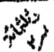
١٢ يب

الصابي بن هيثم بن هلال لم اذا قيل لمصنف او كاتب وخطيب او شاعر في كل كلام . قد اختل شيء منه وبيت قد
اختل نظمه ولفظة قلق مصابرها ولو جعلت بدل هذا اللفظ لفظا ومكان هذه الكلمة كلمة وموضع هذا المعنى معنى آخر تهافتت
قوته وصعب عليه تكلفه وبعد بمزاولته ذالك رايه ولو رام انشا قصيدة مفردة وتحبير رسالة مقترحة كان عسرها عليه
اقل وكان نهوضه بها اجمل فقال رفع ما هو يحتاج الجديد بير قد فات اوله من جهة صاحبه الاول والذي كان اولى به و
كان كالاب له وذالك شبيه بعلم الغيب وقل من ينفذ في حجب الغيب مع العوايق التي دونه وليس كذالك اذا اخترع
هو كلاما وابتدأ فعلا واقتضب حالا لا يستقل حينئذ بنفسه ولا يحتاج فيه الى شيء كان من غيره او يكون تعلقه بفطنته
يعطيه تمام ما قد فتح عليه سده وقدح عليه زنده ولم يكن هكذا حاله في كلام معروض عليه لم يتحمس قط في نفسه
ولا عد له شيا من فكره فقد يعجزه ما لم يتاهب له ولم يرض نفسه عليه وفي الجملة كل مبتدئ شيئا فقوة المبداء فيه تقضي
به الى غاية ذالك الشيء وكل معقب امرا قد بدأ به غيره فانه بتعقيبه يفضي الى حد ما بدا به في تعقيبه ويصير ذالك مبدأ
له ثم تنقطع المشاكلة بين المبتدا وبين المتعقب **مقايسة اخرى** قال يحيى بن عدي قول القايل العلة قبل

١٣ يج

المعلول لا مدخل للزمان فيه وكذالك قول النحويين الاسم قبل الفعل لا يتضمن بمعنى الزمان ولا هو جار في قضايا
الدهر والفرق بين الزمان والدهر بين ولعله سيمر في موضع من هذا الكتاب **قال** له البديهي فقولنا الاب
قبل الابن اين هو من الزمان قال من جهة لا مدخل للزمان بينهما وذالك ان الغرض فيهما ان هذا علة هذا ومن جهة
يدخل لانه يصير موذنا بان هذا كان في الزمان قبل هذا في الزمان واما قول النحويين ان الاسم قبل الفعل فمعقول
ان رتبته مقدم عليه والا فمتى وجد الاسم وجد الفعل ومتى وجد الفعل وجد الحرف فمرتبة الوجود واحدة
في الجميع ومراتب الاعيان مختلفة في الجميع ثم قال وينبغي ان يصفو الحظ الذي يجود في نحو الاشياء الاول التي هي كثيرة
بالاسماء والنعوت عند الاستعمال وواحدة بالحقايق والذوات فان هذا النظر انما اصفى وتم لمن فو نه عظيمة
ربانا امرا عزيزا **مقايسة اخرى** قال يحيى بن عدي نفرس لبديهي عليه سنة احدى وستين





وثلثمائة وانا حاضر مبدأ الجوهر الصورة والمادة ومبدأ الكم النقطة والوحدة ومبدأ الكيف السكون والحركة قال
وهذه المبادي هي اوايل العالم العلوي والسفلي والعقلي والحسي وصار ايضا عدم هذا التخليص ببحث العقل واستنباط
النفس وشهادة الحال وحقيقة المطلوب ان حاول محاول زيادة على هذا لم يستطع وان رام رايم نقصا منه لم يقدر
لان انتظامه بالعلة الاولى وتمامه من اجلها ووده وامده وامدها والحركة والسكون والنقطة والوحدة والمادة والصورة
لم تختلف في اعيانها بل القوابل التي هي بها وبحسبها انقسمت النعوت عليها واشتركت العبارات فيها ومتى امكن نشاط
الضبط الى الغاية والى النهاية المتناهية لم يوجد الا الحق الذي هو هو لا لشئ هو به بل كل شئ هو به وهو له وهو من
اجله ثم قال النقطة في الجوهر صورة والصورة هي في الكم نقطة والوحدة في جميعها مستولية شاملة محتوية غالبة فاليها
يجب ان يرمي الرامي وعنها يجب ان يحمي الحامي فليس فوقها مذهب ولا دونها مبتغى قال العروضي اذا كانت
الوحدة مستولية كما بان من القول فما بال الكثرة ادنى الينا واسبق الى نواظرنا واغنى عن طلب الدليل فيها فقال
لانا بها وهي بنا فمن هذه الجهة وجب ان تشتد العناية في تحصيلها وتقليبها حتى تظهر الوحدة في الثاني كما ظهرت
الكثرة في الاول وهو الذي يسمى سعادة واليها وقع التوجه وعليها اقتصر السعي ودخل ابو العلاء صاعد فانقطع الكلام وفات
ان يبلغ اقصى ما عنده **مقايسة اخرى** قلت لوهب بن يعيش الرقي لم صارت الكيفية تسري من المكيف الى

يد ١٥

الاول والثاني مثال ذلك الرايحة التي للتفاح فانها تسري الى الدماغ وليس كذلك الكمية من ذي الكم مثال ذلك
تفاحتان وثلاث عند زيد لا تسري كميتها الى عمرو فقال الكمية اقرب الى الجوهر واشد توحدا به وادل على المواصلة
والتشبث والوحدة وليس كذلك الكيفية بحسب الكثرة فخالفا اقتضى الكيفية بحسب الوحدة الا ترى ان الكيفية تأتي
ما ترى الى الحس واسبق عن الطبيعة الا ترى ان الكمية تابعة لما ترى الى العقل ومتصل بالنفس **مقايسة**

يو ١٦

اخرى لم صار الانسان اذا زور كلاما لمجلس يحضره وخصم يناظره وصاحب يعاتبه لا يمكنه اداؤه في حال ما يباشر
المراد ويحجم عن الغرض ويتوخى غاية ما في النفس فقال لانه في الحال الثانية يصير اسيرا في يد ما قدمه وقومه فهو
يحتاج في تلك الحال الى قوة حافظة وقوة مؤدية وربما خانتاه او خانه احدهما وليس كذلك اذا ارتجل كلاما
واخترع معنى فانه يكون مطلق العنان في ضروب التصرف وافانين القول وتقي غير موقوف على شئ متقدم ولا مستقي شيئا موقعا
يخاف تجاوزه على خلاف تقديره في وهمه ووضعه في نفسه يخلو من الحال وسلامة البال يفضيان به الى اخرها في نفسه لان
الواسطة الحائلة ساقطة والحجب مخروقة والاولية مغيبة والوحدة مساعدة لا تسرع ايدك الله الى الطعن والعيب في هذه
المواضع التي نزلت قليلا ولا يبلغ ظنك بها فان الجميع اخذ عن هؤلاء الجلة الاعلام حسب ما كانت المذاكرة والمقايسة تمتد ان
بهم ويقرآن عليهم وكان الغرض كله ان يستفاد كل ما تنفسوا به وتنافسوا فيه فان شاركتني على ذلك فالحكمة فوضى بيننا
والحق مشاع عندنا والفايدة حاصلة لنا فان اجبت تجدك وفطنتك لم تخرج من جميع وجوه العدل الى الظلم لكن تبعد
عن الخلق الجميل وعما يليق بالرجل الاصيل واساس التلاقي والاجتماع والتصافي والاستماع والمفاوضة بين الناس بكل
ما ينطق بالتودد والايناس على الكرم والتفضيل والرعاية والحيا والابقا والاغضا لا على الشراسة والعناد ولا على ما لا يجمل باهل
الحكمة والفضل والحفاظ والله يبلغ بك ويحسن على اقتباس الحكمة عونك ويقر اعيننا بمكانك ويهدينا جميعا الزلفى
عنده والمكانة فيه بمنه واحسانه على انك اذا استشفعت هذا الكتاب كله وقلبته وعرفت غرايبه وعجايبه علمت
انك ظالم انما عتب واني مظلوم في يدك اذا استزرأت ووالله لقد تعبت في تحصيل ما قالوه وخاطرت الان بروايته

ماتقايسوه ولو قمت مقامي لما اخطاتك حالي ولا خلوت من عبري من بعض ما تتجنى به عليّ كان الله لك واخذ بيدك
وادام الصنع الجميل لك **مقايسة اخرى** سئل ابن سوار وكان ابن السمح بباب الطاق هل ما فيه الناس من
السيرة وما هم عليه من الاعتقاد حق كله او اكثره حق او كله باطل او اكثره فقال المسئلة هائلة والجواب حين قيل افدنا افادك
الله فان ركية العلم لا تنزح وان اختلف عليها الدلاء وكثر على جافاتها الواردة فقال صدقتم واعلموا انه اذا لحظ استيلاء
الطبيعة عليهم وعليها اثارها فيهم في الراي المعتقد والسيرة الموثرة فالاكثر ذلك باطل لان سلطان العقل في بلاد الطبيعة
غريب والغريب ذليل وان لحظ حكم العقل وما يجب به ويليق بجوهره ويحسن مضافا اليه فالاكثر ذلك حق كان الملحوظ
رايا او سيرة وعادة او خليقة وعلى حسب هاتين القبيلتين يكون القضاء ويقع الحكم والحق لا يصير حقا بكثرة معتقديه
ولا يستحيل باطلا بقلة منتحليه وكذلك الباطل ولكن قد يظن بالراي الذي قد سبق اليه الاتفاق من جملة الناس
ا فاضلهم انه اولى بالتقديم والايثار واحق بالتعظيم والاختيار لانه يكون مقوما بالبحث مجبورا بالفكر مصقولا على الزمان تلمسه
كل يد وتجليه كل عين ويصير ثباته على صورته الواحدة دليلا قويا وشاهدا زكيا على حقيقته لانه يبرا حينئذ من هوى ودعوى
من تعصب ناصره ويبقى بصورته الخاصة ويجري مجرى السكينة التي لا تحتاج الى علاج المعالج وتمويه المموه وانتقاد
المنتقد وتنفيق المنفق وحيلة المحتال **مقايسة اخرى** سالت ابا زكريا الصيمري عن الانسان يقول حدثتني
نفسي بكذا او كذا وحدثت نفسي بكذا او كذا هذا اني اجد الانسان ونفسه كجارين متلاصقين يتلاقيان
فيتحدثان ويجتمعان فيتحاضران وهذا يدل على بينونة بين الانسان ونفسه فقال الانسان انما هو انسان بالنفس
والنفس ما هو انسان والانسان له صورة بحسب قبوله من النفس والنفس نفس بحسب ملابستها البدن وتصريفها
له وتدبيرها فيه فاذا قال الانسان حدثتني نفسي او حدثت نفسي فانما ذلك لشعوره بشرف نفسه بقدر ما
استفاد من صورتها الخاصة به واستنارة العقل عليه هذا ان كان الحديث مواتيا للحق آخذا بقسطه منه وان تكن
الاخرى دخل الفساد من ناحية المادة والخلط والمزاج والقابل الا ترى انك لا تقول حدثني عقلي بكذا وكذا ولا حدثت
عقلي بكذا او كذا الا ان افق العقل اعلى وعالمه ارفع واثره الطف وانقى ونسبه اشرف واسنى والانسان متقوم بالنفس
حتى انه لحظها بعينه التي له منها ساغ له ان يحدثها ويحدث عنها ويحقق بناءها وحالها وهي العقل بوجه آخر
والعقل هي بوجه آخر ولكن العبارة عن هذه الخفيات قاصرة وان كانت النفس بها مستنيرة فعلى هذا الانسان
يحدث نفسه بما يغلب منها ويحدث نفسه بما يغلب عليها منه وهو هي وهي هو ولكن بنوع ونوع وحال وحال واسم
واسم وملخوص وملخوص وتقريب وتقريب وهذه معان اختلست من مذاكرات هذه المشايخ فلم يمكن ان تورد
تامة مستقصاة لان الكتب التي توضح هذه الحقايق موجودة ومن يشرح مشكلها ويفتح مستغلقها حاضر فليكن
التعويل في بلوغ غايات هذه المواضع على العلماء والكتب والسلام **مقايسة اخرى** خرج ابو سليمان
يوما ببغداد الى الصحراء بعض ايام الربيع قصدا للتفرج والمؤانسة وصحبته وكان معنا ايضا صبي دون البلوغ
جهم الوجه بغيض المحيا شتيم المنظر ولكنه كان مع هذه العورة يترنم ترنما نديا عن جرم ترف وصوت شجي
ونغمة رخيمة والراق حلو وكان معنا جماعة من طراق المحلة فلما تنفس الوقت اخذ الصبي في فنه وبلغ اقصى
ما عنده فتريح اصحابنا وتهادوا وطربوا فقلت لصاحب لي ذكي اما ترى ما يعمل بنا شجن هذا الصوت ونداوة هذا الحلق وطيبة
هذا اللحن وتفنن هذه النغم فقال لو كان لهذا من يخرجه ويعنى به وياخذه بالطرائق المولفة والالحان المختلفة لكان

يز ١٧ — ١٨ — ١٩

يظهر انه ابتر ويصير فتنة فانه عجيب الطبع بديع الفن غالب الدين والشرف فقال ابو سليمان قلت حدثوني بما اكتم فيه من
الطبيعة لم احتاجت الى الصناعة وقد علمنا ان الصناعة تحكي الطبيعة وتروم اللحاق بها والقرب منها على سقوطها دونها
وهذا راي صحيح وقول مشروح وانما حكتها وتبعت رسمها وقصت اثرها لانحطاط رتبتها عنها وقد زعمت ان هذا
الحديث لم تكفه الطبيعة ولم تغن وانها تعينه وانها قد احتاجت الى الصناعة حتى يكون الكمال مستفادا وماخوذا من
جهتها والغاية مبلوغة بمعونتها واصلارها فقلنا الله ما ندري وانها لمسئلة فقال وفكروا فعدنا اليه وقلنا انا قد تلجلجنا ولو
منت بالبيان ونشطت لنشر الفايده كان ذلك محسوبا في بعض اياديك وغرر فضائلك فقال ان الطبيعة انما احتاجت
الى الصناعة في هذا المكان لان الصناعة هاهنا تستملي من النفس والعقل وتملي على الطبيعة وقد صح ان الطبيعة
مرتبتها دون مرتبة النفس وتقبل اثارها وتمتثل امرها وتكمل بكمالها وتعمل على استعمالها وتكتب باملائها وترسم
بالقائها والموسيقي حاصل للنفس وموجود فيها على نوع لطيف وصنف شريف فالموسيقار اذا صادف طبيعة قابلة ومادة مستجيبة
وقريحة مواتية والة منقادة افرغ عليها بتاييد العقل والنفس لبوسا موزونا وتاليفا معجبا واعطاها صورة معشوقة
وحلية مرموقة وقوته في ذلك تكون بمواصلة النفس الناطقة فمن هاهنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة لانها وصلت
الى كمالها من ناحية النفس الناطقة بوساطة الصناعة الحادثة التي من شانها استملاء ما ليس لها واملاء ما يحصل فيها
استكمالا بما تاخذ وكمالا لما تعطي فقال له البخاري وكان من تلامذته ما اشكرنا على هذه الصلات السنية وما احمدنا الله على
ما يهب لنا منك من هذه الفوائد الدائمة فقال هذا بكم اقتبست وبحجركم قدحت والى ضوء ناركم عشوت واذا صفى
ضمير الصديق للصديق واضاء الحق بينهما واشتمل الخير عليهما وصار كل واحد منهما ردءا لصاحبه وعونا على قصده و
سببا قويا في نيل ارادته ودرك بغيته ولا عجب من هذا فالنفوس تتقادح والعقول تتلاقح والالسنة تتفاتح واسرار
هذا الانسان الذي هو العالم الصغير في هذا العالم الكبير كثيرة جمة واسعة منبثة وانما يحتاج الناظر في هذا النمط الى
عناية بنفسه في طلب سعادته ورعاية لحاله في السلوك الى غايته غير عائج على زهرة العين ونضرة الحس ولذة الوقت
فانه بهذه المقدمات يصل الى تلك الغايات ويجني تلك الثمرات ويجد تلك السكاين مرتفعا عن هذه الاقذار
القاذورات واول هذا الامر واخره بالله ومن الله اللهم طهر قلوبنا من ضروب الفساد وحبب الى انفسنا طرائق
الرشاد وكن لنا دليلا وبنجاتنا كفيلا بمنك وجودك الذي ما خلا منهما شيء من خلقك العلوي والسفلي ولا فاتنا
شيا من صنعك الجلي والخفي يا من الكل به واحد وهو في الكل موجود هذا ما خلص من هذا الاجتماع وهو ظاهر
الشرف اتيت به على ما لقيته فاشركني في استحسانه وقبوله وكن معينا لي على طلب نظيره والتعاقب على الخير والتناصر
على البر سيرة الفاضلين وعادة اهل التقى والدين **مقابسة اخرى** ٢٠ قال ماني المجوسي وكان ذا حظ وافر من
الحكمة لابي الحسن محمد بن يوسف العامري وكان من اعلام عصره ايها الشيخ اني اجد النظر في حال النفس بعد
الموت مبنيا على الظن والتوهم وذلك ان الانسان كما يستحيل منه ان يعلم حاله قبل كونه ووجوده كذلك يستحيل ان يعلم
حاله بعد كونه لانه يصير مشفي علمه ومستنبط مراده عدما والعدم لا يقتبس منه علم بشيء بوجه ولا يستفاد منه
معرفة حال لا فيما يتعلق بالحق ولا فيما يتعلق بالباطل فقال في الجواب ليس النظر في حال النفس بعد الموت مبنيا على
الظن وان كان شبيها به ولن يجب ان يثبت القضاء في هذا المعنى بالظن للمشابهة بينه وبين غيره لان الفصل حاضر والفرق
ظاهر وذلك ان الانسان لم يجهل حاله قط فيما سلف لان الطريق الى تبيين ذلك وتحصيله مسلوك والشاهد

على ثمرة المطلوب تايم والتقريب يدل على ذلك فى هذا الوقت وان كان البرهان فى الصناعة موجودا انه اخان ت
على ترتيبها الخاص لها فى معرفة المنطق الذى هو آلة فى استقراء الطبيعة التى هى عراق وفى معرفة النفس التى هى طلبة
كل ناظر فى علم ومتحقق بحلة كان الانسان لاخر سيرته فى هذا العالم فلما صمدت النفس لها حركت الطبيعة على
تاليفها وتوزيع الكمالات المختلفة فيها واعطتها النفس بوساطة الطبيعة صورة خصتها بها ودبرت اخلاطها
وهيئات مزاجها فظهر الانسان فى الثانى بشكل غير الشكل الذى كان لاجزائه التى يردها فى اخر البحث الى الهيولى
بالقول المجمل والكلام فى هذا ذو شعب وذوائب ثم ان الانسان فى معارفه التى يترقى فى درجاتها يجد لنفسه قنية ليست
كساير القنيات وهيئة ليست كجميع الهيئات اعنى الحكمة التى هى علم الحق والعمل بالحق فيجول طالبا لبقائها
ناظرا وباحثا عن حقيقة ذلك حايرا الى ان يبلغ بفرط العناية وجودة الفحص وحسن مشاورة العقل الى الحد
الذى يفصح له بان النفس ليست تابعة للمزاج ولا حادثة بالاخلاط بل هى مستتبعة للمزاج ومقومة للاخلاط
بوكالة الطبيعة التى هى ظل من ظلالها وقوة من قواها وان النفس ليس لها استعانة بالبدن ولا بشيء
منه وانها خالصة لا شوب فيها وقايمة بجوهرها غنية بنفسها عما يفسدها ويحللها ويموهها ويؤثر فيها وكيف يكون
ذلك وهى لا تنفعل البتة ولا رداءة فيها البتة فبهذا واشباهه ينفتح للانسان ان النفس يمكن ان تطلب علم حالها
بعد مفارقة البدن بالامر الطبيعى والسبب الضرورى فقد تجلى وانكشف ان البحث عن ذلك ليس بحثا عن علم
مطلق بل هو بحث عن احوال منزلة مشهورة مرتبة محدودة بل هو بحث عن ما يتصور غايته ويطمان اليه تارة
بالبرهان المنطقى وتارة بالدليل العقلى وتارة بالايماء الحسى والاثر الالهى وقال ايضا فى مثل هذا الموضع ما
يجب ايراده وان طال الفصل واسأم فكره ان الحسيات معابر الى العقليات ولا بد لنا ما دمنا باحثين عن حقايق
العقل ولا نقدر ان نخلص الى عالم العقل مرة واحدة من سبيل نسلكها ومثل نستصحبها وشواهد نستنبطها و
نثق بها ولو امكننا العبور الى عرصات العقول بلا ذلك كان التفاتنا الى الحواس فضلا لا انا متى اخذنا الامثلة
من الحواس فليس يجب ان نتسبب بها الى التسبيب ونطالب بها المعقولات كل المطالب بل الذى يحكم به الحق
يقتضيه الحزم ان ناخذ الامثلة من الحس فاذا وصلنا الى العقل حينئذ فارقناها اغتناء عنها مستريحين منها ومن
حرجها واضطرابها ولما كنا بالحس فى صدر الطبيعة لم تنفك منه ولما كنا بالعقل فى اول الجوهر لم نجهل فضله
فلهذا اما اشتغلنا بالحس ولم نقض به وصلنا الى العقل ولم نميز عليه وهذا اقتضاه قول عرض فى جملة كلام
وذلك انه فى كل محسوس ظل من المعقول وليس فى كل معقول ظل من الحس ومتى وجدنا شيئا فى الحس فله
اثر عند العقل بروقع التشبيه والبركات التشوق وبه حدث المقدار والانسان متى لم يخلع اثار الحس خلعا
لم يتجمل بلبوس العقل تحليا وانما شق الاقرار بمعرفة حال النفس بعد الموت لان الحس لم يساعد فى تسليم
ذلك بشهادة يسكن اليها وان كان العقل قد استوضح ذلك بالامثلة الضرورية فى اقامة البينة عليها وفى
الجملة هذه المسئلة عن راضيفة ونجباء مشكلة ولكن العقل الذى هو خليفة الله فى هذا العالم يجول فى هذه
المضايق ويدفع هذه الموانع والعوائق ولولا هذه العناية الموموقة والحالة المعشوقة بهذه الاوائل المشروحة
والابواب المفتوحة لكان الياس يزهق الارواح ويتلف الانفس ولكان العالم بكل ما فيه من العجايب والاثار
والشواهد لشيء لا حقيقة له ولا حكمة فيه وانه شبيه بالعبث واللعب وليس له محصول ولا فيه شيء معقول ولا

حجة

حاجة بعد هذا البيان الذي غرّد حاديه وطرب سامعه في هذا المكان الا قلة الصبر على النظر وسوء العناية في طلب الحق وايثار الراحة بالراحة وقطع ايام العمر بالتمني وتوجيه التهمة الى الحق وتسليط الجدل على الاستنصار و الاعتماد على البهت والوقاحة والا فان الحق معرض لك بل بارك عليك بل نازل عندك بل حاضر عندك بل متجلل بك موجود فيك وانما يؤتى من جفائك في الطلب في سوء العناية في التحري لا من توارى الحق عنك ولا من اشتباهه عليك وليس مع الجفاء والعنف وصول الى الحق ولا مع الرفق يأس من الحق الحق اسبق اليك منك واعطف عليك وارأف بك منك والمعرفة فيك منك فيه وكان وفيا بهذا الباب قيما عليه وسقط عني شيء كثير مع هذا الحد وفيما حصل تعلل وعلى الله التمام

مقابسة اخرى ٢١

سمعت اباسليمان يقول فضيحة حسيب لا ادب له افظع واشنع من فضيحة اديب لا حسب له فقال ابن الوراق النحوي ولم ذاك فقال لان هذا اعدم ما يقوم نفسه ويكمل ذاته وذلك فقد ما يقوم اصله ويستر قديمه والنفس ارفع من الاصل لان الاصل راجع الى الولادة والنفس دالة على النقص والزيادة ونحوه على الشقاء والسعادة وقد يحتش الانسان بنفسه الجيدة سقوط ابويه فيتلافى في تكسب الخير وايثار الجميل ونشد الادب وقصد العلم كل ذلك سلفا له كما يحسن الانسان بشرف ابويه فيتكل على ما سبق لاوليته ولا يشغل زمانه العزيز في تحلية نفسه بحلي اباته واجداده واخواله واعمامه لكون ذلك زينة له في حياته وذكر العقبه من بعده فلاجرم انه احرى من صاحبه كثيرا ثم قال سمعت بباب الطاق في هذه الايام والنسان من انكاد السوقة يقول للاخر من ضربايه شرفك ميت وشرفي حي وشرفك اخرس وشرفي ناطق وشرفك اعمى وشرفي بصير قيل له ماذا اراد بهذا قال اراد اني بنفسي على هذه الفضائل الشريفة والحال المتمناة وانت بنفسك على اضدادها لا تحيى ولا تنطق ولا تبصر ام تنفعك ارومتك البيضاء ولم تضرني جرثومتي السوداء ومتى نابك امر فتحدثت بشرف غيرك فكنت بمنزلة الخصي المدل بهن غيره وهذا مما لا يجهله عليه عند البضاع

مقابسة اخرى ٢٢

قلت لابي سليمان اني اجد بين المنطق والنحو مناسبة غالبة ومشابهة قريبة وعلى ذلك فما الفرق بينهما وهل يتعاونان بالمناسبة وهل يتفاوتان بالقرب به فقال النحو منطق عربي والمنطق نحو عقلي وجل نظر المنطقي في المعاني وان كان لا يجوز له الاخلال بالالفاظ التي هي لها كالحلل والمعارض وجل نظر النحوي في الالفاظ وان كان لا يسوغ له الاخلال بالمعاني التي هي لها كالحقائق والجواهر الا ترى ان المنطقي يقول بجبلته وهو ينفعل والنحوي فيما خلاه اللفظ ونظاير هذا المثال شوايع ذوايع في عرض الفنين النظيرين اعني المنطق والنحو وكان التقصير في تحبير اللفظ ضارا ونقصا وانحطاطا فذلك التقصير في تحرير المعنى ضار ونقص وانحطاط وحد الافهام والتفهم معروف وحد البلاغة والخطابة موصوف والحاجة الى الافهام والتفهم على عادة اهل اللغة اشد من الحاجة الى الخطابة والبلاغة لانها متقدمة بالطبع والطبع اقرب الينا والعقل ابعد عنا والبديهة منوطة بالحس وان كانت معانيه من جهة الحس وليس ينبغي ان يكتفى بالافهام كيف كان وعلى اي وجه وقع فان الدينار قد يكون رديء ذهب وقد يكون رديء طبع وقد يكون فاسد السكة وقد يكون جيد الذهب عجيب الطبع حسن السكة فالناقد الذي عليه المدار واليه العيار يبهرجه مرة برداءة هذا ومرة برداءة هذا ويقبله مرة بحسن هذا ومرة بحسن هذا والافهام افهامان رديء وجيد فالاول لسفلة الناس لان ذلك غايتهم وشبيه برتبتهم في نقصهم والثاني لسائر الناس لان ذلك جامع للمصالح والمنافع فاما البلاغة

فانها زايدة على الافهام الجيدة بالوزن والبناء والسجع والتقفية والحلية الرايعة وتخير اللفظ واختصاره الزينة
بالرقة والجزالة والمتانة وهذا الفن لخاصة النفس لان القصد فيه الاطراب بعد الافهام والتواصل الى غاية ما
في القلوب لذوي الفضل بتقويم البيان قلت له فما النحو فقال على ما يحضرني الساعة من رسمه على غير تصفية لحده
وتنقيح له انه نظر في كلام العرب يعود بتحصيل ما تألفه وتعتاده او تفرقه وتعقل منه او تفرقه وتخليه او تاباه وتذهب
عنه وتستغني بغيره قلت فما المنطق قال آلة بها يقع الفصل والتمييز بين ما هو يقال هو حق او باطل فيما يعتقد
وبين ما يقال هو خير او شر فيما يفعل وبين ما يقال هو صدق او كذب فيما يطلق باللسان وبين ما يقال هو
حسن او قبيح بالفعل قلت فهل يعين احدهما صاحبه قال نعم واي معونة اذا اجتمع المنطقي العقلي والمنطقي الحسي
فهو الغاية والكمال قال ويجب ان تعلموا ان فوايد النحو مقصورة على عادة العرب بالقصد الاول قاصرة عن عادة غيرهم
بالقصد الثاني والمنطق مقصور على عادة جميع اهل العقل من اي جيل كانوا وباي لغة ابانوا الا ان يتعلق
اسماء عند قوم وتوجد عند قوم فحينئذ الحال في التقصير يتوقف على تعلق الاسماء او على وضعها على الخلاف
اما بالتواطي والاصطلاح واما بالطبع والاسماع قال وبالجملة النحو يرتب اللفظ ترتيبا يؤدي الى الحق المعروف
او الى العادة الجارية والمنطق يرتب المعنى ترتيبا يؤدي الى الحق المعترف به من غير عادة سابقة والشهادة في المنطق
ماخوذة من العقل والشهادة في النحو ماخوذة من العرف ودليل النحو طباعي ودليل المنطقي عقلي والنحو مقصور و
المنطق مبسوط والنحو يتبع ما في طباع العرب وقد يعتريه الاختلاف والمنطق يتبع ما في غرائز النفوس وهو
مستمر على الايتلاف والحاجة الى النحو اكثر من الحاجة الى المنطق كما ان الحاجة الى الكلام في الجملة اكثر من الحاجة الى
البلاغة لان ذلك اول وهذا ثان والنحو اول مباحث الانسان والمنطق اخر مطالبه وكل انسان منطقي بالطبع
الاول ولكن يذهب عن استنباط ما عنده بالاهمال وليس كل انسان نحويا في الاصل والخطا في النحو يسمى لحنا والخطا
في المنطق يسمى احالة والنحو تحقيق المعنى باللفظ والمنطق تحقيق المعنى بالعقل وقد يزول اللفظ الى اللفظ والمعنى
بحاله لا يزول ولا يحول فاما المعنى فانه متى زال الى معنى اخر تغير المعقول ورجع الى غير ما عهد في الاول والنحو
يدخل المنطق ولكن مرتبا له والمنطق يدخل النحو ولكن محققا له وقد يفهم بعض الاغراض وان عري لفظه من النحو
ولا يفهم شيء منها اذا عري من العقل فالعقل اشد انتظاما للمنطق والنحو اشد التحاما بالطبع والنحو شكل
سمعي والمنطق شكل عقلي وشهادة النحو طباعية وشهادة المنطق عقلية وما يستعار للنحو من المنطق حتى يتقوم
اكثر مما يستعار من النحو للمنطق حتى يصح ويستحكم فالمنطق وزن لعيار العقل والنحو كيل لصاع اللفظ ولهذا
قيل في النحو الشذوذ والنادر وردي المنطق ما جرى مجراهما فهذا ما استفدته من قوله وهو باب مفتوح يمكن ان
يقال فيه من هذا الجنس ما يكون شاهدا له قال والسلام **مقايسة اخرى** قلت لابي سليمان كنا امس في ٢٢
مجلس ابي علي القومسي فجرى كلام في الظرف فقال له الاندلسي ايها الشيخ لم صار الظرف المخصوص بالزمان
اكثر من الظرف المخصوص بالمكان فسكت هُنَيْهَةً ثم قال لا ادري وليس هذا من النحو وانما النحو في هذا ان تعرف ان
الظرف ظرفان ظرف زمان وظرف مكان وتحصي اسماء هذا وتميزها من اسماء هذا وتقف على المواضع
المخصوصة بهما والاعراب اللازم لهما وبهما فقال ابو سليمان صدق ابو علي فلقد ظلمه الاندلسي من اين يعلم ذلك
وليس عليه في صناعته ان يبحث عنه لان مبادي كل صناعة ماخوذة من ناس اخرين قوامين عالمين قلت فلو اتفق

فيه شيئًا فقال الظرف الزماني الطف من ظرف المكان والمكاني اكثف من ظرف الزمان وكان المكان من قبيل
الحس والزمان من قبيل النفس وكان الزمان من حد المحيط والمكان من حد المركز فوجب لهذا ان يكون تصرف الالطف
اكثر من تصرف الاكثف وبحسب تصرفه تكون اسما احواله في تصرفه الكثير والزمان منسوب الى حركات الفلك بجوهره
شريف والمكان من جوهر المحيط بجوهره محطوط والفلك اقرب من الامور العالية فكذلك مرسومه الذي هو الزمان
قال ومما يشهد ان الزمان الطف انك تقول زمان حاضر وزمان ماض وزمان مستقبل هذا بالنظر الاول وقد احس
به كل الناس وهو يزيد بالمنطق على هذه القسمة زيادة بينة ومن اجل تصرف الزمان في الوجوه الكثيرة استخرج يحيى بن
عدى المنطقي من قول القايل القايم غير القاعد وجوها تزيد على عشرين الف وجه بالاف ورسالته في ذلك حاضرة ثم
قال ومما يزيد لطافة الزمان وضوحا ان الزمان الواحد يجرى الى اكثر من واحد الى ما لا اخر لها والمكان الواحد متى شغل
بالواحد عجز عن الثاني ثم قال واى نظر اشرف من نظر الفيلسوف الذى يرتقى من السفل فيجول في الوسايط ويبلغ الى العلو
وربما انحدر من العلو فخرق بحدة الحجب كلها مبينا عنها وعن جملتها وتفصيلها بمعرفة موزونة من العقل وروية
مؤيدة بالبصيرة وحقايق بالعدل موزونة وتصفح بالغا الى الحد الاقصى بلا ظرف ولا ترقب ولا شك ولا مرية بل علوما ثابتة
ومعرفة راسخة وبيان جلي وشاهد قايم وبرهان موجود وللمشغوف بالحكمة في هذه المواضع مواد ومسرح ومرمى
ومفتح وذلك لان الالهية عالية وعلايقها متشاكلة متناسبة ومواهبها متقاربة متواصلة كشف الغطا بالنظر والفحص
بان منها ما يبهر كشعاع الشمس وكان نضر الله وجهه اذا سلك هذا الوادى سال عرفاه ولم يدرك طرفاه وكان
يخرج من باب الى باب ومن صنف الى صنف استراحة من طول جامد والتسابين يفهم عند بعض من امره ذلك انه كان مجبورا
مطوحا فيطول سكوته ويتضاعف ازيزه فاذا احرك ادنى تحريك انفتح وانفرج وترك التقية والوحشة والمداراة
الثقيلة وكان ربما انشد بعد هذا الشوط الطويل والنفس المديد قول الشاعر لو كنت اقدر ان اقولا
لشفيت من قلبي غليلا * لكن لساني مارد * ملئت مضاربه فلولا * **مقايسة اخرى** سألني ابو سليمان
يوما عن الطبيعة وقال كيف هي عند اهل النحو واللغة اهي فعيلة بمعنى فاعلة او بمعنى مفعولة قلت له اكره ان اتحلى
الجواب عنها والعلي ارفع فيه الى الاعتذار ومن دونها اسأل شيخنا ابا سعيد السيرافي غدا ان شاء الله فهو اليوم عالم العالم
وشيخ الدنيا ومقنع اهل الارض فقال انه كذلك اجعله منك على بال وتلطف في تحصيل ما عنده اجمع في هذه
المسئلة فسألت ابا سعيد عنها فقال هذا من قبيل الاسماء المحضة لا من قبيل الاسماء المشوبة فلا يقال لذلك انه
فعيل بمعنى فاعل كقدير بمعنى قادر ولا يقال انه فعيل بمعنى مفعول كذبيح ولكن يقال هو فعل في اصله كجبير و
اثير ومع هذا فمعنى الفعل به اقرب من معنى الفعل منه ولفعيل اسرار ووجوه وقد كان بعض الناس ذل
فيه عند بعض الامراء فالامر لم يكن بد من اعتباره على طريقة هذا السايل فلان يكون بمعنى مفعول اولى وذلك
انا نقول طبع كذا وكذا وطبيعته اى ما طبع عليه وبمعنى فعل والمفعول فيه ابين واخوانه يدلك على ذلك اعنى
الضريبة والسليقة والسجية والغريزة والنحيزة قال وهذا الكلام كاف في الحرف فان استزدته فاندفع فاني باشياء
لك نشرها هاهنا كالمواجب وان لم تكن محتاجا اليه من كل وجه ولكن الكلام له صورة لا تملك وغاية لا تدرك

واذا عاد هازدته بفايدة لعلها تشاكل نفس ما نحن فيه وتسهل له وتحدث عنه فقد بريا من العنف واللوم و
الافراط في التوبيخ ان شاء الله تعالى قال واعلم ان للافعال مراتب مختلفة ومواضع متباينة فالظاهر منها مرتبة

ضرب وما ماثله فانه نافر اى مبعد ولست اعنى بما ماثله ما كان ثلاثيا بل ما زاد عليه ايضا ولكن بعد ان يكون
له اثر منفصل من فاعله ثم ما عدا هذا ايضا مراتب على ما يلزم كقولك خلا وعلا وكرم وظرف وعلم وسلم و
ثبت ورتب ثم قال ما زاد ايضا مثاله هذا احكم كقولك تدحرج واحرنجم والانسان له فى كل شئ من هذه
الاشياء شكل يباين شكله الآخر ضربا من المباينة يشعر به مرة ويسهى عنه اخرى ومجموع الافعال فعل يحدث بك
من غيرك مثل ما يحدث لغيرك منه مثاله ضرب وضُرِبَ يحدث بك منك مثاله حسن وسمع وضرب يحدث
فيك مثاله خجل ورجل ومشى وفى نوع ما يحدث بك ما يجوز ان يومر به وان ينهى عنه مثاله اشجع ولا تجبن و
اعلم ولا تجهل وها هنا ضرب تحدث انت فيه او تحدث به مثاله كن وجد واعلم واذا حققت النظر كانت الطاعة
اغلب على جميع هذه الضروب الا ما تميز عنها ولم يلتبس بها الى ها هنا حصل ما اتصل بما كنا فيه وكرهت ختمه لم
عنه واعود فاتمم صدره ابدأت به فى هذه المقايسة بجزء نعم فبادرت بالجواب الى ابى سليمان وقصصته قراءة
عليه فقال هذا احسن مقبول ويدل ان ما سمعته من هذا الشيخ غيض من فيض وشرارة من حريق ثم قال و
انما يصح قوله هذا اذ الحظ المعنى الذى خصت الطبيعة به من قبولها من النفس وانقيادها لتصريفها و
انفعالها بتفعيلها فان الطبيعة كالصدى لما اعنى النفس وكالشئ الشاخص فاه المنتظر لما يلقى اليه ويرسم له
لا يتعدى حكمه ولا يعصى امره ولا يخالف نهجه وهذا شان النفس مع العقل ولكن اعلا من هذا لان الفيض
الاول والجود الاول لا واسطة له ولا شوب ولا عارض عليه ولا كره فيه ولا اختلاف ولا تزاحم ولا اختلاط ولا تدا
فع ولا اعتراض بل على نوع الخلوص وما يزيد على ما يقع فى النفوس ثم التنزيل والتدريج والتوشيح يفيض ذلك
كله فى الطبيعة بصباباتها وسفافاتها وبقوافيها ومعانيها ويظهر عند ذلك الاشكال المختلفة فى الاشخاص وتبدو
قواه بوسايط المساع والاحساس فاما اذا وفى حقها فيما يقبل منها ما دونها وينقاد لها ويأتمر لامرها ويجرى
على رسمها ويظهر تشكلها فى الاجزاء المتشابهة المختلفة العناصر المختلطة والمتميزة والمواد المستعدة والا
بية والاشتات المتلايمة والمتباينة فانها فى حد الفاعلة التى تطبع وتنقش وتصلح وتجمع وتؤلف وتنقض
وتحفر وتبيح وتنذر وتستخرج وهذه الرتبة حصلت لها من تقبلها للنفس لانها اعطتها صورتها وكانت
فاعلة بها ولانها قبلت منها فكانت منفعلة لها فلها الرتبتان والحدان بنظر ونظر ووجه ووجه قال واذا وقف
على هاتين الحالتين الاولى بموجب اللسان العربى والثانى بقضية الاعتبار النظرى لم يبق فى الطبيعة
من هذا النسق ما يفتقر الى ايضاحه والابانة عنه لان التصفح قد اتى على كل ما كان فى القوة من هذين الوجهين
فاما حدها الذى هو لها بالتحقيق وهو ما قال ارسطوطاليس انه مبدأ الحركة والسكون وايضاح هذا ابين فى
الكتب الموضوعة فيه وفى اشكاله وانما قويت العناية فى شرح هذا القول على قدر ما بدأ من المسئلة والجواب تابعت

عاملك الله من هذه المقايسات الثلاث لانها متواخية فى بابها اعنى انها فى حديث النحو واللغة والمنطق والنظر و
بهذا تبين لك ان البحث عن المنطق قد يرمى بك الى جانب النحو والبحث عن النحو يرمى بك الى جانب المنطق ولولا
ان الكمال غير مستطاع لكان يجب ان يكون المنطقى نحويا والنحوى منطقيا خاصة والنحو واللغة عربية والمنطق
مترجم بها ومفهوم والخلل على قدر ذلك قد دخل فيها بنقل بعد نقل وشرح بعد شرح

٢٥

مقايسة اخرى

قال سمعت شيخنا ابا سليمان يقول معارف الناس بالقول المجمل على التقريب تنقسم اصولها الى الظن والوهم



الحس والعقل واليقين والشك والغالب السابق والايهام والايجاس والخاطر والسانح واللائح ثم ان هذه كلها
تتخالف مرة وتتلابس مرة وتتراءى مرة وتتوارى ولن يخلص مطلب من المطالب لاحد من المذاهب من شوب
مثلها على قدر القلة والكثرة والضعف والقوة واللين والشدة على حسب المزاج والهيئة والخلط والطبيعة والمنشأ والعادة
وعلى ما يجب للانسان من استبداده او تقليده ولو خلص مظنونه من موهومه وتميز محسوسه من معقوله وانفصل معلومه من
مجهوله وبان ملتبسه من هواه لكان لا يدخل الظن في العلم ولا يدب الحس في العقل ولا يتفشى العقل في الحس ولا يكدر الحق
بالباطل ولا يصفو الباطل بالحق لتوضحت الاشياء باعيانها ونقيت من ادرانها وزال شك الناظر في اثنائها ووقع على حقائقها
وانبائها وعاد ثلج الصدر باليقين معمور النفس بالسكون غنيا عن تأليف القياسات البرهانية وتصنيف فنون القول البياني
ولكن الانسان مضروب بالظن والحدس مصنوع بالعقل والحس ومردود بين النقص والزيادة ومعرض في كل وقت للشقاوة
والسعادة لا فكاك له من جميع ذلك ما دام في سكر الطبيعي وعقد الجزئي وجهل الكلي اللهم الا ان يلبسه الله لباس الحفظ و
يغشيه غشاء العصمة فحينئذ ان قال قال الصواب وان فعل فعل الواجب وان اعتقد اعتقد الحق وان هم هم بالخير وان نوى
نوى الجميل وان حث حث على الصلاح وان زجر زجر عن الفساد وان لحظ لحظ العلو وان غض غض عن السفل فقال له
بعض الحاضرين فكانه يفارق الطبيعة البشرية وينسلخ من العوائق العنصرية فقال يفارقها من وجه ولا يفارقها من وجه
بان يميت هواجسها اماتة ويسكن سوانحها تسكينا ويخمد لواعجها اخمادا او يقتدر على بلوغ هذه الغاية اقتدارا ولا
يفارقها بان يبقى انسانا لا طبيعة له ولا مزاج ولا بشرية فهذا امر لا يجب ولا يكون وتدبر ما امكن من ذلك تدبرا جيدا وزكا
المنية والشرف على حال سنية وهذه هي حال الفلاسفة الكبار وحال البررة الاخيار وحال من قد خص بالزلفى واناف على
الذروة العليا واندرج في هذا وما شاكله يقوى بدر وتبرع وتمر وكان كاملا بهذا الفن لا يؤتى فيه من عي ومني بلا
من نقص ولبس في مجلساؤه عنه في هذه العشية وكانما قد نهلوا من الخمرة الصرف والشراب العتيق وكان كلام اكثر من هذا
ولكن الى ههنا بلغ حفظي وتنبهي وسير عنده ما يشفي القوم ولا يورث السأم ان شاء الله تعالى **مقابسة اخرى** ٢٦
سمعت ابا اسحق الصابي الكاتب يقول رايت ثابت بن قرة الحراني في المنام قاعدا على سرير في وسط دجلتنا هذه وحوله
ناس كثير كان كل واحد منهم من قطر وهم على خلق مختلفة وهو يعظهم وينبههم في خلال وعظه وكلامه وحصلت عنه
نكتة شريفة ذهبت مني في اليقظة وساءني ذلك هذا وكنت اسرح تفكري كثيرا في الظفر بها والوقوع عليها فلا يعود
فلما كان بعد دهر وبعد اختلاف احوال ذكرت انه قال خذ يا ابراهيم ثمرة الفلسفة من هذه الكلمات الشافية التي
هي خير لك من اهلك وولدك ومالك ورتبتك اعلم ان اليقظة التي هي لنا بالحس هي النوم والحلم الذي لنا
بالفعل هو اليقظة ولغلبة الحس علينا نرى تفقنا ان الامر بخلاف هذا ولا فغلب العقل مكان الحس يتصدع لك الحق في
هذا الحلم فاذا وضح هذا فالواجب ان ينبغي ان ينقص من الحس ان ظننا ان اليقظة من ناحيته ونلتبس بالعقل في انه
ظننا ان الحلم من ناحيته وكان ابو اسحق يقول وهذه النكتة تفرق شيها ولكن بقي ان تفهم منتفعا بها وتسمع على
وجه التقبل لها لا على معنى الاعتراض لها الفلسفة هي لطائف العقل فكل من لطف وصل اليها ولطف الانسان
في طلبها هو تأتيه عند التفهم وصبره عند الطلب وشأنه على السيرة التي ندب اليها المشفقون الناصحون فان العقل
تركوا عند ذلك والصدر ينشرح والخاطر يتوالى فلا يبقى حينئذ باب الا انفتح ولا مشكل الا وضح **مقابسة اخرى** ٢٧
سئل ابو سليمان هل يجوز ان يقال الانسان ذو نفس كما يقال حوض وثوب وذو ومال قال اما على التحقيق فلا وذلك

ان الانسان قد يكون ذا ثوب وذا مال وقد لا يكون ويستحيل ان يكون الانسان انسانا الا وهو ذو نفس الا على السعة والمجاز قيل له فهل تقول ان النفس ذات انسان قال لا لانها غنية عن الاضافة الا ترى انه لا يقال ان الثوب ذو انسان وان اليد ذات انسان لا يقال ذو ثوب ولا انسان ذو يد لانه لا حاجة بالثوب الى الانسان وانما الحاجة بالانسان الى الثوب واليد ثم قال واعلم انه ينبغي ان يفهم من قولنا الانسان ذو نفس انه بالنفس انسان لان الانسان عرف بالنفس انه انسان ومما يزيدك بيانا انك اذا قلت ذو نفس فقد صرت في الانسان نفسا في الاول ثم ميزته بعد بقولك ذو نفس وهذا رجوع فيما اعطيت الا ترى انك اذا قلت الانسان ذو ثوب لم يتضمن الثوب في الانسان بل تميزه منه حتى يكون اشارتك الى هذا غير اشارتك الى هذا فقد انكشف ان الانسان لا يقال هو ذو نفس الا على سعة وتجوز ومما يزيدك ايضا استبانة ان معنى الملك يستحيل في هذا الكلام وقولك الانسان ذو ثوب ايضاح الملك والملك غير المملوك وليس الانسان مع النفس فانه لا يملك النفس بل النفس تملكه الا ترى انها تصرفه وتكلفه وتستعمله وتستخدمه فاين معنى الملك الذي يقتضيه اللفظ في جميع نظاير هذا القول والسلام **مقابسة اخرى** قيل لابي سليمان هل هاهنا غير المعقول المحسوس فقال الترتيب في القسمة الصحيحة يضاعف هذا ويزيد عليه



٢٨ وذلك ان لنا اشياء كثيرة في هذا الباب اولها محسوس ثم محسوس معقول ثم معقول بحت لا معقول محسوس فاما المحسوس البحت فما للبهيمة وما يجري في حكمها واما المعقول المحض فما للفلك باسره واما المحسوس المعقول مما يتخيله الانسان الذي لم يصف بعد واما المعقول المحسوس فما يدركه النظر بالبحث وكلما امعن هذا بلغ الى عالم الاجرام الناطقة الحية التي قد غنيت عن الحس بفضل ما لها من الفيض الالهي ثم قيل له فما ذا ينبغي قال قد قلنا مرارا بان تستنير نفسه بالمعارف الصحيحة وتعدل سيرته على الطريقة العقلية وتطهر اخلاقه من الاوساخ الطبيعية وتنفذ قوته في الامور العالية قيل له فلم استغنى في نهاية المعقول عن الحس ولم يستغن في نهاية الحس من العقل فقال لان المعقول في نهايته حتى والحس يحتاج الى ما ارتفع اليه ولا بد من حس يبين به الخلق في العموم ولا بد من عقل يوصل به الى الباري على الخصوص والحس رايد ولكنه يرود لمن هو املا منه والعقل مستزيد لكنه يستزيد ممن هو دونه فهذه صورت العلة في الاصل والفرع اصل الوجود وفرع العدم فراجعه وانتهت الحال تامة الى ما لا يعرفه الجاهل ولا يدركه استحسارا ولا ينالها المترف كسلا والسلام **مقابسة اخرى**

٢٩ سمعت النوشجاني يقول قد وضح بالعبرة الصحيحة والتصفح الشافي والنظر البليغ ان الفاعل الاول هو علة كل ما يرى ويوجد ويعقل ويحس لا قصد له في افعاله ولا غرض ولا مراد ولا اختيار ولا روية ولا توجه ولا عزيمة ولا معالجة ولا مباشرة ولا مزاولة ولا محاولة فقال له بعض الحاضرين لو ايدت هذا القول ببرهان ساطع او بدليل مقنع كنت قد شيدت ما اسست وقويت ما بنيت فقال ان هذه كلها دخلت افعالنا لعجزنا وفسولتنا واختلاطنا وضعفنا وتهافتنا وتحولنا وتبدلنا وسيلاننا وحيوت مكاسرنا بها وتمت نواقصنا بمواصلتها واشتدت مفاقرنا باستعمالها فاما الباري الحق الذي هو واهب كل كامل كماله وجابر كل نقص نقصه فهو على عن الاغراض والعلل والمسالك قال له السائل فكيف اتفقنا على انه منعوت بالحكمة وافعاله على ما زعمت وكيف بيان عن هذا ويتحقق حتى يخلص من شوائب الحظ والقلوب وسائر اللفظ من الالسنة فقال لعمري ان في ايضاحه لصعوبة وعسرا وان كان العقل قد قضى بما قدمته وعلى صعوبة ذلك فاني اولف على التقريب قولا عسى ان يكون للسامع فيه رضى ومقنع ان لم يكن فيه براء ومسمع ثم ابتدا فقال قد وجدنا في افعالنا ما ينتسق بعض الزمان من غير قصد مفروض ولا مراد متوجه ويشتمل مع ذلك على النظم والاتقان والصواب والاحكام والمواءمة والسلامة حتى نتعجب من انفسنا غاية التعجب ونتهادى الحديث به وليس منا احد الا وهو يجد هذا لنفسه


مختلف

من فعله اعني البادر والخارج عن قصد متقدم وعزم مستحكم ورأي مثبت ومقدمة مرتبة وحتى يظن كثير منا ان ذلك انقلب بلا مؤامرة وانبجس بلا فكرة وانبعث بلا روية وتم بلا قصد وحدث بلا تقدمة وعرض بلا علة وكانه كالشيء البائن بنفسه القائم بذاته وعند اتفاق الامر على التمام وانتظامه يكثر شكرنا الله عز وجل وحمدنا اياه فهو انه كان صنعا منه لنا ولطفا منه بنا وبدءا سبقت بالحسنى الينا ونعمة من الله تعالى توالت علينا وقد تتصل ببعض افعالنا واعمالنا ايضا بالقصد والعزيمة والرأي والعصمة والروية وسائر مقدمات العقل واوائله وواعيه وتوابعه ومع ذلك تزل عن شرح النظام وتعدل عن طريق التمام وتحيد عن سنن الغاية وتزول عن بلوغ الحد والنهاية فالاول النادر منها منهاج لنا ان نعلم ان الفاعل الاول احكم فعله ذلك الحكم بلا اجل منا يعنا كثيرا وانما ضربنا هذا المثل تمثيلا وان الذي كان منا في القينة بعد القينة والفرط بعد الفرط هو الذي يكون منه على الديمومة والسرمدية على هيئة اشرف مما يعتاد ويستأنف والثاني النادر منه ايضا طريقا لنا الى ان نعلم نقصنا في كمالنا وعجزنا في قدرتنا لان القدرة تخص والروية تتقدم والغرض ينتصب والفعل يمكن والتحيل يقع ومع ذلك لا يتم الفعل ولا يصح المقصود وفي النادر الاول يتم ذلك كله وليس هناك داع قوي ولا ضعيف ولا شيء من موجباته واه ولا حصيف وبين هذين النادرين بحبوحة الافعال بالاستطاعة والقدرة والقوة والتمكين والدواعي لا يدفعها دافع ولا يمنع من الاعتراف بذلك ممتنع فقد شهد العقل في مراتب هذه الافعال بين ما قدر في الطرفين وبين ما استمر بينهما بان الفاعل الاول يفعل ما يفعل بغير قصد ولا روية ولا اختيار ولا غرض بشهادة ما يبدر من الانسان في وقت دون وقت ولو تمت افعال الانسان ابدا بلا قصد ولا روية ولا غرض ولا ارادة وصار هذا النادر منه مألوفا كانت هذه القوى فيه فضلا او عبثا ولو كانت ايضا تتم ابدا بها ومعها وعندها ومن اجلها كان مضافا اليها ومحمولا عليها غير موقوف في عرضها على اسرارها ولا مدعوا الى البحث عنها ولا منبه على اعتبارها واستتارها فاعاد الله هذا الانسان هذه القوى عارة والبسه هذه الجلابيب البائسة ومترفه فيها تصريفا فان يربها شيء فلان المعوق حاش هذا الانسان الى الاذعان والطاعة قلت له وقد يبلغ بهذا الموضع بعد ابنها وجهه ولم يبدر من الانسان ما يبدر في الاول فالان فيه جنية الاهية وجزء ربانيا يتسق به ما يتسق ومن اجله يتفق ما يتفق قلت فلم يبدر منه البادر الثاني قال لان هيولاه عالية وطينته سائلة وصورته التي هو بها ما هو ممتزجة ولا بد للهيولى من الانفعال الذي هو من شأنها كما لا بد للصورة من الفعل الذي هو من شأنه وكل متقدم منها فلما اثرهما ظاهر الى ان يغلب سلطان الصورة فيبطل حكم الانفعال ويغلب سلطان الهيولى فيبطل حكم الكمال والمرجح بين هذين هو الذي يسلك الى الغاية التي يسعد بها والى النهاية التي يشقى بها ونحن نسئل الله عصمة تقي ونعمة تزيد وتنمي قد زال ابقاك الله عن سمعي وبصري ومدركي كثير من كان صلة لهذه الجملة والبقية كما تراها ويعمها لحها العقل بالتحيير والرجب فيتلقاها بالبشاشة والبشر وليس يوصل الى اعماق الفلسفة وعويص الحكمة الالهية الا بالاشارة والايماء والرمز والايماض

مقابسة اخرى

٢٠

قيل لابي زكريا الصيمري بباب الطاق في الوراقين وابو سليمان حاضر بلغنا انك لا تقول ان الباري شيء وهذا مذهب كالشنع ان لم يكن كالمحال والمعروف غيره عند كافة الناس فقال قولنا شيء ليس باسم ولا فعل ولا حرف ولا نعت ولا مصدر ولا ظرف ولا حال ولست اجد انصابا يقع فيه ولا منزعا ينزع اليه وانما صار له مفهوم بحسب اتصاله بغيره وانضمامه الى ما يتم به كقولك هذا شيء اذا اضفت الى نفسك وهذا شيئك اذا اضفت الى مخاطبك وهذا

شيئ فلا تبق على هذه الوتيرة المعترف بها واما قولك شيئ على نكرته واصله وتجرده فليس يجلب فائدة ولا يحدث ثمرة ولا يوجب
علما والنفس لا تاخذ منه معنى والفهم لا يخلو منه جملة والحس ينفر عنه ضربة واحدة فاما ان عرفته بالالف واللام
فقلت الشيئ فانه لا يكون له ايضا ثمرة حتى تتصل المعرفة المجتلبة اليه بغيره وتنكشف اللهم الا ان يكون بينك وبين صاحبك
عهد بشيئ من الاشياء فحينئذ ذلك العهد يشير الى غير ذلك الشيئ الذي في نفسك ويذكر عهدك به وعهده بك
ثم قال فان قلت مستزيدا لم لا يكون للاسماء قيل لانه لا ينبغي ان توجد شيئ من الاشياء ثم يولى سما بانه زيد او نعت
بانه قيل او حال بانه قائم وخاصة بانه ضاحك وسائر ما يتبع هذه الاوايل مما لا يحصى كثرة وهو مشهور عند كل احد
فان سميت ما لم يوجد فذلك لانك اعرته اسم اخر موجود فان قلت فلم لا يكون نعتا قيل لك لانه قبل ان ينعت
يكون شيئا وانما النعت يقرره ويميزه ويحليه ويوضحه عنه فان قلت ومن اين كان هذا هكذا قيل لاشتمال قولك الشيئ
واحتوائه لا ترى انك تطلقه على العدم على تفاوت درجاته كما تطلقه على الموجود على تباين طبقاته وتعين ما في الحس
تعيينا كما تشير به الى ما في العقل اشارة وتستعمله فيما يفرض فرضا من غير حقيقة كما تستعملها فيما هو موجود له حقيقة
فلو توعد على كل ما عدم ووجد ويعدم ويوجد لما وجب ان لا يطلق على من كان يعلو على كل شيئ وهو منبعث بكل شيئ
ومعلي كل شيئ على ما هو به من جسم وجوهر ومحسوس ومعقول ومفروض ومعلوم ومشهود وموهوم وبائد
وثابت وكنت سمعت الشيخ علي بن عيسى الرماني النحوي الصالح يقول الشيئ مصدر شاء يشاء شيئا كقولك جاء
جيأ والمشية كالجيئة وانما اعمل على ما ترى لتعلق ما يجد حسا وعقلا وظنا ووهما فالمشيئة والشيئ بهذا المعنى بعض خصائص
الاسم وخرج به عن اصل المصدر ولهذا اشباه وقال ابو سليمان في هذا المجلس زائدا في هذه الفائدة لا ينبغي
ان يطلق على الباري موجود قلنا ولم قال لان الموجود مقتض للواجد لا محالة والواجد في صيغته مقتض للموجود
لا محالة فالرباط قائم والتعلق بين والله تعالى يجل عن هذه الرتبة لانه لا واجد له ولو كان له واجد لكانت مرتبة
الواجد فوق مرتبة الموجود بدلالة سائر الاسماء والصفات قلنا له قد قيل معبود ومحمود وموجود وما ضارع
ذلك فقال اما اذا تجوزت في الكلام وتفسحت في العادة فكل هذا على باب واحد وانما الخصوصية للذين
دققوا في التوحيد من هذه الجهات الغامضة والاشارات اللطيفة على ان الذين اباحوا هذه الاسماء اعاروه اياها
لانهم نقلوه عن غيرها ونعتوه بها وتلك غاية طاقتهم ومبلغ علمهم ونهاية جهدهم ثم قال ان اطلق الموجود على انه
فقط جاز لان الموجود في الاول انما اقتضى الواجد وصار مضمنا به لانه التبس بالصفة فاما اذا جرد اللفظ من معنى
النعت واستعمل على مدرجة الاسماء لم يكن كبير تقصير الا من وجه واحد وهو ان هذا الاسم بعينه هو صفة في
مكان اخر فالشركة حاصلة ضرورة والتوحيد مباين للشركة كانت الشركة مجازا او اشارة او تثبيتا وحقيقة وهذا كما
تسمع ومما ازيدك استبصارا وتعجبا منه واستغرابا له وهو نمط ما سمعته من صنف من اصناف الناس فان سرك
فاستفده وان سقط عليك فدعه لاهله فلست الغيار على هذا الطلق

مقابسة اخرى

سمعت مقلدا يقول
لو انتهى غرض من تقدس وعلا في الانسان مع هيئته المعروفة وحليته المالوفة الى ان يموت ثم لا يكون له بعث
ولا نشور ولا معاد ولا منقلب لما كان ذلك قادحا في الهيئة ولا متحيفا الطرف من اطراف حكمته ولا معاندا لما
يليق بربوبيته فكيف وقد نصب العلامات واحكم الشواهد والبينات واقام البرهان والايات على تحقيق المعاد
وحصول السعادة والشقا بحسب الصور الموجودة الواحد واحد ثم قال لو سئلنا العقلاء باسرهم او سئلنا



اعقلهم فقلنا ما تقول في بدنك اذا بطل باسره ولم يبق منه شيء الا العين التي من شأنها ان تبصر الاشياء فان جوابه
لا بعد وان يكون اذا لم يكن بد من فناء جميع البدن باجزائه فلان تبقى العين وهي اشرف ما فيه والسمع وهو في الشرف
خير من ان لا يبقى شيء ويبيد كله ويضمحل جميعه قال فيقال له فكذلك النفس في بقائها بعد ان يصرح عنها
قشورها وتفارق مختارة لبوسها قال وانما ضربت هذا المثل وعرضت هذا التشبيه لانه تمثل لي قائل الانسان لا يبقى
فاذا لم يبق الانسان فاية فائدة فيما يبقى منه اولها وآخره قال وهذا الضرب المثل بمن لم يولد اعني لو قيل لا سبيل الى بقائك
بذاتك لانك لا تحتمل ذلك بعنصرك ولكن يبقى بعدك ولدك الذي هو بضعة منك وفاضل عنك لاثر بقاء ولدك من بعدك
ايثارا احسن واطيب للنفس فانه يرى ان ولده منه وهو هو لانه يرى مصاصته وخلاصته وبصاصته وسلالته ولا يكاد يفصل
بينه وبين نفسه الا بالشخص والشخص فقط ثم قال موضحا لما اتصل بصدر كلامه اعلم ان الانسان لا يبقى انسانا لان
الانسان بما هو انسان يحده المنطقي فاذا اصفا بما كان به كدرا وانبسط الى ما كان عنه منزويا وانتهى عما كان به محدودا وارتقى
عما كان به هابطا محطوطا وخلع الصورة الملابسة للحس والغشاء اللاصق به من ظاهره فانه حينئذ يكون الباقي الذي
كان مرة انسانا لان الانسان اسم للحد المعروف اعني الحي الناطق المايت فاذا ارتفع الحد ارتفع الاسم وحقت الحقيقة التي
كانت للنفس موجودة بها حاصلة الا ترى ان الانسان اذا اقدم فكره في حالته الخالية الايام الماضية قبل ان حوى حده وملك
صورته واقتنى به خاصته ونوعه وفصله وجنسه وعرضه ثم انه كان على حال اخرى ولم يكن يجب من ذلك ان لا يكون في
الثاني على هذه الجملة فكذلك ان كان الآن على ما هو عليه ثم تحول عنه الى ما ليس الآن عليه ليس ينبغي ان يكون منكرا مردودا
متعجبا منه مجحودا لان الذات باقية كما كانت في الاول وانما تخللت حجبا وقطعت طرفا واستعملت اشكالا واظهرت
احوالا واستكملت استكمالا ونالت شرفا وعلوا وجلالا

٣٢

مقابسة اخرى

سمعت عبيدة الكاتب يقول لابي محمد العروضي وكان ابو محمد يتفلسف ولزم يحيى بن عدي دهرا انا قليل الرؤيا وقد ساءني هذا وقد خلت ان ذا من
عمى القلب فقال ابو محمد هذا يكون من امرين مختلفين لم تتبين احد الامرين كدر النفس بالجهل وظلمتها بالغباوة وتجمّها
صورتها بصدأ الدهر وقلة اقتناء المعارف وشدة انجرادها من الخير وهذه حال دهماء العوام واما الآخر فهو ان
تعلو النفس في مراتب المعارف وترتقي برياض العلم فيصير حالها في الحلم قسيمة حالها في اليقظة الى الكهانة حتى اذا احلس
قرطس واذا ظن ظن واذا اوهم هجم واذا اعتبر عبر وربما تحولت الى ما يرى فيه العقل فقط باستخراج الدقايق وتاليف
المقدمات واستنباط النتايج والوصول الى سواد الحق وبحبوحة الصواب وربما صارت الحال مصارحة للحقايق
بزوال الوسايط اي من غير اعمال اداة واحضار آلة قال وهذه كلها من درجات النفس تارة من ناحيتها بالبحث
والتنقير والنظر والتغليب وتارة بالوحي والالهام والالقاء والسنوح والموافقة والمصادفة وما جرى في نظاير هذه
المعاني واللبس بما يكون شطرها وهذه حال تقع اولا في مزاج مهيأ وترتيب معتدل وطينة حرة ثم يظهر ثانيا بتهذيب
النفس وتطهير الاخلاق وتصفية الاعمال وقمع الشهوات وكلما كان قسطه من الحال الفلكية اوفر كان مضارعه في
الحال البشرية اظهر وهذا باب طويل الذيل متساو فيما وقع النفس عليه ووصلت الاشارة اليه بلاغ لمن اوتي رشده
وقصد حظه وبذل سعيه وأمّ غايته وفقنا الله لما يحب واستعملنا فيما يرضى انه قريب مجيب

٣٣

مقابسة اخرى

سئل ابو محمد العروضي مرة عن الحركة والسكون ايهما اقدم فقال اما عند الحس فالحركة اقدم واما
عند العقل فالسكون اقدم وبعد فالسكون عدم الحركة وكل حس فقوامه بالحركة وكل عقل فصورته بالسكون و

نظامه بالعهد وخاصته بالطمأنينة واثره بالقرار وقوته بالنفس وكان من فيض العلة الاولى وجوده لان هذا النعت لكل
ماده ونه فالاستعارة له بالواجب والحقيقة والسكون عند العقل عدم الحس والحركة عند الحس تاثير العقل و
المال اما الرشد ربما اعني اكثر قوله وسمعت ابا سليمان يقول ما هو نهد لهذا القول وجارمعه فان سكون العقل
في نوع الحركة وحركة الحس في نوع السكون لان حركة الحس الى الاضمحلال والنكول وسكون العقل الى الكمال
والحصول وقال انما الحركة التي نعتقد انها ضدا اعني السكون هي الحركة التي للقفار وبلاد الحس فاما الحركة لنوع السكون
فلا ضد لها بوجه لان العقل كل بمعنى واحد وواحد بمعنى كل وله هذا باشتمال العلة الاولى عليه واقتباسه منها و
قد وضح ان السكون عدمها فكيف يكون ههنا وجود قيل له في هذا المكان فالعالم ساكن او متحرك فقال لو كان متحر
الحركة المعروفة لقلق وارجحن ومال وتهافت ولو كان ساكنا لبقي ذلك على حال ولكنه متحرك حركة استداره فلذلك ما
يظن به سكون وساكن سكون قابل للفيض فلذلك يظن به الحركة فالتشوق حركة ولكن عقلية والدوام على التشوق سكون
ما ولكن عقلي فكل ما قد فاض من العلة الاولى يقبله المعلول الثاني وهو موجود على مراتبه المتباينة ودرجاته المختلفة بين
الطرف الادنى الى الطرف الاقصى ومع ذلك نقد وقف الجميع تجاه كل متصفح وقبالة كل باحث فليس يذهب من جميع
ذلك بشيء الا بسوء الاختيار وقلة الاقتداء بالافاضل الاخيار حفظك الله ولو انتفعنا ببعض هذه الفقر الكريمة سعدنا و
نلنا منيتنا فسل ربك ذلك بالتضرع اليه والخضوع بين يديه مع العبادة الدائمة والبحث اللطيف والتؤدة المعتادة و
الانحياز الى البرية فانك تعطى بغيتك وتبلغ غايتك وتنال سعادتك ان شاء الله تعالى **مقابسة اخرى** سمعت ابا زكريا

٣٤

يقول وكان صحب عيسى بن عدي دهرا وهو حملني بدعوته اللطيفة الى مجلسه من البين ان الموجود على ضربين موجود
بالحس وموجود بالعقل ولكل واحد من هذين الموجودين وجود بحسب ما هو به موجود اما حسي واما عقلي فعلى
هذا النفس لها عدم في احدى الموجودين وهو الحسي ولها وجود في القسم الاخر وهو العقلي وقد كان الدليل على
هذه الحال حاضرا في هذا العالم وذلك انها كانت تنقد وتستنبط وتعقل وتستنبطن وتنظم المقدمات وتدل على
ينابيع المعلومات وتعلو الى غاية الغايات وليس للحس معها شركة ولا له عندها معونة ومادة فكيف لا تكون النفس التي
هي عنوان كيانها وصريح كنايتها وفاضل عنايتها بعد مفارقة القشور والحواجز والحيطان والحواجب والغواشي الملابس
عن الحس اغنى وبجوهرها اعلا وبخاصتها اسنى وهذه الاشياء عنها ابعد وعن شرفها اهبط وهل هذه الشهادة
الا عادلة وهذه البينة الا مقبولة وهذا الحكم الا مرضي وهذا المثال الا بين ثم قال والحايف الحكمة لا يصل اليها الحس
الجافي والغليظ القدم والجلف العبام والعبل الجز العلفوف وانما هي تعرض لمن صح ذهنه واتسع فكره ودق تجنبه
ورق تصفحه واستقامت عادته واستنار عقله وعلت همته وخمد شره وغلب خيره واصل رايه وجاد تمييزه و
عذب بيانه وقرب اتفاقه قيل له هذا عزيز جدا الان   ومحصولي من ذلك
ما سمعته الان فسر نفعنا الله به وجلانا بازينه واستعدنا بقبوله **مقابسة اخرى** سمعت ابا اسحق النصيبي

٣٥

المتكلم وكان من غلمان جعل يقول ما اعجب امر اهل الجنة قيل وكيف قال لانهم يبقون ابدا هناك لا عمل لهم الا الاكل
والشرب والنكاح اما تضيق صدورهم اما يكلون اما يربون بانفسهم عن هذه الحال الخسيسة التي هي مشاكلة لحال
البهيمة اما يانفون اما يضجرون واخذ في هذا وشبهه يبوح مستغظا وكان يقول بتكافؤ الادلة ويجيب من اكثر
الناس ويفلح فيه ابن الخليل ويناقله عليه ولعمري انه من طلب طمأنينة النفس ويقين القلب ونعمة البال بالجريرة اصحاب الجدل

واهل البلاد حل بهذا البلاد واحاط به هذا الشقاء والكلام كله جدل ودفاع وحيلة وايهام وتشبيه وتمويه وترقيق وتزويق وتخايله وتوريه وقشر بلا لب وارض بلا ريع وطريق بلا منار واسناد بلا متن وورق بلا ثمر والمبتدى فيه سفيه والمتوسط شاك والحاذق فيهم متهم وفي الجملة آفته عظيمة وفايدته قليلة نعم فاعدت على ابن سليمان قوله بعينه وحكيت له شمايله فيه فقال في الجواب انما غلب عليه هذا التعجب من جهة الحس لا من جهة شيء اخر وهكذا كل فرض بالحس ولحظ بالحس لانه قد صح ان شان الحس ان يورث الملال والكلال ويحمل على الضجر والانقطاع وعلى السامة والارتداع وهذا منه في قوى الاحساس ظاهر معروف وقائم موجود وليس كذلك الامر في المعاد اذا نوحي من جهة العقل لان العقل لا يعتريه الملل ولا تصيبه الكلفة ولا يمسه اللغوب ولا يناله الصمت ولا يتحيفه الضجر وهكذا حكم في المشاهد الحاضر والعيان القاهر لولا عقله النصيبي ونظرائه المرتهن انه كان في هذه الدار على شوبها وفسادها وكدرها وبثورها كان العقل لا يكل معقوله ابدا ولا ينقضي منه ابدا البتة ولا يطلب الراحة عنه بوجه بل كان العقل اذا وجد معقوله وتوحد به صار هذا اقد احيى لا يوجد بينهما بين بحال فكيف اذا كان المنقلب الى عالم الصرف الذي لا حيلولة ولا تغير له وهو الوجود المحض والامر الصرف والشيء الذي كلما عرفته بالصفة بعد الصفة كان عنها اعلى وكلما اوضحته بالعبارة كان عنها اخفى واطال هذا الفصل وعلقت منه جميع قدر ما قررته في هذا المكان ولعلك تجد بما اكون منصورا فيه عندك غير ملوم على اساءتك وفي الجملة القول في حصول النفس بعد خلع الحق الذي خص به الانسان صعب ولولا امثلة توضح ايضا حايثق به الانسان مرة بعد مرة لكان باب معرفة حالها قد ارتج والطريق قد سد وقد بين هذا كله بالبرهان المنطقي في مواضعه المعروفة ان كانت الثقة تقع كذلك فاما هذا المقدار فانما جرى في عرض مقابسة هؤلاء المشايخ بينهم بالحديث والاسترسال فليكن العذر فيه مقبولا عندك بحسب الحال التي قلبت ظهرها لبطنها لك مرة بعد اخرى فهذا الولوع مني بالاعتذار احساس بالتقصير اما من جهتي فلسوء الرواية واما من جهتك فلقلة الدراية فانا اسئل الله رب العالمين ان يفرغني لبلوغ غاية هذا الامر بقية عمري فانها فيما اخال قليلة وما يرجو المرء بعد الالتفات الى الخمسين حجة قد ضاع اكثرها وقصر في باقيها الا اذا اراد الله نجاة عبد تولاه بلطف من عنده

ع۳

مقابسة اخرى سمعت النوشجاني يقول الباري الحق الاول والاحد منبجس الاشياء كلها ومنبعها وعنه تفيض فيضا فيه وتغيض غيضا لا على حد اللفظ الذي يرسم نحو عن فصلا وفي في وصلا بل على حد العقل الذي يقضي بالشيء على الشيء من غير اثبات بينونة ولا تاسيس كينونة فان الاشكال والحدود من الاقوال والاعراض منفية في ساحة الالهية لكنها رسوم محركة للنفوس تحريكا وكلمات مقربات من الحق تقريبا تبلغ بالسامع الى درجة ذلك كله تبليغا وكلما كانت هذه الرسوم اتم واحسن والكلمات ابهى وابين كان التحريك الطف والادراك اشرف وهذا لما يضرب عنه بيان الى بيان ويؤثر كلاما على كلام ومثال هذا التحريك حاضر من الاشكال والخطوط والصور والنقوش ثم قال الوحدة شايعة في جميعها ومحيطة بها كلها ومشتملة عليها باسرها فصارت على هذه الاشياء بالوحدة تتشاكل وتتكامل وبالكثرة تتخالف وتتفاضل فالمعنى بالتصفح المولع بالتعرف قد يلوح له تارة كالمركز من المحيط وتارة كالمحيط من المركز وتارة كالدرة في البحر اعني بهذه الفقرة لما بينهما فافطن له فاذا الحظ الاول فكانه صادر مع الصوادر واذا الحظ الثاني فكانه وارد مع الموارد واذا الحظ الحشو بين الطرفين فكانه كل هذا وكل ذاك ومن اجل الاحاطة الشايعة والاشتمال الاول ما انقسم المطلوب عند الطالب بين المحيط والمركز

انفسا امامفروضا لا محققا فالنسبة على هذا واحدة والوصلة ثابتة ولكن القوابل مختلفة والوجوه والامكنة متباينة النواحي
والآن منة فعلى هذا المختلف لفروع والراجعة الى الاصل المبدئ للفرع وهذا كلام غامض من وجه ومن رجع الى فطنة
ربانية وقريحة صافية لحظ من هذا الكثير ما ضمنت العبارة وانت عليه الاشارة **مقابسة اخرى** قال ارسطو

٣٧
طاليس فيما ترجم من كلامه عيسى بن زرعة المنطقي البغدادي بو علي الانسانية افق والانسان متحرك الى افقه بالطبع و
دائر على مركزه الا انه موقا بطبيعته ملحوظا بالخلاق بهيمية ومن رفع عصاه عن نفسه والقى حبله وسيب هواه في مرعاه
ولم يضبط نفسه عما تدعو اليه بطبعه وكان لين العريكة لاتباع الشهوات الرديئة فقد خرج عن افقه وصار الى رذل من
البهيمية لسوء ايثاره هذا اخر ما ترجم من هذا الفصل وهو كما ترى وعظ بحكمة وايقاظ برافة وتعليم بنصيحة وارشاد
ببيان لو روى هذا الحسن البصري ومنصور بن عمار وضربا بهما ما زادا على ذلك وقد اتفقت الاوائل كلها على اصلاح
السيرة وتصحيح الاعتقاد والسعي فيما اثمر واجدى والاعراض عن كل ما شغل البال واثار الشهوة لتبلغ النفس غايتها

٣٨
وتسعد في عاقبتها ولا يكون لها عكس في هذا العالم ولا ترد على ما قد خوف من ذلك كثير منهم والسلام **مقابسة
اخرى** قلت لابي علي هذا ما معنى قول القائل العقل يحرم كيت وكيت العقل نطق بكيت وكيت فقال معنى ذلك
استحسانه الحسن واستقباحه للقبيح والاستحسان تحسين لك والاستقباح تقبيح عليك والتحسين اطلاق والتقبيح
حظر وانما كان هذا من العقل هداية لذي الطبيعة لانه يرى مع الاول والطبيعة هي معنا من لدن خلقنا فاذا استحكم
سوء ادب ذي الطبيعة وطال انفسك حتى يصير كانه بعض هذه البهايم في الجهل او بعض هذه السباع في التنزي و
الوثوب وكان في الاصل محدودا بالنطق ظهر من قوته بالعقل ما حفظ حياته عليه ونشر فضله وشحن جوهره ويسر
امره واظهر مكنونه وذلك كله تنبيه العقل وتحريكه وتحسينه وتقبيحه فمن استجاب كف غرام طبيعته وامات
عليه شهوته بالتدريج والترتيب ليكون ممن اصغاؤه الى نصح العقل وهدايته اتم ويكون استضاءته بنوره اشمل
واعم فلهذا كان للعقل تحريم وتحليل وحظر واباحة ومنع واجازة وكف وحث واطلاق وقيد وحبس وبعث لا

٣٩
على ما يظنه من لا خبرة له بالحقايق ولا استجابة له عند داعي الرشد **مقابسة اخرى** قيل لابي سليمان كيف يفعل العاقل
اللبيب والحازم الاريب ما ينده عليه وكيف يقدم على ما يعقبه تبعة ويأتي ما يأباه بعقله ويكرهه بدينه ويعافه بمروته
ويكون بعادته ويمنع منه غيره بنصيحته هذا مع اختياره الذي هو اليه واستطاعته التي هي حاصلة لديه مع عقله
الذي هو كاللجام والزمام والقاضي والامام فقال الاختيار والاستطاعة والقوة والقدرة والحزامة والعزيمة والرأي
والروية والشهامة والصريمة والتحصيل واليقظة وكلما كان في قبيلها وجاريا في حلبتها ومشاكلا لها ونازعا اليها وداخلا
في حوزتها ليست هي للانسان على طريق الملك يصرفها كيف يشاء ويقلبها كيف يريد بل هي له من جهة التمليك فلو
كانت على جهة الملك ما زل زلة ولا ضل ضلة ولا ندم ندامة ولا اذعن ولا التز مولية موجعة ولا زحم زحمة موحشة
ولا نكص على عقبيه متحيرا ولا بقي منكسا مبهورا متى كانت عنده على وجه التمليك من مالكها بقيت منها بقايا
عند مالكها متى شاء تمام فعله امد منها بما يتم له فعله لئلا يظن ظان ان ذلك لاستقلاله بنفسه ولكيلا يبقى
واستغنائه عن مملكته بل يتم له شيء ليرتاح له ويشكر مقيضه لينيله بلا غد بانقطاع شيء اخر ليفزع الى ربه ويلوذ
به بمسئلته ويتبرأ من حوله وقوته ومن علمه وبصيرته ومن جلده وبجلدته ومن انفته وشيمته فيلوذ
بمن هو اولى به ويستمد ممن هو املك له ويستامر الى من هو اقدر عليه ويلقي مقاليده كلها اليه ويطرح كاهله

بين يديه وهذا بيان في موجب الربوبية ومقتضى العبودية لا ينكره الا من لا يبالي الله في اي واد هلك وباي ريح انتشر وفي اي
بحر غرق وفي اي غشاء طاح قلت له هذا كلام على الصالحين واهل الديانة من اصحاب الشرائع قال يا بني لا تعجب من هذا
فالانبياء والاصفياء وغيرهم يدندنون حول خلوص النفس في العاجلة وخلاصها في الآجلة والقول وان اشتبه والاشارة
وان تمحضت فالمراد بيّن والمطلوب متيقن وهل الحكمة الا مولدة الديانة وهل الديانة الا متممة الحكمة وهل الفلسفة
الا صورة النفس وهل الديانة الا سيرة النفس وكنت قد حدثتني عن شيخكم الحضرمي الصوفي انه قال النُّقُب
كثيرة والعروس واحدة فقد ارتفع التناقض وسقط التنافي وانما قطعت هذا الامر في طلب الحياة الدائمة التي لا
شوب فيها من الم ولا عارض من اذى ولا خوف من انقطاع **مقابسة اخرى** ٤٠ قال ابو بكر الصيمري الجماعة عنده
ونحن في طاق الخوانيين في الوراقين وقد ذهب بالقول في كل عروض وجنب الى كل باب العلم حياة الحي في حياته و
الجهل موت الحي في حياته فاذا كان الجاهل ميتاً في حياته فماذا ترى يكون بعد مماته واذا كان العلم حياة الحي في حياته ثم
فلا شك انه يكون حياة له بعد وفاته ثم قال العلم الالهي في النفس لانه بساط العمل الصالح والخلق المعتدل والخلق
الطاهر والطاعة الحسنة والراحة في العاقبة ومن عري من العلم ولزم العمل كخابط عشواء ما يفوته اكثر مما يحصله وما
يفسده اكثر مما يصلحه ومن لزم العلم وخلا من العمل كان كلابس ثوبي زور والعلم فنون واشرفه معرفة الحق
الاول والعلم قوام المعقول والعمل قوام المحسوس ولولا الحس لاستغني عن العمل لان العمل انما هو رياضة
النفسين اللتين تعاندان النفس الناطقة اعني الشهوية والغاضبة فاما العلم فهو كله في تقديس المعقول بالعقل والتشوق
اليه وطلب الاتصال به والغرق في بحره والوصول الى وحدته والعمل مقوم للقوى التي تربع كثيراً بالزيادة والنقصان وبالخروق
والهيجانات والعلم مبلغ الى الغاية التي لا مطلوب وراءها والعمل مهيئ لك نحو المسلك الى سعادتك والعلم مشرف بك
على سعادتك والعمل يوصل والعلم موصول والعمل حق عليك لا بد من ادائه والعلم حق لك لا بد لك من اقتضائه ثم
العلم كله نور وانوره ما اضاء لك وسطع عليك واسفر بك وجلا عن حقيقتك وتحلى بحقيقتك ونحّى
قشورك عنك وابرز لبك منك وصقلك وزينك وابهجك ونورك واهلك لدرك حدك واحلك دار كرامتك
وقرارك وصار الصق بك من شعارك ودثارك هناك تبقى ولا تبلى وتغنى ولا تفنى هناك الواصل والموصول
والعالم والمعلوم والعاقل والمعقول في فضاء الوحدة ومعاني القدس وخطة الراحة ومراد الطمانينة والجذل
والغبطة والسكينة وعرصة الهيبة لا تفرقة ولا تمييز ولا كثرة ولا اختلاط ولا تمازج ولا اختلاف حال تجل عن
امارات الحال وامر يلطف عن رسوم الامر على هذا سكبت العبرات وطالت الزفرات اتظن ان الرقي في سلاليم المعرفة
والتناهي في غايات التوحيد هين سهل وقريب ممكن هيهات ان يكون ذلك كذلك ولكن لواحد بعد واحد
يحصل الواحد في عالم بعد عالم وتجدد بعد دور وكان كلاماً اطول من هذا واشفى وهذا حاصل ما رزق الله
استثبته والوفاء به والقيام عليه **مقابسة اخرى** ٤١ قال ابو الحسن العامري ان المتخصص من ارباب الحكمة يدرك
بفكره ما لا يدركه المحدق ببصره من غيرهم وذلك ان الحس محطوط عن سماء العقل والعقل مرفوع عن
ارض الحس فمجال الحس في كل ما ظهر بجسمه وعرضه ومجال العقل في كل ما بطن بذاته وجوهره والحس ضيق الفضا
قلق الجوهر سيال العين مستحيل الصورة متبدل الاسم متحول النعت والعقل فسيح الجو واسع الارجاء
هادي الجوهر قار العين واحد الصورة ثابت الاسم متناسب الحلية صحيح الصفة والفكر من خصائص النفس

الناطقة والنطق في النفس يتصفح العقل بنور ذاته والحس رائد النفس بالوقوع على خصائص صور وكما قد صح ان الحس كثير الاحالة
والاستحالة فكذلك قد وضح ان العقل ثابت على حالة في كل حالة والحس يفيدك ما يفيدك في عرض الآلة التي امدتها المادة
والعقل يفيدك ما يفيد على هيئة محضة لانه نور قيل له الصانع نزي عاقلا يتحول من معقول الى معقول وينتقل من رأي الى
رأي وينصرف من معتقد الى معتقد فهل هذا الا لان السيلان الذي يدعى في المحسوسات دب اليه وعمل فيه وما
هكذا يرى من اعتقد معتقدا بشهادة الحس فانه اثبت رايا وارسخ يقينا واظهر سكونا وعلى هذا الحس يفيد العلم الذي
لا يمكن معه النقض والعقل يفيد العلم الذي كانه مظنون فقال هذا كلام من لم يرتض بحكمة القدماء ولم يرتق عما عليه
العامة والضعفاء الا حساس حظوظك اوفى من جهته وليس لها حكم على شيء من حواله الا من جهة النطق النفسي والذي
يوضح هذا ان البهائم كلها ذوات احساس قوية وليس لها قضايا منها ولا نتايج بها لانها خادمة للقوة القاضية
بالحق الدالة على الصحة المفضية الى المقدمات المستخرجة للثمرات وانما وقع لك هذا القول لانك ظننت ان
كثيرا من الناس يظنون بانفسهم انهم خاصة من ناحية الحق بل ليس الامر كذلك لانهم يعتقدون اشياء ممزوجة
مشوبة مختلطة كدرة فيها احكام العقل وسماء دره ومخايل باطلة ونها من اشباح الامور وصفحات الاحوال
ظواهر الاشياء ولذلك ما يزولون عنها بسرعة ويستوحشون منها عند كل شبهة وليس كذلك الفلسفة فانها
علم العلوم وصناعة الصناعات لا تعطيك في موضع الشك اليقين ولا موضع الظن العلم وكلها تعطيك في كل
شيء ما هو خاصة وحقيقته ان شكا فشكا وان يقينا فيقينا وستتصل بهذه المقابسة في الكتاب ما يكون بيانا وشاهدا
بصحته ولو ان هذه الاوراق اشتملت على نكتة ما فيها فقط وكان ذلك لا يكون انه كاف في معناه موف على اقصاه لان
بحر هذا العلم عميق وقيمته غالية ولكنا وصلنا نكتة بنكتة ومقابسة بمقابسة تذكيرا للعالم وتفريحا للنفس واستدعاء
للنشاط ودلالة على مواضع السعة والغزارة ولا تصل منها الا وهو يوفي على كتاب ضخم اذا حويت على كل ما فيه وكل
ما يتعلق به ويتصرف فيه وشبههم فاذا اعتبت علي ابقاك الله في بعض التقصير فقارب واقصد فلم اضمن لك خلو
ما اقول عن بعض الشوائب وانما عزوت ذلك كله الى هؤلاء الاعلام الذين كانوا مذكورين في الوقت من غير ان
استبددت بشيء عليهم الا بما لا بال به ليحسن ظنك ويقل تعبك بما في تهجينهم والله يهديك بلطفه ويواصلك
بتوفيقه انه قريب مجيب **مقابسة اخرى** قيل لابي الخير حدثنا عن معرفة الله تقدس وعلا ضرورة هي ام
استدلال فان المتكلمين في هذا اختلفوا اختلافا شديدا وتباينوا واعليم تباينا بعيدا ونحب ان يحصل لنا
جواب فيقتصر على هذا الاختصار مع البيان فقال هي ضرورة من ناحية العقل واستدلال من ناحية الحس ولما
كان كل مطلوب من العلم اما ان يطلب بالعقل في المعقول او بالحس في المحسوس قال وهذا هو الشاهد على
الغائب وساغ ان يظن مرة ان معرفة الله اكتساب واستدلال لان الحس يتصفح ويستقوي بموازرة العقل و
مظاهرته وتحصيله وان يظن تارة اخرى انها ضرورة ان العقل السليم من الآفة البريء من العاهة يحث على
الاعتراف بالله تقدست اسماؤه ويحظر على صاحبه مجاحدة والكاره والمتشكك فيه لكن ضرورة لاتقة بالعقل لان ضرورة العقل
ليست كضرورة الحس وذلك ان ضرورة الحس فيها جذب واختيار وحمل واكراه فاما ضرورة العقل فهي لطيفة جدا
لانه يعظ ويلاطف وينصح ويحقق وكان بعض اصحابنا في الوراقين ببغداد يضرب في هذا مثلا زعم ان مثال
في هذا كامرأة حسناء متبرجة ذات وقاحة وخلاعة قد جلست الى شاب طويل شطر جالها وعليه مسحة من

حسنها تخلى عن مجالستها وتراوده عن نفسه لنفسها وتبدي له محاسنها وتطمع في تمليكه منها وتستعجل في حاجتها و
تحثه على قضاء اللذة والوطر منها فاما مثال العقل فكانه شيخ هم قاعد على بعد ليس به نهضة للزحوف اليه والحيلولة
بينه وبين ما نزل به من صاحبته الوقحة الفاضحة الا انه مع ذلك يصيح ويتأوه وينادي بصوت يحرك راسه ويبسط
يده ويعظ ويلطف ويعد ويخوف ويضمن ويرفق ويشفق ويحنو فاين تاثير هذا الشيخ الهم المحطم من تاثير
هذه الخالبة الغالبة المحتالة المغتالة الزهدة مع قلة اصغاء الشاب الى الشيخ وسيلانه مع هذا واراد بهذا المثل الفرق
بين العقل فيما يدعوك اليه لتسعد والحس فيما يملك عليه لتشقى هذا في جميع ما يزاوله ويحاوله ويهم به وينحو جهة
نحوه فعلى هذا فان الله تعالى وتقدس معروف عند العقل بالاضطرار لا ريب عنده في وجوده ومستدل عليه عند
الحس لانه يستحيل كثيرا ولا يثبت اصلا فمن استدل ترقى من الجزئيات ومن ادعى الاضطرار انحدر من الكليات و
كلا الطرفين قد وضح بهذا الاعتبار وكفى مؤنة الخبط والاكثار وهكذا كل شيء يطلب صله وفصله بالنظر الفلسفي
والبحث المنطقي والاقتراء الالهي فاما ما ينظر فيه في الجدال فلا يورث الانسان منه الا الشك والمرية والحسبان والظنة
والاختلاف والفرقة والحمية والعصبية وهناك للهوى ولادة وحضانة وللباطل استيلاء وجولة وللحيرة
ركود واقامة اخذ الله بايدينا وكفانا الهوى الذي يوذينا وصنع لنا بالذي هو اولى به منا والسلام **مقابسة** ٤٣
اخرى قال العامري الطبيب اخو المنجم ونظيره وشبيه الحال به وذلك ان الطبيب قد يرسم بانه حفظ الصحة
بالتدبير المحمود وازالة العلة بالراي الصحيح وكمال علم الطب اشرف من موضوعه وموضوع علم النجوم اشرف
من كماله والصناعة محتملة للحيلة والزرق كما انها راجعة الى الصحة والحذق وقد يتفق في زرق المزارق صواب
كبير كما يعرض في حذق الحاذق خطأ يسير والحيرة بين هذين الاتفاقين مجال وللمعترض عليهما مقال وفصل
الحال بين الرجلين صعب والخطب مشكل وليس للمصيب بالزرق ان يجعل ذلك قاعدة واساسا ولا للمخطي
ان يقطع منه ياسا قال وقفت هذه الصناعة هذا الموقف وتدرجت هذا التدريج لان الله تقدس كما اراد بالعافية
والبرء والسلامة والنجاة انعاما وامتنانا كذلك اراد بالعلة والمرض والياس اختبارا وامتحانا ثم اشاع الله العلم
بالطب تعليلا للطبيب بسبب رزقه منه وتعليلا للمريض بسبب تخفيفه عنه فكلا الرجلين اعني المعاني والعليل
الى غاية مضروبة على اسباب محسوسة وغير محسوسة ولو عافى الله تبارك وتعالى بالطب ابدا لاتخذ الناس الطبيب
ربا ولو لم ينفع بالطب احد لهجر الناس الطب هجرا بل جعله علة مدة مع احصاء ايام العافية وسبب العافية
مرة مع التنبيه على موقع النعمة ولدغ البلية قال وما هذا امره ومرجعه الى امر الله وما اسست عليه ودل
اهلها به وصرف سكانها فيه فمن لم يفتح بصره لم يرها فوقه ولا ما تحته ولا ما عن يمينه ولا ما عن يساره كذلك للغيب
سبحا لمن يطلع على سر هذا الشاهد ومكنون هذا الجلي وباطن هذا الظاهر ومعقول هذا الذي تم عليه الحس
وخفي هذا الذي وقع عليه الحدس قال والمرض والعافية في الابدان بمنزلة الغنا والفقر في الاحوال والغنا والفقر
في الاحوال بمنزلة العلم والجهل في القلوب والعلم والجهل في القلوب بمنزلة العمى والبصر في العيون والعمى والبصر
في العيون بمنزلة الشك واليقين في الصدور والشك واليقين في الصدور بمنزلة الغش والنصح في المعاملات و
الغش والنصح في المعاملات بمنزلة الطاعة والمعصية في الاعمال والطاعة والمعصية في الاعمال بمنزلة الحق والباطل
في المذاهب والحق والباطل في المذاهب بمنزلة الخير والشر في الافعال والخير والشر في الافعال بمنزلة الكراهة والمحبة

فى الطباع والكراهة والمحبة فى الطباع بمنزلة الهجر والوصل فى العشرة والهجر والوصل فى العشرة بمنزلة الرداءة والجودة
فى الاشياء والرداءة والجودة فى الاشياء بمنزلة الصلاح والفساد فى الامور والصلاح والفساد فى الامور بمنزلة الضعة والرفعة فى المراتب والضعة
والرفعة فى المراتب بمنزلة القبح والحسن فى الصورة والقبح والحسن فى الصورة بمنزلة العى والفصاحة فى
الالسنة والعى والفصاحة فى الالسنة بمنزلة الاعوجاج والاستقامة فى الاعضاء والاعوجاج والاستقامة فى الاعضاء
بمنزلة الحياة والموت فى الاجساد والحياة والموت فى الاجساد بمنزلة الشقاء والسعادة فى العواقب فما احوج هذا
الانسان بعد قيام هذه الامور اذا عنته وبحلوه وطوفه الى تيقظه بها يكيس فى معاشه ومنها يقتبس لمعاده وتقتضى
ما يحمد ريعه وجدواه ويجتنب ما يصير سببا للشقاء فى عقباه فباب الخير مفتوح وداعى الرشاد ملح وخاطر
الجزم معترض ووصايا الاولين والآخرين قائمة وتراجمهم موجودة والخوف عارض والامن مظنون و
السلامة متمناة فماذا ينتظر المرء اللبيب بنفسه بعد هذه الآيات المتلوة والاعلام المنصوبة والحالات المتقلبة
والنعم المتقلبة والاعمار القصيرة والآمال الكاذبة اما يتعظ اما يعلم انه من جنسه ومحمول على تدبيره وانه لا فكاك له
مما لابد من حلوله من انحلال تركيبه واستحالة عنصره وانتقاله الى حال بسيطة ان خيرا فخير وان شرا فشر بلى يعلم
ولكن علما مدخولا ويعقل ولكن عقلا عليلا ويحس ولكن حسا عليلا كما قال الاول شعر اشكو الى الله جهلا قد
منيت به بل ليس جهلا ولكن علم مفتون واعلم ان الغرض كله فى هذا الكتاب وجميع ما ثبت عن هؤلاء الشيوخ
انما هو فى ايقاظ النفوس وتأييد العقل واصلاح السيرة واعتياد الحسنة ومجانبة السيئة فاستصحب الغرض
بالنية الجميلة فلعلك تؤهل للفلاح والسعادة عند توزيع هذه **مقابسة اخرى** رأيت فضلاء من

٤٣

القلانسيين وهم الذين قد فهمت باسمائهم مرارا يكثرون الخوض فى معنى الامكان وتبلد ولونه المسئلة والجواب فيه
وقد اقتبست منهم ما رسمته فى هذا الكتاب على طريقة قريبة والفاظ معهودة فاشركنى فى تقييد الفائدة ان كنت طالب
فائدة ولا تسبق الاستحسان والاستقباح والتخطئة والتصويب قبل التفهم والتصفح والتقليب والتفتيش فانها
مسئلة صعبة فمن ذلك قول القائل زعم ان لا طبيعة للممكن وانما هو موقوف على فرض الفارض ووهم المتواهم
ووضع الواضع وظن الظان وليس كالواجب الذى هو ثابت على وتيرة واحدة وجديلة ممدودة معلومة والحد التام
الطبيعة لا كالممتنع الذى هو ايضا على هيئة واحدة لا يرتقى صعدا ولا يتماثل سفلا والبرهان على ذلك ان الواجب
لا يستحيل ممتنعا البتة لا فى زمان ولا فى مكان وانه كذلك بذاته لا بشئ آخر وكذلك الممتنع لا يستحيل واجبا على
مثل حكم الواجب لا فى زمان ولا فى مكان بل لا ينحط الواجب الى الامكان لا معقولا ولا موهوما ولا مفروضا ولا مظنونا
وكذلك لا يسمو الممتنع الى الامكان فى حال من حالاته على ما سلف لبيان عندى قال الخرين هؤلاء الجلة مما يؤيد
هذه المصادرة ويحققها ويوضح مشكلا ان كان عرض منها انك اذا قلت هذه الالفاظ الثلثة وفحصت
عن عناصرها ورتبت معنى كل اسم منها من جهة وزنه وترتيبه وصنعته وخلقته وحليته وجوهرها
المختلفة الدالة على معانيها المختلفة وذلك انك اذا قلت هذا واجب وهذا الوزن وزن فاعل من جهة
اللفظ وانما قلت من جهة اللفظ لان الفاعل من جهة المعنى مقتض لمفعول والواجب مثبت لنفسه غنيا
يكون هو به مفعولا وعما يكون هو له فاعلا والفاعل من المضاف وكذلك المفعول ليس الكلام فيهما واذا
اعترض من ناحية وزن الاسم وتبرأ من كل صفة مع هو منه هذا التبرئ ولقيامه بنفسه واستغنائه بجوهره و

كلام

كما انه اثره واعطى المونة الاولى والحد الاعلا والممتنع اذا قلبت معناه من ناحيته وزنه وجدت فيه معنى من معانى الانفعال
ونظايره فالبينة تشهد بذلك وهذا نظير بيته نظر النحوى وجوفى عليه لا بل فوقه فى الشرف وان كانت قوة النحو مقصورة
وشهادته مستعارة لانه كما انه قد استضاف فعلا ما الى نفسه كاستضافه فيحتمل ومشتبه وملتبس ومقتصد وتقريب
هذا لطيف الى التقريب دون ما طال وامتد وكما استوفى الواجب الصورة بالكمال استيفاء وجود انتفى الممتنع من
الصورة فى كل حال انتفاء عدم فليس فى الواجب من اجزاء العدم شيء ولا فى الممتنع من اجزاء الموجود شيء وبالا ضرورة
لفظا باخر الممتنع ثم ان الامكان بعد هذا كله استعار من الواجب شبها واقتطع منه ظلا واستعار ايضا من
الممتنع شبها واسترق منه ظلا وذلك هو عدم ما فصار من اجل الاستعارة والاستراق ينقسم الى مراتب
ثلاث الى الاكثر والاقل والاوسط فقال بعض من حضر هذه المقابسة العجب انه اخذ الشبه من اثنين وانقسم الى
ثلاثة فقال له قايل فى الجواب انه اذا اخذ الشبه من الواجب فى الاغلب لقوة الواجب فى صحة نفسه وثبات
جوهره وصفاء عينه وفى الاقل اخذ من الممتنع وقوة الممتنع بازاء قوة الواجب وضعا وتمثيلا وقد تقاسمت
القوتان الطرفين على تعاندهما الا ترى ان الكثرة من الموجود والقلة من العدم اعنى ان صورة الوجود فى الكثرة اظهر
منها فى العدم والوجود باسره فى الوجود والعدم فى الامتناع ونفى ما هو به اعنى ما ائتلف من الشبه الماخوذ من
الواجب والشبه من الممتنع لانه اذا وفى ما قد استعاره من الشبه من الطرفين وفى ايضا ما له بالتوسط و
الاختلاف ابغية هذه الكلمات دليل بين وحجة واضحة على تفاوت ما بينهما من الحقايق فاذن الامكان قد خلا من طبيعة
يستقل بها وعرى من صورة ينسب اليها وعاد وحكمه حكم المركبات فى الحس والمفروضات بالوهم قال ومما يزيد ما
يمضى من القول وضوحا ان الواجب لا يقف على ايجاب موجب فى وجوبه والممتنع لا يقف على منع مانع فى امتناعه
فان عرض فى نفسك الواجب فاعلم انه قد اقتضى شيئا ولكنه الموجب واستوفاه ولم يفضل عنه ما يقتضى شيئا
اخر ولا بقى ايضا منه ما يقتضيه شيء اخر وهكذا المانع فى قياد ذلك قد اقتضى الممنوع واستوفاه ولم يفضل عنه
ما يقتضى شيئا اخر ولا بقى منه ايضا ما يقتضيه شيء اخر وخرج حكم الممكن من الحكم الذى للواجب والحكم الذى
للممتنع لان الممكن كانه طالب لمكانه والداعى لنفسه فيكون مكانا وهذا اصل القلق فى قضائه وقلة استقراره فى بابه
لانه عادم لحده وطبيعته وانما يغلب عليه تارة ما يعيره الواجب من نفسه وصورته فيصير الامكان القريب من الوجوب
وتارة يغلب عليه ما يستعيره من الممتنع فيصير الامكان القريب فى الوسط لا يظن به رفع الجانب ولا انحراف لمكان
الواجب عن الحقيقة من الكثرة والقلة والانقسام والعلة وعن استعارة صورة عن ذى صورة فصار الممكن
المنقسم الى الكثرة والقلة والوسط لان الكثرة والقلة قد زالت وانما بطل ما يكون ذا قدر بطل القدر ومما
جرى بين هؤلاء الافاضل فى هذا الفصل ما يدخل فى حاشية هذا الكلام الذى قلما يخرج عن اداته على وجهه بالقسطاس
المستقيم سوء التاتى فيما يحقق المراد ويحط ثقل التمام قول اخر ان الواجب واجب ان يكون واجبا والممكن واجب
ان يكون ممكنا والممتنع واجب ان يكون ممتنعا فالوجوب صورة الجميع لانه نعت للعلة الاولى واما الامكان والامتناع
فانه يشار اليهما بعد الاعتراف بالوجوب الذى قد نفذ سلطانه فيهما وملكت سمته جملتهما واحتوت صفته عليهما
والواجب لطبيعته لم ينقسم لان الوحدة تامة فيه محيطة به موجودة له لخالصه عليه ولو انقسم لانتقلت الوحدة الى
الكثرة وتشعبت عما هى عليه فى الحقيقة وكذلك الممتنع لانه يكون فى الطرف الاخر يعطى صورة الانتفاء من نفسه توفيرا

لمن الواجب ولا ضير ان يختصر لهذه الجملة مثالا يكون كالوحي الى الحق لئلا يطمح ما طال القول فيه وتتابع البحث عنه وجب
ان يكون الفاعل قبل المفعول وممتنع ان يكون المفعول قبل الفاعل ويمكن ان فاعلان معًا فى مكان او منفعلان
معًا فى زمان وممكن ان يكون فاعلان معا ولا منفعلان بل يكون كل واحد منهما منفردا عن فاعل اخر وكل منفعل
منفصلا عن منفصل اخر فهذا كما ترى مثال اخر واجب ان يكون الفلك محيطا بالارض وممتنع ان يكون المركز محيطا
بالفلك وممكن ان يركب الامير غدا فلو كان الامكان حدا غير معترف مما قد تقدم القول فيه لكان لا يقف على الوضع
والفرض والرسم والوهم والظن والتخيل الا ترا انك لو نسبت هذا الامكان الى الفلك لم يصح اعني انه يستحيل
ان يقال ممكن عند الفلك وعند الله ان يركب زيد غدا وفى الاول جاز عندنا ذلك لانا قلناه تقديرا وتظنينا وو معا
وتوهما ولا وضع عند الفلك ولا ظن ولا تقدير ولا توهم ايضا عند الله تقدس اسمه وتعالى جده وكل اخر
من جملة القوم ليس لشئ وجود ولا وجوب الا البارى الحق ولا حقيقة اذ لشئ الا له لانه هو الواجب كلما
علله فانما هو واجب به وممتنع وبه ممكن والوجود الحق له فكل وجود يرسم الممكن والممتنع فانما هو بالاستعارة
والتقريب التحلية والتشبيه فاذ الاسلم كلما عدى العلة الاولى من الوجوب ومن الوجود الا على قدر ما يبلغه
الفيض يصل اليه الجود ويخلص ما هو بالحقيقة وبالتحقيق هو فيه هذا ابلغ حاصل من قول هؤلاء المشايخ وهم
الذين نشرت الى حديثهم وذكرت اسمائهم وذكرت على مقاماتهم مرارا فى هذا الكتاب وجل النظر فى هذه المسئلة
على ما انفرشت من الفلسفة الداخلة اعني الالهية المحضة فلهذا اما اتفادى من زيادة لعلها انحط قدر المعرى الذى
سلفا لقول فيه وسقت المعنى عليه والسلام **مقابسة اخرى** ذاكرت طبيبا شاهدته بجند يسابور من شيخ
العلم فيما اذكر تلك المذاكرة وتلك المسئلة وتلك الفائدة الاسنى تحصنت لك الشخص وكان يكنى ابا الطيب لعيني
وتمثل فى وهمي حتى كانى اراه قريبا معي وحاضرا عندى وطال تعجبي من ذلك فرايت ابا سليمان فى المنام فسالته
عن الحالة التى قد شغلتنى بالتعجب منها والامر الذى توالى عليّ من اجله فقال لي فى الجواب قولا ميقظا ما النائم من جملة
فى اليقظة مما انا راسمه وحاكيه فى هذا الموضع قال اما تعلم ان المبدأ الاول والاصل والعلة مفتقر اليه بالطبع والضرورة
ومعترف به بالوجوب الذى ليس فيه مرية ولا شبهة قلت بلى قال فالثانى مشعر ابدا بالاول والاول لم يشعر بنفسه الثانى
مشعور به ايضا ولكن الاول والاول مع هذا هو الثانى والثانى هو الاول ولكن اختلفت الرسوم ولم تختلف
الحقائق الى ها هنا يخلص لي ما نبيته وهو ظاهر كما بدا لى لما كان من صدر المذاكرة من جهته وتمت بمطاولته
وحصلت الفائدة بوساطته اشتاقت لنفسى تلبست بصورته وجدتا منها للمبدأ ونزاعا نحو الاول واستشعارا
للسكون معه لانها تعشق بالذات ابدا الاول ويعشق كل اول للشبه القائمة فيه والشبه الموجودة به من الاول بالاول
فكل مريد من كل ضرب طبيعي وارادي وفكري وخلقي وصناعي والهي يجيبها ويؤنسها وينفي وحشتها ويعللها
ويستعمل بذلك شوقها الى الاول الحق الذى هو اول بالاطلاق واستكمالها فذلك الشوق هو استدل منها الحالها
وثباتها على صورتها وطربها على ما حصل لها والكلام فى الاول والمبدأ فى كل ما ضرب فيه لتبسم وانتهى اليه بوجه لا يمل ولا يمل
ولا يشبع منه ولولا ان بضاعتى فى هذا الفن مزجاة وعبارتى عنه منقطعة لكان ما يعقل من ذلك ويستبان
ابين مرأى واحلا مسمعًا وعلى كل حال فقد كتبت ما امكن التصرف فيه والشغل به والزيادة على ذلك
تقتضي تجزيل القول على تقدير السؤال والجواب التمثيل والايضاح فان نفس الله الخناق قليلا وازاح همّا

٤٥

لازما وجم شملا تنقطعا اتيت على ذلك متوشعا واطمت عليه مقلا فيما ان شاء الله تعالى **مقابسة اخرى** قال
النوشجانى يوما فى جملة كلام اقتضبه فى اقسام الموجودات ان كل صنف من اصناف الموجود فى حكم العدم لخساسته ونقصه
وتهافته وفساد طبيعته وطموس ضيائه وقبح صورته وانمحاء بهجته وخمود شعاعه وفقد تمامه وتقطع نظامه
استيلاء رذيلته وبطلان فضيلته فلا ينكر ان يكون فى مقابلته صنف آخر من المعدوم فى حكم الموجود بصحة رتبته
ونفاسة جوهره وكمال فضيلته وظاهر عفته وتجدد رونق بهاء حمته وغلبته على لته ونقاء سنخه وصفاء سوسه وطهارة
عينه وظاهر بينته ودوام نضرته وتناسب جملته وتفصيله وساير مالا يحيط القول به قال والاشارة فى هذين
الفصلين بينة مكشوفة ومتى لم تقف عليها من تلقاء نفسك بضياء عقلك وذكاء قريحتك فصل اليها من جهة
ارباب الحكمة واعلام الفلسفة فانك متى جربت هذه الاعراض وتخللت هذه المعارف وثبت على سمة العدل لكنفك
الخيرات عاجلا والسعادات آجلا فتكون حينئذ موجودا وان عدمت وباقيا وان فنيت وحاصلا وان
فقدت وثابتا وان نفيت ومغبوطا وان رحمت وحيا وان مت وظاهرا وان بطنت وجليلا وان خفيت وواضحا
وان اشكلت وشاهدا وان غبت وقادرا وان عجزت ومعروفا وان انكرت وعالما وان جهلت هناك تصل الى الغنا
بلا قنية وتنطق بلا عبارة وتفعل بلا آلة وتصيب بلا مشورة وتعقل بلا مقدمة وتبقى بلا آفة وتلتذ بلا
استحالة وتنال بلا كدح وتحيا بلا اذية وتسعد بلا شوم الهيمة ونزهتها من البشرية وربوبية وصلت اليها
من العبودية وملكة استوليت عليها بالانسية وحال جلت عن رقم قلم وبريق حبر واستقصاء بيان وتخيل
وهم ثم قال وقلت الكلام فيما نقله عن حال الانسان فى وجوده الثانى عن السعادة التى حصلت له والحبور الذى
ظفر به قال وانما تلطف هذا القول عليك لانك تنظر الى هذا الانسان من قبل وهو فى اسار الحس وحل الجسم
وتشوه البدن ومحال التركيب وتصرف الطبيعة وسيلان الطين وذوبان العنصر هذا مع سوء الاختيار
وفساد العقيدة وقلة ايثار العفة والنجدة والاخذ بالرخصة بعد الرخصة فى مساعدة الشهوة وتسلط الارادات
الرديئة المهلكة ومتى يكون لهذا رجوع وثمرة وفائدة ولعمرى لو قدس نفسه وباين هواه واختار الحق معتقدا
واثر الخير مجتهدا ونال من حركات الطبيعة مقتصدا لانتعشت روحه واستنار عقله وذكت بصيرته وصفت
قريحته وسلت فطنته وصح حدسه واصابت فراسته وكان التوفيق قائده والسعادة غايته والغبطة حليته والبقاء حليفه
والابد نعته وما اسهل هذا الوصف على ما اقول وعليك بالسماع وما اصعبه علينا جميعا بالعقل وكيف لا يكون
ذلك صعبا والانسان منوط بالطبيعة من طرف ومضاف الى العقل من طرف فحسبما يفزع الى ما هو فساده واهلاكه
وبالعقل يختار ما هو صلاحه وكماله لكن اختياره ضعيف فيه لانه غال فى افق العقل الذى هو موجب الواجب ومحسن
الحسن وارادته الطبيعية قوية فيه لانها ناشية منه وكامنة فيه ومترددة عليه والنقص على الجمهور فى كل حال وامر وان
العجب كل العجب ممن يحل فى دار النقص ويصبح فى عرصة العلل او يسلم فى خطة البلوى او يلذ الصاب والعلقم ويغفل
عن غايلتهما وينعم وكان بعض الاطبين يقول الاحسان من الانسان زلة والجميل منه فلتة والعدل له منه غريب والعفو
فيه عرض ضعيف ومما يزيدك ثقة بما يصرف من القول به نقص هذا الانسان الذى قد اكتنفه الفساد من كل جهة
وملكه الجهل بكل حال انا وجدنا فى هذه الايام من نظر الى وادٍ اعنف بالكلا قد استحسنت الارض بخضرة
وندى وحسنا لخف حين خالف عينه فى الحوافر وبلغ به العجب الى ان قال ليتنى كنت بقرة فكنت اكل من هذا

كله اكلاذريعا وهكذا من اعلاه الى اسفله ومن اسفله الى علاه وكان يقول هذا وهو على شكل ظريف لا سبيل للعلم الى تحقيق
و اد اثره على وجهه وحقيقته واللسان ايضا لا يافى على خواصه ومعانيه وهو متحسن فى قوله على هيئة المجنون لغلبة
الارادة الطبيعية وقوة الحركة الحيوانية وموت العقل الانسانى وبطلان الشرف الجوهرى فلما فشا عنه هذا الحديث
وكثر قال له بعض الفقهاء معنفا ولايما ومنبها له على خساسته يا هذا هل رايت قط من تمنى وهو انسان ان يكون بقرة
بسبب مكان معشب وكلام كثير فقال له مجيبا وهو وادع النفس رخى البال حاضر الفكر ساكن الطباع ايها الشيخ لو رايت
بعينك ما رايته لتمنيت ان تكون كما تمنيت وهذا يدل على ان الذى اثار شهوته فى ذلك المكان لم يكن جوعا قد توالى
ولا نهمة قد غلبت بل كان لذة النفس ولؤم الطباع وسقوط الجوهر وغباوة الروح وكلة العقل فهل تظن حفظك
الله بعد هذا ان هذا حديثه وجملته وتفصيله ان ينتعش من مصرعته او يستبصر فى شانه او يهتدى لسعادته
او يلتفت الى معاده وهل بين هذا وبين الحمار الذى هو حيوان نهاق فرق بل قد سمعت من قال ان الحمار خير من
هذا بكثير لان الحمار لازم لحده غير منحرف الى ما ليس فى قوته وهذا قد بطل حده باختياره وجمع النقص كله النفس
بقبح شهوته وفساد امنيته على انى شاهدت قبل هذا انسانا متماسكا وكان له حظ من التجربة بالسفرة العالية و
السفر البعيد وكان متميزا بمذهب الصوفية يقول يوما وقد ابصر حمارا يمشى ليتنى كنت هذا الحمار فعجبت منه
فضل عجب وانكشف لى انه انما تمنى ذلك ليكون ناجيا من قلائده ومؤنة ما هو بعرضه وصدده عاجلا وما هو
ماخوذ به ومخوف منه ومعد له اجلا فكان عذره هذا عندى اخرج من كل الجهل وادخل فى بعض الوهم وانما جمحى
هذا فى ضميره وجاش على لسانه واتفهم بذكره والتشاغل فيه لانه كان جاهلا بالجوهر الذى هو اشرف من الانسان
بحده الخالص من كل شوب فنزل عن تلك الربوة العالية والذروة الشماء اعنى الجواهر العلوية الابدية وتمنى
ان يكون حيوانا هو اخس من الانسان عند كل انسان الا انه لا يحتاج فى تسليم هذا ومعرفته الى مقدمتين ونتيجة
بل العلم به اول والتسليم له ضرورة لا لشئ الا ليتخلص من عوارض الدنيا وكلف الحيوة وضرورات الطبيعة
ومطالب الحواس ولوادر لثبوته شيئا وعقله وحكم به لصمد نحوه وطلب الانتساب اليه والاشراف عليه والنظام
فيه والتمام به والبقاء معه ولم يعد ناكصا على عقبيه متمنيا الا ان يكون على هيئة شئ هو كالانسان بنفسه اشرف نفسا و
اكمل صورة واقوم خلقا واكمل وزنا وابقى شخصا واكرم جوهرا واصل هذا الفصل بحديث اخر وقعنا عليه
فى هذه الايام لتكون هذه المقابسة مستوفاة ولعلك لا تخلو فيه ايضا من فايدة تكون زيادة ما سبق وايقاظا للنفس
فى المستقبل ترى الانسان يبصر فيها بل هى عيونه التى يرى فيها بل هى نحوله التى يستثمرها ونواصحه التى اذا قيل منها
عرف كيف المعرس والمسرى وكيف الصبح اذا بدا وانجلى ابصر بين يديه كما دب ودرج ونشا شاهدنا فى هذه الايام
شيخا من اهل العلم ساءت حاله وضاق رزقه واشتد نفور الناس عنه ومقت معارفه له فلما توالى هذا
عليه دخل يوما منزله ومد حبلا الى سقف البيت واختنق به وكانت نفسه فى ذلك فلما عرفنا حاله جزعنا جزعا وتوجعنا
وتناقلنا حديثه وتصرفنا فقال بعض الحاضرين لله دره لقد عمل عمل الرجال نعم ما اتاه واختاره هذا يدل
على عزازة النفس وكبر الهمة لقد خلص نفسه من شقا كان طال به وحال كان ممقوتا فيه مهجورا من اجله مع فاقة
شديدة واضافة متصلة ووجه كلما امه اعرض عنه وباب كلما قصده وجده غلق عليه وصديق اذا ساله اعتل
عليه فقيل لهذا العاذر ان كان قد تخلص من هذا الذى وصفت على انه لم يوقع نفسه فى شقاء اخر اعظم مما

كان فيه واهول واد وبه واعظم وابقى ولعمري نعم ما عمل لله ابوه ما احسن ما اهتدى اليه وقوي عليه وينبغي لكل عاقل
ان يدفع الى ما دفع اليه ويقتدي به ويصير الى رايه واختياره وان كان قد سمع بلسان الشريعة اي شريعة شئت القدعمر
والحديثة النهي عن هذا واشباهه فقد اتي بما عجل الله به العقوبة وجرى عليه عذاب النار سبحان الله اما كان يسمع
من كل عاقل ولبيب وعالم واديب ومن كل من يرجع الى مسكة ويعرف داء في فضيلة ورع من يرجع الى قوله وينتهى
الى صوابه مره ويتهادى فنون سيرته وحاله النهي عن مثله والزجر عن ركوب ما هو دونه وكثيره فكيف لم يتهم نفسه ولم
يتعقب رايه ولم يبينا ونصحا لم اهذا اكله بسبب حال لو انها كانت تنكشف عنه بما يتمنى بعد الخسارها الى كثير مما
يمنى معه القاسي وقد علم انه اداه في ما في هذا الفعل المكروه بالعقل الفاحش بالسماع المقشعر منه بالطبع ما يجب عليه من
التوقي بسبب ما قد انتشر بالشرايع واجمع عليه الاول والاخر من كل جيل وطرف في النهي عنه واستسقاط ما اقدم
عليه لانه امر متى ركب بالظن والتوهم الذين لم يؤيدا ببصيرة من عقل ولا عرضا على عاقل ثم استبان له في الثاني نحو
ما اثره وعطاء ما عمل به فاته التلافي ولم يمكنه الاستدراك ولا الرجوع فلو لم يكن في هذه الا ما يوجب عليه الشغل
والاستبصار من اجل ما قاله العقل او ورد به الانباء بالعقل والوحي لوجب ان لا يلقى بيده الى التهلكة ولا يختار ما
يهجم عليه اهل الروية والبديهة واصحاب الديانة والمروة ولا ينقض لعادة القائمة ولا يخالف الاراء الحصيفة
ولا يستبد براي الطبيعة فكيف وقد قضى العقل قضاء جزما واوجب النظر ايجابا حتما انه لا يجب ان يفرق الانسان
بين هذه الاجزاء الملتحمة والاعضاء الملتئمة وليس هو رابطها ولا هو على الحقيقة مالكها بل هو ساكن في هذا
الهيكل لمن اسكنه فيه وجعل عليه اجرة السكنى بعمارة المسكن وحفظه وتنقيته واصلاحه وتصريفه على ما يعينه على
طلب السعادة في العاجل والاجل ويكون سعيه مقصورا على التزود الى مبوأ صدق ولا بد له من المصير اليه
والمقام فيه على امر شامل وخير غامر وراحة متصلة وغبطة دائمة وحبور مستصحب حيث لا افة ولا حاجة
ولا اذى ولا حسرة ولا اسف ولا كمد ولا فوت ولا تعذر وهذا مع السيرة المرضية وايثار الاخلاق السنية و
مع اعتقاد الحق وبث الصدق والاحسان الى جميع الخلق فاما اذا كانت الحال على خلاف هذا فالشقاء الذي
يتردد فيه ويتحقق به ويرتفع اليه يكون في وزن ذلك ومقابله نسئل الله الذي بيده ملكوت كل شيء ان يهدينا
للتي هي ارشد في العاجلة واسعد في العاقبة فانا ان خلونا من صنعه اللطيف وبره المالوف هلكنا وخسرنا
انفسنا وعدنا في الثاني شر معاد مع طول حسرة وشدة اسف اللهم فارحم ضعفنا واشملنا باحسانك وتوفيقك
حتى نتوجه اليك قاصدين ونفوض امورنا الى تدبيرك راضين ونتوكل عليك منيبين ونصير الى جوارك مشتاقين
مخلصين يا رب العالمين قد تضمنت هذه المقابسة فنونا من القول وما اظن اني اسلم فيها عليك لشدة
نظرك وتقليبك ومع ذلك فهي غير خالية من بعض الفايدة وانا اسالك ان تقبلها على تخيلها وتهب بعضها
بعضا لتكون اخذا بحكم المروة جاريا على هدي ذوي الفضل في حسن الاغماض عن شيء لعله يختل منه بعض الاختلال
ولا ينال من الصواب كل المنال وانت تفعل ذلك ايجابا لحق اخيك وذهابا مع احسن اخلاقك التي هي فيك **مقابسة
اخرى** قيل لابي سليمان باي شيء تعرف ان في العقل مع شرفه وعلو مكانه انفعالا فقال باستحسانه واستقباحه
لان هذين انفعالين ولكنهما انفعالان على طريق الاستحالة وكاند يدور على نفسه او يقتبس من الذي
هو اعلا منه ويثب عماد ونه ويشنع عليه فهذا يوهم بالانفعال على جهة التقريب لان مرتبة هذا

٧ ع م

الانفعال فوق مرتبة كل فعل بما هو دون العقل ومما يزيدك استبانة لهذا المعنى واستقامة اليه ان هذا الانفعال
هو الانفعال الاول الذى ليس فوقه انفعال البتة فالحق لا وليته نسبته الى الفاعل الاول الذى لا فاعل فوقه البتة
وكلما هبط الانفعال فى المنفعل بعد المنفعل حسن وبَعُد عن ذلك الشرف الذى كان بالنسبة الاولى كالفعل
الذى كلما هبط ايضًا فى الفاعل بعد الفاعل يحسن ويبعد من شرف الفاعل الاوّل بالاطلاق الذى هو علة كل ما هو علة
له فانت اذا اعتبرت فاعلا بعد فاعل حتى تنتهى من عندك الى الدرجة القصوى مررت باقسام الفاعلين ومراتبهم
ايضا كذلك اذا اعتبرت ايضا منفعلا بعد منفعل حتى تنتهى من هنالك الى ناحيتك الدنيا مررت باقسام المنفعلين
ومراتبهم وهذه امور بيّنة اتم بيان وثابتة على اكمل بهجة وافضل رتبة لا يتخللها خلل بوجه ولا سبيل الا ما يحيل
منها الحس المكذوب الذى لا يوثق بقضاياه ولا يسكن الى حكمه فاما النصفح العقلى فقد اتى على هذه كلها بما اهدى
الى النفس من السكون ونفى عن حقايقها الظنون والسلام **مقابسة اخرى** قلت لابى سليمان ما الفرق

٤٩

بين طريقة المتكلمين وبين طريقة الفلاسفة فقال ما هو ظاهر لكل ذى تمييز وعقل وفهم طريقتهم مؤسسة
على مكايل اللفظ باللفظ وموازنة الشيء بالشيء اما بشهادة من العقل مدخولة واما بغير شهادة منه البتة
والاعتماد على الجدل وعلى ما يسبق الى الحس ويحكم به العيان او على ما يسنح به الخاطر المركب من الحس والوهم
والتخيل مع الالف والعادة والمنشا وساير الاعراض الذى يطول احصاؤها ويشق الاتيان عليها وكل ذلك
يتعلق بالمغالطة والتدافع واسكات الخصم بما اتفق واتمام القول الذى لا محصول فيه ولا مرجوع له مع بوادر
لا تليق بالعلم ومع سوء ادب كثير نعم ومع قلة تاله وسوء ديانة وفساد دخلة ورفض الورع بجملة والفلسفة
ادام الله توفيقك محدودة بحد ورسوم كلها تدلك على انها بحث عن جميع ما فى العالم مما ظهر للعين وبطن
للعقل ومركب بينهما ومايل الى حد طرفيهما على ما هو عليه واستفادة اعتبار الحق من جملته وتفصيله ومسموعه
ومرئيه وموجوده ومعدومه من غير هوى يمال به على العقل ولا الف يفتقر معه الى جناية التقليد مع احكام العقل
الاختيارى وترتيب العقل الطبيعى وتحصيل ما ند وانقلب من غير ان يكون اوايل ذلك موجودة حسا وعيانا
وكانت محققة عقلا وبيانا ومع اخلاق الهيئة واختيارات علوية وسياسات عقلية ومع اشياء كثيرة
ذكرها وتعدادها ولا يبلغ اقصى ما لها من حقها فى شرفها ثم قال وكان شيخنا يحيى بن عدى يقول انى لاعجب
كثيرا من قول اصحابنا اذا ضمنا واياهم مجلس نحن المتكلمون ونحن ارباب الكلام والكلام لنا بنا كثر وانتشر
وصح وظهر كان ساير الناس لا يتكلمون او ليسوا اهل الكلام لعلهم عند المتكلمين خرس وسكوت اما
يتكلم يا قوم الفقيه والنحوى والطبيب والمهندس والمنطقى والمنجم والطبيعى والالهى والحديثى و
الصوفى قال وكان يلهج بهذا وكان يعلم ان القوم قد احدثوا لانفسهم اصولا وجعلوا ما يدعونه لا
عليها ومساولا من عرضها وان كانت المغالطات تجرى عليهم ومن جهتهم بقصد هم مرة وبغير قصدهم
اخرى قال وكان يصل هذا كثيرا بقوله والدليل على ان النحو والشعر واللغة ليس بعلم انك لو لقيت فى البادية
شيخا بدويا قحا محرما لم يرحضريا ولا جاورهم ولم يفارق رعية الابل وانتاث المناهل وهو مع هيئته
التى لا يشق غباره فيها احد منا وان كلف فقلت له هل عندك علم لقال لا هذا وهو يسير المثل ويقرض
الشعر ويسجع السجع البديع ويأتى بما اذا سمعه واحد من الحاضرة وعاه واتخذه ادبا ورواه وجعله

بجته وكان يقول هذه الاشياء العلوم هي قشور الحكمة وما يكثر منها على غايت الزمان لان القياس المقصود في هذه المواضع والدليل المدعى في هذه الابواب معها ظل يسير من البرهان المنطقي والرمز الالهى ولا قناء الفلسفي وقد بين هذا الباب ارسطوطاليس في الكتاب الخامس وهو الجدل كل ما في الامكان من التعليق به والاحتجاج منه مع التموه والمغالطة بل كثير من المتكلمين لا يصلون الى غايات ما كشفه ورسمه وحده وابان عنه وان انضوا مطيهم وابلوا جهدهم سوى ما اتى عليه قبل هذا الكتاب وبعده بما هو شفاء الصدور وقرة الاعين وبصيرة الالباب والكلام في هذا طويل

٤٩ **مقابسة اخرى** قال يحيى بن عدي الحركة صورة واحدة لكنها توجد في مواد كثيرة وبحال مختلفة وبحسب ذلك تولى اسماء مختلفة وقد يظن من اجلها انها في نفسها ليست واحدة وان لها اخوات ونظاير والبحث الفلسفي قد اقون واحدة بواحدة على ما دل الاسم عليه في الاصل وذلك انه يقال الحركة كون وفساد ونمو ونقصان واستحالة وامكان وانما تباينت هذه لاسماء لمعان تحققت في النفس بالاعتبار الصحيح فالحركة في النار لهب وفي الهواء ريح وفي الماء موج وفي الارض زلزلة هذا باب كما ترى قد حصل في الاستقصاء ولم يغادر منه شيء ثم ان الحركة بعد ذلك في العين طرف وفي الحاجب اختلاج وفي اللسان منطق وفي النفس بحث وفي القلب فكر وفي الانسان استحالة وفي الروح تشوف وفي العقل اضاءة واستقصاء وفي الطبيعة كون وفساد وفي العالم باسره شوق الى الذي به نظامه وبجوده قوامه واليه توجهه وبه تشبهه ونحوه تولهه وتدلهه ثم قال وهذا ابين الحجة وكل شاد من الفلسفة شيئا يسلم هذه الاشارة ويتوصل بها الى ما هو من جنسها اقتداء بما يتراءى منها ويشيع عنها والكلام في الحركة في غاية الشرف لانه دال على كل ما قد اشتمل العالم عليه من العلويات والسفليات ولا مانع من تقصيه الا العجز عن حمله والكسل عن بعضه وبين هذين ذهاب العلم وضلال الفهم وهكذا احكم من قلت دواعيه الى الشيء وكثرت صوارفهم عنه الى الله نلتجي فيما دهمنا وفيما نزل بنا من غيرنا فما خسر من لاذ به في السراء ولا خاب من عاذ به في الضراء انه نعم الرب والكافي والمعين والكالي والمرشد والناصر به يوجد كل مطلوب ويملك كل محبوب وينجي من كل اذية ويتعرى عن كل رذيلة لطيف التدبير عجيب التقدير خبير بجميع الامور لا تنكر ذاته ولا يد ولكنه جل معبودا وعز موجودا مشهودا

٥٠ **مقابسة اخرى** سئل ابو سليمان عن الكهانة وما يلحق بها من امور الغيب وعن التنجيم وما يقدّ به على احكام المستقبل وعن النبوة التي هي في محلها الاعلا ومكانها الاشرف فتصرف في الجواب احسن تصرف على سعة من اللفظ والمعنى ولكن لو نقلت كثيرا منه لنسبوه للكفر وقلة العناية ومقدار الحاصل منه قد اثبته في هذا الموضع خوفا من ان يذهب نسيانا فان وافقني فيه معاند فحاصله واوحصلت لي حاله محتملة وما علي الا الجهد وبذل الطاق واذا عذرني المتكلم المنصف لم احفل بالمتعنت المسرف والله يعين اهل الحق بلطفه قال الكهانة قوة الهية توجد في شخص بعد شخص بسهام سماوية واسباب فلكية واقسام علوية فاذا انوسطت صارت في مضف البشرية والربوبية فحينئذ يكون ما يبدو بها مشيرا الى غيب امور الدنيا والى غيب امور الاخرة على حد يكون على سواء وغلب مع ذلك لامور الدنيا لان الانسان بالطبيعة اكثر منه بغيرها في الاعم الاغلب والشايع الاشمل فان تحدرت هذه القوة قليلا كانت الاشارة الى امور عالية شريفة ومحل النبوة بين انباء هذه القوة بالترقي والتحدر وكلما كان التباس النفس بالمزاج الموافق وكان النور المقتبس من هذه القوة اسطع واعلى فعلى هذه قوة المنجم لانها

الكواكب تتبعا ضعيفا لان الالة لا تساعد والصبر لا يوافيه وذلك انه يتلقى هذه الامور المنتشرة من تلقاء نفسه
ومن ناحية اختياره وقصده   ويجد وليست قوى الكاهن كذلك اعني ليست تتبع بل هي
كالالقاء والوحي والسانح والطارئ فان اجتمعت القوتان اعني قوة التتبع بالصناعة وقوة الاقتباس بالكهانة
ظهر له كل امر عجيب وسمع كل قول غريب، ثم قال وعلى ما تبين فان الكهانة اقوى اذا كان صاحبها لا يشوبها بشيء
من الحس والقاها على صفائها ونقائها لان قوتها تكتسب من المحل الاعلى بنسبتها بالعلة الاولى تامة وقوة
صحيحة واضحة قلت له فهل يخطئ الكاهن كما يخطئ المنجم فقال نعم وليس الخطا محالا منه لان قوته لا تبلغ
الغاية في الخلاص بل بسبب تركيبه الذي هو سبب استحالته مايجاوره بنفسه قال له ابو العباس البخاري فهل
يخطئ صاحب النبوة قال لا ولكن يسهو كما في حديث ذي اليدين وسهوه   لا يقدح في الحال التي رشح لها ووشح
بها وجعل سفيرا الى الخلق من اجلها بل يحرس حراسة انه لم ينف عنه كل الظنة لم تطلقه كل غرفة قلت له في هذا الموضع
فهل يخطئ بقوة النبوة من غير ان يستقرها ويعرض للخلق من اجلها فقال لا ولكن يعرض له خيال كما في حديث توبيخ
نخل الانصار ثم رجع عن رايه وقال لهم انتم اعلم بامور دنياكم ولا مانع من ذلك ولولا هذه القوة التي على حلولها
بها ومايتها في اشخاص العلماء والبررة ما كان يصح حدس ولا تصدق نفس ولا يتحقق ظن ولا يتوضح وهم بل هذا امر في
غاية الغلبة والظهور حتى في كثير من انفس العوام ثم حكى هذا الفاضل ان رجلا كان له خادم وكان مكاريا صاحب حمير وكان
يخدمه عليها غلمان ويثق به في عمله تجار كبار وانه في بعض طرقه واسفاره سيب الحمير وطرح الاثقال وقال ليأخذ
من شاء ما شاء وعاد الى بيته على ولهٍ شديد لا ينطق بحرف ولا يتعلق بامر ولا يستوضح خيال شيء فساء اهله ذلك فتعاونوا
فعاتبوه والحوا عليه فلما كان في بعض الايام وقد احترسوه بكل قول وزهوه عن كل قوس توجه نحو الحايط وقال
يا قوم مالكم ومالي وما هذا التعجب والاكثار اما رايتم من كان قاعدا على مزبلة فنبعت من بين يديه عين صافية
بماء كالزلال عذب حلو فشرب منها وتبجح بها وعاشت نفسه بجمامها وريها وكانت سبب ريه الذي لا ظمأ بعده
وطهره الذي لا دنس معه هذا تمام الحكاية قال قائل عند هذا الفصل لابي سليمان احدثنا عن قلبه في هذا الموضع
فانه قد جرى ما لا مزيد عليه ولا تقصير معه ولا بد من انتهاز كل فرصة يحتملها هذا الباب فقال الكلام الذي ياتي به
صاحب هذه القوة يظهر محتملا للطعن ومحلا للتهمة وطريقا الى الغاية الشنيعة فقال هذا بالواجب ان صاحب هذه
القوة يرسل الكلام ارسالا بجملة قوته مرة وبجهوده هامرة وبتوسطها اخرى ولها في نفسها شان بالاضافة الى مزاج
صاحبها بل بالاضافة الى كل حال عارضة والى كل سبب واقع والسنة عاملة عليها والبشرية جارية على خاصتها فحينئذ
يخرج ذلك الكلام بين مراتب ثلاث في الغاية التي لا غاية وراءها وفي الوسط الذي يعتدل فيه وفي الطرف الادنى
وفيما بين ذلك كله بالارجح والانقص والاقل والاكثر والتاويل يركب منشورها والظن يسري في اطرافها والقالة
تجد سبيلا الى التشنيع عليها فلذلك واشباهه يكون ذلك على ان هذا اذا تامل بالنصفة مقيسا الى الطبائع
المختلفة والعادات المتباينة والاعراض المتشعبة كان في نصاب الحكمة ثابتا وعلى مدارجها جاريا والى اصولها
وفروعها نازعا ولولا ضيق اعطان الناظرين في هذه الغوامض عن التثبت والانصاف لكان يتجلى هذا كل
التجلي ويزول عنه الخلاف كل الزوال قلت لابي سليمان اليس لو صفت الحال هاهنا من عارض خطأ و
سانح تاويل ومضروب مثل كانت ابلغ في المعنى وانفى للتهمة من القذى قال بلى ولكن ليس كل ما شهد به

العقل بصفائه وطهارته وبعده من الدنس والدرن فى افقه وعالمه يجوز ان يوجد ذلك على كماله فى عالم الحس الشوب الكدر والذى لا ثبات له ولا استقرار وكيف يجوز ان يوجد كل ما هو بالقوة فى كل شيء بالفعل فى حال واحدة كانك تريد ان تعرى البشرية وهذا ما لا يكون ولا يجوز ان يكون بل يتفاوت مراتب اصحاب هذه القوة بحسب نصيبهم منها حيث انقسمت عليهم فتحلوا بها على مقادير امزجتهم وطباعهم ونهوضهم واحتمالهم وذلك التفاوت هو الذى يُعلي هذا الحال عن هذا ويحط شان هذا عن هذا الى اخر افق الانسانية المحتملة لغاية هذه القوة العالية الشريفة ثم ان الاخلاق و الالفاظ تابعة لها على ما يليق وايه من ضعف العقل والقوة والبيان واللغو والتوسط ثم قال والبلاء الاعظم فى امر الانبياء ان من الناس يظن بهم انهم كذبة اصحاب حيل ومنهم من يظن انه لا يجوز ان يقع منهم شيء من القول والفعل يتعلق بما يوجب التهمة ويجلب الشك وكان وراء هذين الرايين من هذين الصنفين القول الحق الذى لا يكون بعده تلبيس ولا تاويل وذلك انه ينبغى ان يعلم ان الشخص المخصوص بهذه القوة على الدرجة بها رفيع المكان معها ما دام يخبر بها وعنها ولا يمزجها بغيرها فانه حينئذ ينبئ عن اعيان الامور وقلوب الاحوال وعواقب الايام فاما اذا عاد الينا مفارقا للاقتباس واخلاقى عادة ذوى الاحساس فهو كواحد من ضربائه ولداته ان اصاب فبفطنته وان اخطا فبفطرته لانه فى مسلك غيره من البشر ومسلوب من الطين الاول ذو طبائع اربع متعادية وعناصر متشابكة لا فرق بينه و بين غيره البتة ما دام الحال على ما وصفنا وحال دوننا لنا فاذا انبعثت القوة بسلطانها وانبجست النفس ببرهانها فان هذا الشخص ياتى بكل ما يهدى العقول ويصلح الاحوال ويقمع النفوس وينظم المصالح ويقوّم الاخلاق ويهذب الطبائع ويكون نور العالمين ورحمة للخلق اجمعين ثم خرج من سياحته هذا الفرق بين الشريعة والفلسفة وحضر الجماعة المساء ولم يستوف ذلك على حقه ولعلى اعود على هذه المقابسة فاتى بما يكون محيطا اكثر قوله فى موضع اخر عن غير قصد يطلب جل بالكلام الذى يعقل اوله باخره وساء تاليفه من جميع حواشيه وبان التقصير فى نشره وروا[نيه] على انك ادام الله حياتك لو علمت على اىّ حال نقل هذا القدر وفى اى وقت قلب ومع اى شغل لاستكثرت قليله وحمدت الموافق له وما اكثر ما اخذت نفسى بتحويل ذلك كله الى نمط اخر بطراز انق من هذا الطراز واخلق اشد من هذا الاحتراز اذا اذن الله بزوال ما همّ النفس والبال واخسار ماده هم الصغار والكبار بمنه الشايع وفضله المشهور

٥١

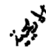
مقابسة اخرى قلت لابى سليمان لم قيل تقرير لسان الجاحد اشدّ من تعريف قلب الجاهل فقال لانّ تعريفك يوصل الى قلبه مرادك من غير ان يقدر على محاجزتك بالمنع والامتناع وذلك انه لا حجاب على قلبه ولا حاجز دون عقله وليس هكذا تقريرك للسانه لانه شكر بما يعرف بقلبه ويميل الى البهت شرادا على الحق وذهابا مع العنت واللسان يطاوعه على السكوت والقلب لا يطاوعه على الجحود قيل له قد يكون دون القلب يضا كن الجهالة وغطا العبارة وضباب البلادة فلا يكون تعريفك موصلا اليه مرادك فقال متى كان الامر على هذا لا يكون قلب جاهل انما يكون بما يرد عليه جاهلا وانما استقام الكلام الاول على قلب عرف فعرف فكان التعريف اسهل على القلب من الاقرار على اللسان واستشهد فكذب فكانت ذات برهان واضح فمن المحال ان يقال بعد هذا قد يكون دون القلب مانع كما يكون دون اللسان مانع لانه ما حاد نابه المسئلة قد فصل الحال وبين المراد

٥٢

مقابسة اخرى سمعت غلام زحل ببغداد يقول السماء هي الجسم الذى فيما بين نهاية كرة فلك القمر التى تلينا الى نهاية العالم وجميع اكر السماء على ما صح عند الحكماء تسع اكر اقربها الينا كرة القمر وسمعت بعد هذا ابن بكير يقول ان

فلك القمر فلكان هما سبب المد والجزر يقطعان الفلك في كل يوم وليلة مرتين وكان هذا من ادائر التي تفرد بها ولو اجد احداً يوافقه
على شيء منها وخاصة هذا الراي ولانه ليس لنا في هذه الصناعة مدخل ولا منفذ لم نقصد الرد عليه ولكنا عجبنا من هؤلاء القدماء الاوائل
الذين قد اقاموا البرهان على خلاف دعواه والصناعة برهانية فليت شعري اي برهان قام له على هذه الدعوى والبرهان معروف
وهو القياس الذي يعطي صورة الحق غير مشوبة ولا حاملة ولو ايضاً اشياء اخر انشأها من تلقاء نفسه وانتحلها وادعاها وأعجب
بها اعجاباً شديداً والطبيعيات كالالهيات قد ذكرناها في رسالة الى بعض الناس ولهذه الاعاجيب في حكايتها ههنا
ومات هذا الرجل اعني ابا سعيد صاحب هذه الاقوال لسبع خلون من ذي القعدة سنة ٣٨٦ ست وثمانين وثلثمائة

مقابسة اخرى قيل لابي بكر الصيمري لم لم يكن لكل مسئلة من العلم جواب واحد فقال من المسائل ما هو
كذب ومن المسائل مسايل لها توجهات وحواشي فيختلف الجواب من المجيبين بحسب نظرهم من تلك الجهات و
الحواشي ويحسن العبارات التي تجزل مرة وتضعف اخرى قال وبعد فالاشياء متشابهة متعاضدة اعني ان
بعضها يشهد لبعض وبعضها يعضد بعضاً لان الفيض الاول والجود العام واصلان الى كل شيء بقدر ما يلائم
لكل شيء فاذا وقع بحث عن شيء مجهول وتعاضدت الادلة فيه وتشاهدت المشابهة له وتقاطرت النظائر عليه
فصار الجواب من وجه مخالفاً للجواب الآخر من وجه فظنه ظان او اشار كان ما سالت عنه وطالبت به وليس الحق مختلفاً في نفسه
بل الناظرون اليه اقتسموا الجهات فقابل كل منهم من جهة ما قابله فابان عنه تارة بالاشارة اليه وتارة بالعبارة
عنه وظن الظان ان ذلك اختلاف صدر عن الحق وانما هو اختلاف ورد من ناحية الباحثين عن الحق **مقابسة
اخرى** سمعت عيسى يقول لو ان الاولين اجتمعوا في صعيد واحد واعتبر كل واحد قوة الباقين ليجدوا
العقل طيبين مسهلين ووجد واشاعه ونوره وشرفه وبهائه ونبله وكماله وبهجته وجماله وزينته وغناه لم
لما بلغوا منه حداً ولا استوعبوا من ذلك جزءاً انظر الى من فقده ولم يوهب له شيء منه كيف يرفض ويخذل الى ان
ويسترذل ويهرب منه ويستوحش من قربه وكلامه وحتى الذي قد ولده وفصل منه ويجري مجراه قال فاما
الحياة فانها ينبوع للفرح والهم واللذة والمعرفة والحس والحركة لا تمام للانسان الا بها ولا قوام الا معها ولذلك
اذا نظروا الى الميت استوحش منه وتبرم به وعوجل به الى القبر وابعد في الاقطار لان الحياة التي كانت مهالا انس
وربا طاً بين النفس والنفس فقدت قال وتجري العافية بعد هذين مجراهما وذلك ان العليل متى طالت علته
واشتدت ايام عظمت ثقلته عند انس الناس به وهرب منه احب الناس عليه فالعقل والحياة والعافية آثار في العمر
الكبرى وودايع العطية الاولى وكل ما عاد لهن فهو دونهن وكلما فارقهن يسقط عنهن والحياة وعاء والعقل
متاع والعافية استعمال ثم قال نسئل الله حياة طيبة وعقلاً نافعاً وعافية متصلة قيل له لم لم يذكر الفقر وهو
من قبيل الموت ولا الغنى وهو من حيز الحياة وعاء فقال كل هذه الاشياء بعد الحياة والعقل والعافية فروع فانا
الانسان بعقله يصبر على الفقر وبعقله يجتلب الغنى وبعافيته يبلغ الغاية ويكتسب السعادة والعقل في جميع
احواله فيتصرف بثمرة الراحة مرة والصبر مرة ويريه الحكمة فيما افشاه سر ويؤديه الى السعادة في كل ما اقبل عليه
ادبر لان العقل متى حل شخصاً اضاءه وانارة ومتى فارق شخصاً كدره واباره والكلام في العقل مضطرب
جداً خاصة اذا ترنم بتمجيده من ونور الله حظ منه وصبغ كله او بعضه به وغمس ظاهره وباطنه فيه وبسط
سناه وحمته عليه ولا باس مع هذا الاعتراف بشرفه ان اكتب لك في هذا الموضع ما يغذو ووحي ويحيى



الاريحية فى نفسك ويشحذ ما كلّ من ذهنك ويزيح ما غار من فهمك ويفتح تخميض بصرك ويطرد سنة قلبك ويؤلف
بينك وبين حسك اعلم انّ العامة وكثيرا من الخاصة لا يعرفون العقل ولا يحققون حدّه ولا يتصرفون فى وصفه و
يكتفون فى معرفته بان يقولوا هو عرض او جسم او التربا بتميز هذا التمييز ودونا جلها يتكلف هذا التكليف ويكلف
هذا التكليف وربما قال الحاذق منهم هو ماخوذ من العقال وسمعت البصرى المنبز بجمل يقول العقل هو مجموع علوم
هذه اللفظة والعبارة عن العقل اكرمك الله مقسومة على قدر ما يريك منه ويلحظ به ويؤكد السبيل اليه فاما يقال انه موجود
ومكشوف فهو سعة الكلام واقتدار القايل وتقريبا لمعرف وسمعت فى بعض ما يقال ايضا فى وصفه انه مطبوع
ومصنوع هذا قريب من الذى تقدم والذى يقربك من الحق فى هذا ويلينك الى اليقين ويلبسك جلباب السكون
ان تعلم ان العقل باسره لا يوجد فى شخص انسى وانما يوجد منه قسط بالاكثر والاقل والاشد والاضعف والموجود
فى العامة واشباه العامة انما هو قوة متصاعدة عن الطبيعة قليلا بعد التباسها بها قد فاءت عليها بظل النفس الناطقة
على ضعف دون ضعف وتزايد فوق تزايد وبها باينوا الحيوان دونها مباينة تامة من وجه وضارعوا مع ذلك
الحيوان دونها مضارعة مختلفة من وجه فاما وجه المباينة فظاهر بالشكل والتخطيط وانتصاب القامة وساير الخواص
الدالة على ذلك فله الجزء الذى هو للجنس بالنظر المنطقى واما المضارعة المختلفة فمعترف بها بشهادة التصفح وثمرة
الاستقراء الا ترى ان الانسان يوجد له زهو كزهو الفرس وتيه كتيه الطاووس وحكاية كحكاية القرد ولقن كلقن
الببغا ومكر كمكر الثعلب وسرقة كسرقة العقعق وعيافة كعيافة الغراب وجراءة كجراءة الاسد وجبن كجبن الصفرد
والف كالف الكلب واشياء من هذا النحو تكثر وهى تجاه العيون وازاء العقول فقد بان ووضح القدر الذى حصل
لهذه الطايفة وما هو وكم هو بهذا التعريف والتمثيل ثم ان هذه القوة قد ترقى ترقيا بعد ترقى حتى تلتبس بالنفس
الناطقة التباسا تاما الا انه يكون معها ظل من الطبيعة على قلة وكثرة وزيادة ونقص فيكون الصواب اغلب والعرفان
اقرب والوجدان اكثب والثقة اكثر والاستبانة ابرا خص وهذه هى قدر ما حصل الجميع من فضل عن العامة فى
حاله وعلمه ثم ان هذه القوة تصفو فى تلك الخطط والمعانى التى هى العقل فيلحظ صاحبها الامور بحقايقها مستوعبة
بحدودها مخلصة من موادها على خاص ما لها من بسايطها وهاهنا يقال ان الولاية للخير الالهى والمعنى الربوبى
وعند ذلك تكون القوتان الاخريان ضعيفتين اعنى قوة الشهوة وقوة الغضب وبالجملة تكون الطبيعة معزولة
وحكمها الحكم بعض الرعية المسوسة بعزة السلطان الملك العدل وهذه حال من وصل اليها وحصل عليها فقد
اوفى على رياض القدس وحاز ذخاير النفس وتقى من ادناس الانس وذكرت هاهنا كلمات تلتاط بما سلف
كنت سمعت ابا سليمان تناقل بها فى عروض حديثه عند طيب نفسه قلت له لم نسمع من المجنون الحكمة بعد
الحكمة فقال اتسمع من الذى ليس بمجنون الحماقة بعد الحماقة فالبادر من هذا كالبادر من ذلك فقال
له البخارى فما هذه الاشياء وما الجزء فيها وما العلة الى البرلها فقال المجنون من جنس العقل فيحق هذه المشابهة
ما ينطق بالقايلة ويسبق الى الحكمة ويطلع على البديع وكذلك الغافل من جنس المجنون فيحق هذا الشبه ايضا
ما يهذى فى وقت ويزل فاخر وينطق بالخطأ وينصر الباطل وهذا منسوب للذى فيه من حصة الهيولى بيدى
منه هذا النقص ولذلك القسط الذى فيه من صفة الصورة يبدو منه ذلك الفضل الا ان هذين البادين
فى هذين الشخصين لا يرفعان الحالين الظاهرين على الشخصين اعنى ان المجنون بقدر ما بدر منه [illegible]

عاقلا والعاقل يقدر ما بدر منه لا يكون مجنونا ثم ايضا جميع العقلاء والمجانين مختصين على هذا المنهاج ثم قال فهذا
الذي يقول به اهل الكلام في طرائقهم ليس بعقل وانما هو شبيه به او شيء معه ظلمة او حكمة او خيال ولهذا ما خالطهم الهوى
واستحوذ عليهم التعصب وحسن عندهم التقليد ودب في نظرهم ودخل لهم اللجاج والصياح وانفتح باب الحيرة عليهم و
سد باب اليقين عنهم قال ولهذا قلت الفهم وتنزههم وصاروا بتكافؤ الادلة متجاهلين ومتسايرين على هذا وجدنا
اعلامهم وكبراءهم ولولا ايثار التقية لذكرت لك اعيانهم واسماءهم سمعت العباد بالري سنة خمسين يقول طبع العقل على
ان يشهد للباطل كما يشهد للحق ولهذا اختلف العقلاء في جميع امر الدين والدنيا وهذا ابقاك
الله كلام خبيث وقد تكلمت عليه في كتاب النوادر مع جميع علاته وغواشيه ولولا ذلك لكان
يجب ان لا يثبت هذا القول هاهنا على وجهه ولعمري ان عقله وعقل ضربائه كذلك ولا ازيد على تهجينه بالخروج
عن حد الادب المرضي وتزايل احكام الخلق الذكي وقد جرى هذا الكتاب في ترتيب العقل وتحقيق المعقول بلوغها
الى ما يكون به العاقل عاقلا والمعقول معقولا ما يشفي الغلة فانتبه واسعد به **مقابسة اخرى** سئل ابو سليمان ان قيل
له لو وجد فينا شيء لا يبرز الا بالروية والفكر والتصفح والقياس وشيء بالخاطر والبديهة ولا الالهام والوحي والكلفة
حتى كانه كان حاضرا بنفسه مرتصدا للبروز فقال لان البديهة تحكي الجزء الالهي بلا انبجاس وتزيد على ما يفوض
عليه القياس ويسبق الطالب والتوقع والروية تحكي الجزء البشري وكذلك الفكر والتتبع والاستمداد والتوقع فمن
اجل انقسام الانسان بين شيء ينبعث به مشتاقا الى مطلوبه وبين شيء يبحثه شائقا الى مطلوبه ما وجب ان يكون
له روية وهي به وبديهة هي له وكان يقول ولهذا لا تتوفر القوتان معا للانسان الواحد اي لا يوجد للانسان
غاية في البديهة غاية في الروية لان احدى القوتين اذا اشتغلت قمعت الاخرى وحاجزتها عن بلوغ الغاية القصوى
قلت له فاي القوتين اشرف فقال كلتاهما على غاية الشرف الا ان البديهة ابعد من معلق الكون والفساد او
عن ضروب الاجتهاد والاستدلال والروية الصق بكمال الجوهر واشد تصفية للطينة من الكدر ثم قال الروية
والبديهة تجريان من الانسان مجرى منامه ويقظته وحلمه وانتباهه وغيبته وشهوته وانبساطه وانقباضه
ولا بد من هاتين الحالتين فمن ضعف فيهما فاته الحظ المطلوب في الحياة والثمرة الحلوة من السعي فقال ليس
حكمهما في اللسان اظهر من حكمهما في القلب فان للقلب بديهة بالسانح وروية بالاستقرار احدهما في حيز الهيولى
في حيز الصورة ولما كان الانسان متقوما بهما كانت نسبته فيهما يفرغ اليه على حال حصته فيهما تأهل عليه ثم قال
على الانسان حالات بحسب المواد الحاضرة والاسباب المؤثرة والقابلة تعتدل بديهته ورويته فيها او يسبق احدهما
ثم يستمر ذلك الاستمرار ولا يلد ومن ذلك السبق وهما قوتان الهيتان الا ان احدهما متصلة والاخرى واصلة اليه
وليس كل متصل به ينفصل بسهولة ولا كل واصل اليه يسير عنه ثم قال له في هذا الموضع ابو زكريا الصيمري الكلام عزيز
قل له وتدري لم قال افدنا ابقاك الله على عادتك ولا تذمنا نقصنا بمطالبتك قال لان الكون والفساد واسطة
هما في المقوم بهما لا كمال له لان الكمال في الوسط لا في الطرف ولكن ليس الرقي كالهوى ولا الهبوط كالصعود
ولا ما يزان به مثل ما يشان به ولا ما نعذب به مثل ما نثاب عليه انك لعلى جد لو كان لي منك ملح واندفع في هذا
وشبهه حتى فرق بينه وبيننا المساء فسقى الله تلك الساعات التي كانت تتضمن بهذه الراحات انظر الى بقاياها
المرسومة بالخط المدونة بالقلم المحكية باللفظ والله ان مشاربها في النفس والعقل والروح كانت تنسي كل



واغبط الحظ وربي بما تعلم بانك مفضل فيه على كثير من بني جنسك ولذا اثر الناشين معك والضاربين بسهمك فلا
تكثر الاسى على شيء هو الظل الزايل والحلم الباطل وعليك في حياتك بما يكملك في الحلة ويجملك من الادب ويفضلك من
البيان وينيلك من الخلق ودع ماسوى ذلك فانه خلل **مقابسة اخرى** سمعت اباسليمان يقول نحن نساق ٥٨
بالطبيعة الى الموت ونساق بالعقل الى الحياة لان الذي هو بالطبيعة قد احاطت به الضرورة والذي بالعقل قد اطابه الاختيار
ولهذا الفرق الذي استبان وجب ان نستسلم لاحدهما ونتحرم للاخرة ولا يصح الاستسلام الا بطيب النفس فيما
لا حيلة في دفعه ولا يتم التحرم الا بايثار الجد فيما لا ينال الا به والضروري لا يسعى له لانه واصل والاختياري لا يكسل عنه لانه
غير حاصل لديك فانظر اين تدع توكلك فيما ليس اليك ومن اين تطلب ثمرة اجتهادك فيما هو متعلق بك ثم قال
نحن نقضي ما علينا ونجتهد في ما الدينا ويجري الدهر بما شئنا او ابينا ثم قال ايضا في هذا الفصل على تقطع علايق الحديث
وتمادته بعض الحاضرين الانسان مسجون بالضرورة والاختيار وعلى ذلك فمعاده والى غايته التي هو متوجه اليها
من جهة اختياره ومتوجه بنحوها من جهة اضطراره وهذه كالحيرة ولا سبيل الى تحريرها واستبانة كنهها يحق ما عرض
لان الصورة عنونت الاختيار والهيولى رسمت الاضطرار والذي يكون بهما يضرب على حد بينهما وتبيرفهما وانما
كان الاختيار منسوبا الى الصورة بحق الشرف وانما كان الاضطرار منسوبا الى الهيولى بحسب الخسة والانسان كالانا
لهما والتباسه بهما والتباسهما به ما عرض هذا الصراخ والعويل واحتيج فيه الى القال والقيل والله المستعان في كل
ماعز وهان فليكن هذا مقنعا ان لم يكن شافيا والسلام **مقابسة اخرى** سمعت عيسى بن علي بن عيسى ٥٩
يقول لما كان الحس يحتل بالنفس الغضبية حتى ترا صاحبه تعدى محسوسة بالحياة كرجل يتعرض للسيف والحرب
والمقام الصعب ليفشو ذكره ويطير صيته ويعلو شانه ويشار اليه بالاصابع ويتحدث بحديثه في المجامع لم
يكن للعقل ان يشرق بالحق ويستنير بالخير ويلتذ بالصدق ويتحلى بالصواب وتستملي النفس عنه حقايق
الموجودات ويشرف به على عواقب المطلوبات والمقصودات حتى يجد صاحبه تعدى معقوله بهذه الحياة المموهة
الباطلة الى الحياة التامة الكاملة الدايمة الخالدة لا اثم فيها ولا تبعة ولا كد ولا مشقة هي حلة الهيبة ونهاية عقلية وهيئة
وجدية وحال ليس عليها بيان موصوف بلفظ مستور وموصوف ونكلم بهذا عند حديث رواه في الوقت
بعض الحاضرين زعم انه راى رجلا قد ضربه السلطان بالسياط بالجناية وانه كان يطاف به وهو عريان على
جمل بين الاشهاد فبلغ مكانا وقف فيه الجمل لعارض فلما نامنه صبي وشاوره بشيء فقال المضروب هذا على ظهر
الجمل قايما وبسط يده على حايط كان الى جانبه ثم سمرها بيده الاخرى بخنجر وبقي معلقا وعبر الجمل وهو كذلك فتعجب
الناس من نفسه ومرارته ومن الامر الذي هجم به على ذلك وزينه في عينه فافادنا بعقب هذا الحديث هذه
الفايدة ومدارها على ان صاحب العقل الذي حظ بالرتبة الكبرى واشرف به على الغاية القصوى واستهان من اجله بالحياة
الدنيا اجدر ان يفرغ عن خلايقه وتايره التي قد ارتبطته او ربطته وانه اهل بذلك وهو باليق وعليه اقدر وفيه
اغدر وان الصواب موكل به وناصر له بقدر ما كان الخطا موكلا بالاول وواضعا منه **مقابسة اخرى** ٦٠
قال ابوسليمان وقد جرى كلام في النظم والنثر النظم ادل على الطبيعة لان النظم من حيز التركيب والنثر ادل على العقل
لان النثر من حيز البساطة وانما تقبلنا المنظوم باكثر مما تقبلنا المنثور لانا للطبيعة اكثر منا بالعقل والوزن معشوق
والطبيعة والحس ولذلك يفتقر له ما يعرض استكراه في اللفظ والعقل يطلب المعنى فلذلك لاحظ للفظ

عنه وان كان متشوقا معشوقا والدليل على ان المعنى مطلوب النفس دون اللفظ الموشح بالوزن المحمول على الضرورة ان المعنى متى صور بالسانح والخاطر وتوفى الحكم لم يبل بما يقويه من اللفظ الذى هو كاللباس والمعرض والاناء والظرف لكن العقل مع هذا يتخير لفظا بعد لفظ ويعشق صورة دون صورة ويأنس بوزن دون وزن ولهذا شقق الكلام بين ضروب النثر واصناف النظم وليس هذا للطبيعة بل الذى يستند اليهما مما ان حلوا فى السمع خفيفا على القلب بينه وبين الحق وبين الصواب وبينه اصرة يحكمها مخلوط باملاء النفس كان قبول النفس راجع الى تصويب العقل ثم قال ومع هذا ففى النثر ظل النظم ولولا ذلك ما خف ولا حلا ولا طاب ولا تحلا وفى النظم ظل من النثر ولولا ذلك ما تميزت اشكاله ولا عذبت موارده ومصادره ولا بحوره وطرائقه ولا ائتلفت وصايله وعلائقه وقال كلاما اكثر من هذا وقد اخرته انشاء الله لرسالة معدودة فى الكلام على الكلام ثمرة هذا الاتمام فيها مع سائر ما يكون لها بشرح تام وعناية بالغة ان ساق الله اليه الى غايتها ورفع هذا الفساد الذى قد منع من كل ما قدمته النفس به من الخير وصد عن كل ما يكون سببا للسعادة ولا ملجأ الا الى الله فى كشف هذه الضراء واماطة هذه اللاواء فهو اول كل خير وميسر كل طالب وناصره

مقابسة اخرى

قال ابو سليمان وانا اقرأ عليه كتاب النفس للفيلسوف سنة احدى وسبعين وثلثمائة بمدينة السلام ان النفس قابلة الفضائل والرذائل والخيرات والشرور والاخلاق التى تعسر من وجه وتهذيبها وتأتى ذلك من وجوه اخر علة عجيبة وذلك ان الحيوانية منه للانسان اخلاقا وهى لا تستحيل ولا تتغير والناطقة ايضا اخلاق تترقى بها وتنحل فما اخذ من الاخلاق فى طريق الطهارة والصفاء فهو فى قبيل القوى الناطقة وما صعب منها فهو قبيل الحيوانية وليس يجب على الناظر المتحرز والمجتهد المتعرض ان يأيس من صلاح ما يمكن اصلاحه لتعذر ما لا يمكن ذلك فيه وقد شفى الكلام فى هذا الباب ابو زيد البلخى فى كتابه الذى سماه باختيار السيرة ومن استوعب ذلك بفهمه وتدبره وتدبره علم حظه من هذا الباب ابعد مرام وفاز منه باوفر السهام وعلى كل حال فالقصد مؤثر والاجتهاد مثمر والرأى منتفع والطريق جدد والشوق باعث والنزاع متصل والنداء عال والاستجابة ممكنة والتقرير اخذ الاهبة وتقدم العدة فلعلك ترتقى بطهارة اخلاقك وتهذيب سيرتك واصلاح حركاتك وتمييز نومك من يقظتك الى معادن عزك ومعدن فوزك حيث لا حاجة ولا مذلة ولا كثرة ولا قلة حيث يكتنفك الفطنة والسرور ويعمك الروح والحبور حيث لا تحتاج الى ذكر لانه لا يعتريك نسيان ولا تفزع الى طبيب لانه لا يصيبك داء ولا تتمنى شيئا لانه لا يفوتك محبوب ذلك المحل لولا ما اندفع الخطيب المصقع والعاقل المبين دهرا ودهرا التصنيف بهجته وزينته وشرفه وكرامته ورفعته وسناه ولم يلم بادنى حقائقه ولا باخف ما يتشتت الوهم به وان اعانه نوع جنسه وفتح عليه ابوابا فوق ابوابه وكيف لا تكون تلك الغاية نفيسة وتلك النهاية عزيزة وتلك العرصة مانوسة وتلك العقوة مقدسة ولا شرع الا وهو مشوق اليها ولا عقل الا وهو يحث عليها ولا بال الا وهو منوط بها ولا لسان الا وهو اثنى عليها ولا روح الا وهو نازع نحوها ولا مفاوضة الا وهى مستراحة من اجلها ولا مثال الا وهو يتعلق به طمعا فيها فكل مادونها شراب شئ من دون تحصيلها بباب وكل تجارة فى غيرها خاسرة وكل امنية دونها خائبة والله لو ان احدا نال وصلة بينه وبين احد يشرف بجلاله عنده وعقبى نيل الدنيا وراحة يتعجلها لنفسه كل عزمه وجل وكل كده وجهده بيقينه بزوالهما واضمحلالهما لزال اذا نال وادرك ما كان غير ملوم فى سعيه ولا معذول فى غدوه ورواحه ولا يهجن الرأى فى ملتمسه فكيف اذا قصر همه على طلب الزلفة فى دار الخلود ونزع الى مواصلة من به وجد كل موجود والسلام

٢٠ **مقابسة أخرى** هذه مقابسة اثارها قولنا لابي سليمان المنطقي ما احسن كلمات لبطليموس في الثمرة فانها كالشذور
المنتخبة والدرر الثمينة والاعلاق النفيسة ولقد شرحها ناس فاجادوا فيها وافادوا منها وما احوجنا الى اخراجهن
في الفلسفة الالهية والطبيعية فانها توعى وتحفظ وتروى وتلفظ وتصير كالجواهر التي تصلح للذاخر والاشجار التي تثمر
في كل ابان والمواد التي خير فيها الا انسان فقال خذوا الآن من ذلك ما يسمح به الوقت ويجود به واهب العقل فان فسح الزمان
كر عليه بالتنقيح والاصلاح وما يكون له كالشرح والايضاح ثم قال الطبيعة عش الكون والفساد والكون والفساد
ركبا البقا الكاذب والبلى الصادق والنفس معدن الفكر والوهم وهما بابا التمييز والذهن وللفهم العقل نهاية
الشرف والكمال به يكون نيل السعادة الكبرى من العلة الاولى والطبيعة كذوب لا تصدقك الا باكراه النفس والنفس
صدوق لا تكذبك الا باكراه الطبيعة والعقل رقيب يحفظ وشاهد يؤدي وثقة يؤمن فمن استشاره منتصحا اصاب ومن
اضرب عنه غير طامح وخرج عن اصابة الحق وظهر الفساد فيه فوق بقية او يقيد فنظر اخرا النفس ذلك
علمان بهما يكون ويفسد ذلك وجود واحد به يبقى ويسعد انما دخل الخلل الانسان من ناحية اعتقاده انه في
عالمه هذا حتى نسي بطبيعته ما كان يزود نفسه منه المرء ذلك اعرف حقايق الامور بالتشابه فان الحق واحد ولا
تستغرك الاسماء وان اختلف فتقول مات غير نام وفني غير بلي وبطل غير ذهب وعدم غير تحول وفقد غير
غاب فان السرور هو الفرح والغم هو الهم والمعرفة هي العلم والقول هو الكلام والبيان هو الايضاح لكن بلدك حيز
ود رجة وهيئة وهيئة ومكان ومكان وزمان وزمان ومعرض ومعرض شكوك في هذا العالم في اغشية متكاثفة
بين اهوال مختلفة على طرق مخوفة فاشكل عليك بلدك الذي انت منه فانتسبت في الغربة لبلد لست من اهله
واخذت بعادة كنت غنيا عنها لو عرفت مرمالك فيها فاذا انبهت فخذ في اصلاح ما يرحلك الى مقرك فتستريح
من هذا القلق الدايم ومن هذا الهول القايم. فخذ عليك بذاتك ولا تبخل بها الا بال فيفوتك ملا
بدلك منه اعرف تركيبك ثم اطلب به تبسيطك فان لكل مركب بسيطا اليه ينتهي است طينا وانما انت طيني فانتقل
مما انت به منقوص وانتسب الى ما انت به موفور شغلا ولك في انفعالك في الاول والثاني وان عجزت عن ارتجاع ما فاتك
فلا تعجز عن حفظ ما معك ولا ينفعك الآن جهد لك فبذلك تتصل الاجرام التي لا ينفعك الامكان وجد فان وجه
اليك وتوجه وراك فتوجه امامك وتغافل عما وراك فان الذي وراك في حكم ما ليس لك فمتى التفت اليه فاتك و
متى رجعت الى الآخر فيه الناموس الحق يعترف باكثر مما يعرف به وانت مجموع معادن ان انسبكت حصلت وان تركت
نسابت الصور غنية عن الانفعال والهيولى محتاجة الى الصورة فانفعالها على قدر حاجتها الصورة نوبة والهيولى
بحسب العلة الاولى معادن النفس اذا كانت خالصة ولها اليه عزوة وهي اوثق من جميع الوثايق والاواصر حد
الانسان حي ناطق مايت فمن ابرز هذا الحد بالفعل كما حواه بالقوة لم يرتق عن ان يكون انسانا كيف تقلبت حاله
ومن تطاول الى احرازما هو به ناطق على تهاون بما هو به حي مايت علا عما هو به انسان وصار جرما علويا و
جوهرا نقيا ولا مثال له عندنا الا المشتري وما هو في شكلة الهيولى في عالم الكون والفساد اقوى لانها في محل
عزها والصورة في عالم الحق لانها في معدنها كالها الفلسفة حب الحكمة ولا يصح حب الحكمة الا بالجمع بين العلم
بالحق والعمل بالحق لا تواتر بين الحكمة والطبيعة فيما يوثره الانسان اذا غلبت الصورة على الهيولى بطل حكمة الهيولى
العلم ثمرة العقل العقل سلم الى الله به بدء الخير كله ومرة الانسان موزون بكفتي العقل والطبيعة والرجحان بعد هذا

بالسيرة المقتناة وكذلك النقصان الطبيعة بالرياضة خادم العقل وبالوضع منشى الذى العقل النفس عقل بعد
الاستنارة والعقل نفس بعد الفكرة والطبيعة مميزة بالنظر فى الاول محرفة بالنظر الثانى لا تبلى الهيولى ولا تبيد لكنها
ابدًا فى الاحالة والاستحالة والتاثير والقبول والمتقوم بها هو المكفى بينهما لا فتور فى النفس لا كدر فى العقل ولا
حقيقة فى شئ من العلة الاولى لان كل شئ بما هو به مخلوط بحكمة البارى وبما هو مشتبه به مرفوع الى البارى لانه حد
الاعتدال فى عالم الكون والفساد لانه لا واسطة شرف الانسان فى تراشر فى الهوا والهوا اشرف الانسان من تركيبه هو
انفعال خسيس قبول الحق انفعال ايضًا ولكن فى غاية الوجوب وفى ذروة الشرف وفى نظام ما ينبغى العلم شرح العقل بالتفصيل
والعمل شرح العلم بالتحصيل العمل عملان عمل القلب لا تملك الا احد طرفيه وعمل المباشرة انت مالك له فمتى تحسن
ايثارك للحق صنع لك فى الذى لا تملك لو فاتك بحق ما تملك الهيولى عاشقة للصورة مع المنافاة بينهما الا انها بها
تكمل والصورة قابلة للهيولى لانها بها تحسن الا ان يكون المقوم منها وافر النصيب من الاول الخذلان كل الخذلان
فى الحرص على سماء الحكمة مع مخالفتها الاصرار الشر مع تمنى الاقلاع منه زيادة فى الشر العكوف على الخير مع الشك
خسران العاجلة والاجلة تمنى الخير فى الظاهر مع ملابسة الشر والباطن معاندة تقبل الاهتمام بالخير مبدأ والاهتمام
بالشر غاية المعطى لا ينبع المعطى ولا العطا قيل له فى هذا الفصل زدنا شرحًا قال محال ان تكون قوى الاجرام العلوية
فى الانسان الجزئى تابعة فى البيود والبطلان لا يستجيب شكل المادة لطابع العقل فلذلك يوجد الزيغ فى كل معقول
ومحسوس للمحل نقص باليبوس فلا جرم متى وجدت عالمًا وجد به تخفيف المال ومتى وجدت موسرًا او
جد به تخفيف لبصيرة فان ندر شئ فذلك خارج عن القياس كالعلم بين الناس ليس لنا الا الالهية والبشرية
فاذن لابد من سنن الالهية فتصير انسانًا وسلاليم وعلايق بين البشرية والالهية يرقى منها العاجز ويحل بها
الناقص بما اوجبت الحيرة لنقصك وشوقت الى من هو اشرف منك بنفسك فاكمل تعن وافن تبق واغمض
تبصر وانس تذكر واعرف تبخ وخاطر تحرس واعلم فى الجملة انك داؤك ولكن فيك دواؤك فاذا تسلط داؤك
على دوائك ذلك غار داؤك به وامك انك واضح فلا تشكل ونير فلا تظلم للصورة سوار لا يفهم الا
بتائيد العقل والهيولى خلاف لا يتخلص منها الا بتشمر النفس العقل سرح النفس عرعاها فيه والنفس
قلب الطبيعة مستقاها منه والطبيعة صراط الانسان من لم يغبه حاكم الطبيعة الى النفس يحكم لك ويبلغ الى العقل
ما يفهم عن النفس يردك اعرف الشر لئلا تقع فيه جاهلا به الشر شران شر نا شئ منك فانت قادر على
قمعه بموازرة الخير المؤثر عليه وشر وارد عليك انت محتاج الى دفعه بمعاونة اهل الخير الكارهين له الشر
عدم فمتى لبسته عدمت والخير وجود فمتى لابسته ظفرت وبقيت ومن خلط الخير بالشر وقف بين العدم
والوجود وساء عيشه ومن رجح به الشر باد ومن فاز بالخير نال السعادة لين الشر اكثر من عدم الخير ولين
الخير اكثر من معرفة الحق والعمل به قد تعرف الشئ منكورًا وينسى مذكورًا فاما عرفانه فمن ناحية ظهوره و
غلبته واما نكرته فمن ناحية حجبه ووساطة الموجود فيه ظل المعقول بدلالة الواجب له وهذا يلم لان الموجود جلبه
لغيره منه صح توحيدك بالمعرفة ووصف معرفتك بنفى ما يخامر سرك هو الاول والاخر والظاهر والباطن والشاهد
والغايب اول بلا مبدأ واخر بلا نهاية وظاهر بلا تحصيل وباطن بلا فكرة وشاهد بلا ملابسة وغايب بلا مشابهة
واياك اوع سره وعليك اقام بره ومنك استعارك ولك اعار ما اعارك ليكون ارجا منك ذلك او يكون

بل اذا جار عليك بدلك من الحيف ان تجحده وهو نيا غيك في ضميرك ويستولي غليك في ظاهرك ومن الجهل
ان قسمه ببعضك وتصفه بجل نفسك وتخبر عنه كما تخبر عما تركب عنك وفصل منك فيك لعمري فمن الضعف
ان تكون ذا طبيعة ثم تروم ان تكون ذا معرفة ولكن ليس لك ذلك بمحال الا انك متى محوت اثارها وجلوت
اصداءها ابصرت ما بين طرفك عنها وتسل الفك منها او ترقيك الى المحل الاشرف الاسنى كن بطبيعتك
انسانا فاضلا وبنفسك جرما عاليا وبعقلك الها غنيا والطريق الى هذه الغاية امم ان حركت همتك وقويت شوقك
ونفيت الشك عن قلبك وصحبت اليقين بعقلك وهجرت الحس الذي يكذبك وواصلت الناصح لك ولزمت فناءه
واستعنت واعنت وعرفت واعترفت من غمس نفسه في غمار الطبيعة هلك وطاح ومن اجتلى نفسه بزينة
العقل طرب وارتاح ومن عمد الغاية بجد وجهد نشر وباح ومن تهاون بتحصيل ما له وعليه خسر وناح لا يحزنك
ما يرجح نهيك عما يبهج لعقلك لا تتمن الموت طلبا للراحة مما انت مخنوق به مسحوب عليه دون ان تثق بما تستريح
اليه فانك متى اهملت هذا النظر حقت عليك ان تكون استراحتك مما انت فيه بالموت طريقا الى شقوتك فيما بعد
الموت فمن اخس منك اذن لا عيب على من جهل النفس الفاضلة ان يخدم الطبيعة الجاهلة انما العيب كل
من لحظ العيب في معدنه وشعر بالخير من متوجهه ثم اعرض عنه ساهيا ورضي ان يرحل عن هذه الدنيا
حايرا بايرا افرق بين متحرك من كذا او كذا وبين متحرك من كذا الى كذا حتى يصفو عزمك في طلب ما لا بد
لك منه ثم لا تقعد حتى يلحظ المتحرك على كذا او كذا فيه شروك الاعلا واليه كان سعيك الادنى والاقصى الطبيعة
شايعة في الاجسام ومحركة لها مبدية قواها فيها فاما النفس فانها تتحرك في الارواح النقية والجواهر الصافية
وهنالك يبرز عينها بالحدس والظن والعلم واليقين والحق والصواب ثم العقل بعد هذا كله حركة اخرى في
البسايط العالية والغايات البعيدة وبهذا تنال السعادة ويستحق الخلود ويصار الى ما لا يحويه وصف ولا
يرسمه رصف هنالك يقف الشوق عن الازعاج ويجاز الشرف كله بلا ممارسة ولا علاج حركة الطبيعة في الاجسام
نفس موموق وحركة النفس في الارواح الشريفة وشيء معشوق وحركة العقل في الانفس الفاضلة معنى انيق العفة
خليفة النفس الناطقة عند الطبيعة المغضبة والعدالة كمال للجميع صحة جسدك بازاء عفة نفسك وشجاعة
نفسك بازاء قوة جسدك وتمام جسدك بازاء حكمة نفسك وعدالة نفسك بازاء حسن جسدك فلا تقطع
بين هذه القرائن فيها شرفك واليها توجهك انت من نفس وبدن تبيد بالبدن وتخلد بالنفس فاقصر
سعيك على ما يبقى ولا تلتفت الى ما تبيد معه انت صورة لنفسك وبدنك الا انك مستقيم من حقيقة وتربها
من نفسك ومجاز داخل عليك من بدنك فوفر عنايتك على مستخلص حقيقتك من مجازك وتقضي به الى
شرف غايتك اخذ النفس من الكثر من اعطائها الطبيعة وتقبل البارى اكثر من فيضه على النفس بروز العقل
بالطبيعة اشد من استجابتها للنفس وذو النفس والطبيعة في جهاد دائم وكدح متصل يقبل العقل والفعل و
لكن في الافق الاعلى وشوق النفس انفعال ولكن في الرتبة الوسطى وبث الطبيعة انفعال ولكنه في السياح الاول من
ذي الطبيعة كذب رواية الحس الا اذا شهد له عواها العقل الرضي كنت بدرا في حكم العدم فنظمت بعيدا
من العيب مشهودا له بالعجب فلست الا امرا هو اعجب منه فان شبهت معادك بمبداك بشهادة الحس اخطات
وان جحدته على ذلك فيوشك ان تكون مصيبا لك وجود بالطبيعة ووجود بالنفس ووجود بالعقل ومراتب الوجود

مختلفة وكالريشير وجودك الثاني على هذا الشرح وجودك الاول فكن الأيشبر وجودك الثالث هذا الذي انت عليه الطبيعة
بسوس قوام البدن والنفس تسوسه واعني الطبيعة والعقل يسوس سكان النفس لنظام المحكم ولكن المنتظم متنهم
انت مسكن لغيرك فاجتهد ان لا يتحول عنك ساكنك كارها لك وآعلم انه ان اصطفاك حولك معه الانسان الجاهل
والعالم المتجاهل عليل والموثر للخير حي صحيح اذا كنت تجد حيا تحكم عليه بالموت بسبب تقتضي لك فلا تكون ان
تجد ميتا تحكم له بالحياة بسبب يقتضي لك لا تخالف مراد الطبيعة مقبلا فانك ترجع عند اهلها ما تكون فيه استر
ما تكون فيه فبدنك طبيعي فتهاون به ونفسك عقلية فتوفر عليها احرص على ان تعلم جيدا الا على ان تقول جيدا وعلى
ان تهوى خيرا الا على ان تحب خيرا وعلى ان تعمل بما ينبغي لا على ان تدعي بما ينبغي فيك درة الحق فلا تجد عنها ومعك
رائد الشرف فلا تعيبه واليه رشدك فلا تفت نفسك ما الهمك ملكت ما لا تستحق فاحسن سياسته حتى تستحقك
في التجارب مرأى النفس فاستكثر منها فانها النجح في كل دواء وابلغ من كل شفاء ان احتميت دامت لك الصحة وان
شرهت حالفك السقم واخضى بك الى الندم ما حمد المتواني عاقبته حاله ولا ذم الواصل فرصته غب امره ارحم نفسك
قبل ان تسترحم غيرك فانها اذا رحمتها اكرمتك واذا استرحمت غيرك لم يرحمك فان رحمك اهانك وامتن عليك
فلا تنفك من نعمة تهون عليك الموت وتسوقك الى العدم كن عاقلا حتى لا تغتر وخبيرا حتى لا تغتر وفي الجملة كاملا
حتى لا تنقص فان قلت اني لي بالكمال فاعلم ان كمالك في نفي نقصك بما تعرفه لا بما يزيله لان نقصك من جهة التركيب
لا من جهة البساطة لا تنم بين الايقاظ ولا تغفل عن الرقباء ولا تدع عنها الملك بين ولا ترج ما لك اليوم الى غد
فان غدا ليس لك فان كان لك فانه شاغلك عن يومك ساء ما منتك نفسك ان تنال لذتك وتبلغ شهوتك ثم تدرك بعد
هذا سعادتك ليتك اذاد فنك التراب وغسلك الماء ولطفك الهواء واحرقك النار وتقلبت بك الاستقصات وعاسفلك
علوا ودرنك نقاء وظاهرك باطنا وصرت مقبولا بكل شكل ومرقى الى كل خصل ومجلوا على كل عين ومذكورا بكل لسان
ومتمنى بكل قلب ومعدودا بكل اصبع ومقدسا بكل نجد وملتجى في كل زمان ومأويا الى كل مكان وموجودا في كل
اوان ومخبرا عنه بكل عيان كنت اهلا للبقاء والخلود والكرامة والغبطة ومشاكلة ما لا يزول ولا يحول ولا يبور
لا يجور ولا يصل اليك شيء الا ممزوجا ولا تصل الى شيء الا مكدودا الا ان الواصل اليك من العلو يخرق حجابا يتشبث
ما يمر به ويتعلق هو ما يختار عليه واما الكف الذي يصحبك فلانك في مركز يتطاول الى المحيط وهذه حال الخطو وعرضه
الا ان يكون الجد صاحبك والتوفيق كافلك انت سماء فيك كواكب تزهر وارض فيك بحور تزجر وهواء وفيك رياح
تهب وجبل وفيك عيون تنبع اقصد بكثرتك قلة وبقلتك توحدا وبتوجهك بقاء سرمدا لا راحة لخوف
دون الامن ولا دعة لراج دون المطلوب ولا سكون لمحتاج دون الغنى ولا غنى ونذرك المنى ما الجهد الطبيعة
في غمر لبلائك ما الطف النفس في اهداء النصيحة اليك وما اشرف العقل فيما يجود به عليك اخرج عن الطبيعة
يفرج عنك اي لا تسمح لها بالهوى فانها لا تعتدل الطبيعة تستهوي ذا اللب الوافر وتخدع الحازم الموفور وتفل غرب
للبدل الجسور لها في البدن صلاح وفساد فقط اذا اعتبرت افعال الله وجدت القدرة في وزن الحكمة والحكمة
في وزن القدرة وفي بعضها تجد القدرة والحكمة خافيتين وفي بعضها تجدهما ظاهرتين فلهذا واشباهه اشكلت
المطالب وثارت الشبه واختلفت الطرق والمظان وصار الباحث وان كان نحريرا نقابا ابا نزول من شق الى شق ويميل من
جانب الى جانب ولو استتب البحث على جلده واستتب القول على صلده كان العروان على قدر الوجدان والبيان على

قد والعرفان انما اشكل المطلوب لانك اردت ان تجد بالحس ما لا يوجد الا بالعقل وتجد في العقل ما لا يوجد في
الحس ولو رتبت كل شيء موضعه ورتبته لم يسم المطلوب ان يكون يقينا ولم يسم اليقين ان يكون مظنونا الا
بعكس جدك في ترتيبه وحفظ نظامك منه فان تماسك بواحي الطبيعة غير بطر وتصفح بالنفس غير ملول ونل
بالعقل كل ما تريد فبهذا تسعد وبه تدرك بقاء الابد مت بالطبيعة قامعا لها حي بالنفس رفيعا بها الا تستشير العقل
متعلقا باوساخ الطبيعة فانه يعافك ولا ينصحك ولكن توجه اليه طاهرا امنا من كل دنس عاريا من كل فساد ثم
اسمع منه فانك لا ترى الا الرشد ولا تجني الا الغبطة الاختيار مركب من قوى النفس والطبيعة ولذلك كان معنى
الانفعال فيه بالواجب اظهر من معنى الفعل منه والامكان لانه في انتسابه الى النفس ذو صورة وقيامه بالطبيعة
ذو هيولى وعلى هذا فنون الافعال كلها الا ما بان في وبينه عنها وفي هذا الكلام لعله يقع في موضع آخر بسط مقابسة

۳۴

اخرى قلت لابي سليمان يوما الم يصف التوحيد في الشريعة من شوائب الظنون وامثلة الالفاظ كما صفا ذلك في الفلسفة
وقد سمعناك تقول غير مرة ان الشريعة اذا كانت حقا لا تكون كذلك الا بقوة الالهية بعائد النمط الذي قد ورد وانتشر
وصار عقد الدهما ونحلة الجمهور حتى صار في غمار هؤلاء من يشبه التشبيه الفاحش ويشير اليه الاشارة الخفيفة
فقال في الجواب قد قلنا مرارا في المذاكرات التي سلفت والمعاني التي جنحت وعرفت ان الكلام الذي يراد به استصلاح
العامة واستجماع الكافة لابد ان يكون مرة مبسوطا ومرة موجزا ومرة مستقصى بالايضاح والافصاح ومرة مجموعا
بالرمز والتعريض ومرة موكلا على الكناية والمثل ومرة مقيدا بالحجج والعلل وعلى فنون كثيرة لا وجه لاستيفائها اذا بان
المراد في غرضها واثباتها واذا استغرق هذا مفهوما وتوضح بيانا فالواجب كان جميع ما يحويه الشرع من هذا ا
الضرب ليجد الخاصي فيه اشارة تشفيه والعامي عبارة تكفيه فقال بعض العرب انا قد وجدنا للاوائل في التوحيد
كلاما كثيرا استقاربا ولم يبلغ صفا لهم ايضا ما كدر على غيرهم وهذا يدل على ان ما ينطق به الناموس قريبا مما يسنح
في النفوس فقال انا لا اظن ان كل من كان في زمان الفلاسفة بلغ غاية افاضلهم وعرف حقيقة اقوال متقدميهم
بل كان في القوم من رأى رأي العامة وحط الى ما حطت اليه ولم يبن منهم كثير شيء مع قدم الزمان ولقاء المحققين
وهذا الذي احد لا يكون قادحا فيما نصصناه من القول في حقائق التوحيد الذي ظفر به خلصاء الحكمة وفرسان
الصناعة على ان الترجمة من لغة يونان الى العبرانية ومن العبرانية الى السريانية ومن السريانية الى العربية قد
اخلت بخواص المعاني في ابدان الحقايق اخلالا لا يخفى على احد ولو كانت معاني يونان تهجس في
انفس العرب مع بيانها الرائع وتصرفها الواسع وافتنانها المعجز وسعتها المشهورة لكانت الحكمة تصل
الينا صافية بلا شوب وكاملة بلا نقص ولو كنا نفقه عن الاوائل اغراضهم بلغتهم كان ذلك ايضا نافعا
للغليل وناهجا للسبيل ومبلغا الى الحد المطلوب ولكن لابد في كل علم وعمل من بقايا لا يقدر الانسان
عليها وخفايا لا يهتدي احد من البشر اليها وذلك للعجز الموروث عن الهيولى والضعف الثابت
في الطينة الاولى وهذا لكي يكون الله تعالى ملاذ الخلق ومعاذ العالم وهذا الذي سرى بين الجميع
في الانقياد والطاعة حتى حصل هذا مستجيبا لما هو صامت بطباعه وهذا صاير الى ما هو مدعو اليه
فانه وكنه هذه العيوب معترف به في الجملة ومسلم اليه في التفصيل فقال له البخاري فعلى هذا اذا فما الكلام
في التوحيد فقال اما من اعترف بالوحدانية ثم شبه فقد رجع ما قال ونقض ما اعتقد واما من ذكر

اكثر من واحد فقد ضل عن الحق كل الضلال واما من اشار الى الذات فقط بعقله البريء السليم من غير تورية باسم و
الحلية برسم مخلصا مقدسا فقد وفى حق التوحيد بقدر طاقة البشرية لانه اثبت الانية ونفى الاينية والكيفية
وعلاه عن كل فكر وروية ثم قال لقد احسن من قال ان حاولت فات فوتا بعيدا وان ازمعت جحوده بان فيك
موجودا مشهودا وكان ذيل الكلام اطول من هذا اشمئز تخوفا من جناية اللسان في الحكاية ونزوة القلم في الكتابة
وايثارا للمحافظة فيما يجب على الانسان اذا انشر حديثا وروى خبرا واثار دفينا واوضح مكنونا خاصة اذا كان ذلك
في شيء غامض ومعنى عويص ولفظ مشترك وغرض منوع ينبو عنه كل قول فان ويتجافى عنه كل نازع وان
اغرق

مقابسة اخرى ٤٤

سمعت ابا سليمان يقول قال افلاطن ان الحق لم يصبه الناس في كل وجوهه ولا
اخطاؤه في كل وجوهه بل اصاب منه كل انسان جهة قال ومثال ذلك عميان انطلقوا الى فيل واخذ كل واحد منهم
جارحة منه فجسها بيده ومثلها في نفسه فاخبر الذي مس الرجل ان خلقة الفيل طويلة مدورة شبيهة باصل الشجرة
والنخلة واخبر الذي مس الظهر ان خلقته شبيهة بالهضبة والرابية المرتفعة واخبر الذي مس اذنه انه منبسط
رقيق يطويه وينشره فكل واحد منهم قد ادى بعض ما ادركه وكلا يكذب صاحبه ويدعي عليه الخطا والغلط
والجهل فيما يصفه من خلق الفيل فانظر الى الصدق كيف جمعهم وانظر الى الكذب والخطا كيف دخل عليهم حتى
فرقهم وكان يقول اعني ابا سليمان هذا مثل يشتمل على نكت حسنة مفهومة لاخفاء بها عند من سمعها بتحصيل و
يؤيدها بيان قال ولهذا لا تجد عاقلا في مذهب يقول شيئا الا وهناك ما قد اقتضاه ذلك بحسب نظره
السابق الى قلبه والملايم لطبعه والموافق لهواه ولكن البارع المتسع المحصل له المزية في السبق والفلج بالتبريز

مقابسة اخرى ٤٥

هذه مقابسة يذكر فيها نوادر سمعناها في الفلسفة العالية من ابي سليمان مفيدة واذا وهب
الله نشاطا وتمكينا عدنا الى نظايرهن فروينا هن فانها كثيرة نافعة غريبة سمعته يقول نزلت الحكمة على رؤس الروم
والسن العرب وقلوب الفرس وايدي الصين وقال ايضا انما يخرج الزبد من اللبن بالمخض وانما تظهر النار
من الحجر بالقدح وانما تستبان النجابة من الانسان بالتعليم والعدن لا يعطيك ما فيه الا بالكدح والغاية لا تبلغها
الا بالقصد ومن نشأ بالراحة الحسية فاتته الراحة العقلية والعاجلة تتصرم والاجلة تدوم وقال الحرف
الذي يدعى في العربية وينسب الى الادب موروث من العرب وذلك ان ارضها ذات جدب والخصب فيها
عارض وهم من اجل ذلك اصحاب فقر وضر وربما دفعوا الى وصال وطي وكل من تشبه بهم في كلامهم
وطريقتهم وعبارتهم ارتضخ ما هو غالب عليهم من الحرب والاحتقاق [?] اللذين عليهما الفهم [?] الا ترى ان الشبع غريب
عندهم والعيب مذموم منهم وهذه هي الحال التي عرفت من الحاضرة والبادية وقد زادتهم جزيرتهم شرا لكنهم
عوضوا الفطنة العجيبة والبيان الرايع والتصرف المفيد والاقتدار الظاهر لان اجسامهم نقيت من الفضول و
وصلوا بحدة الذهن الى كل معنى معقول وصار المنطق الذي بان به غيرهم بالاستخراج مركوزا في انفسهم من
غير دلالة عليه باسماء موضوعة وصفات متميزة بل فشا كالالقاء والوحي لسرعة الذهن وجودة القريحة قلت
له قد صنف ابو اسحق الصابي رسالة في تفضيل النثر والنظم فقال قد كان منذ ايام سالني عنهما فقلت له النثر
اشرف جوهرا والنظم اشرف عرضا قال وكيف قلت لان الوحدة في النثر اكثر والنثر الى الوحدة اقرب فمرتبة
النظم دون مرتبة النثر لان الواحد اول والتابع له ثان فقلت له فلم لا يطرب النثر كما يطرب النظم فقال لانا منتظمون

فلا يمنا اطربنا وصورة الواحد فينا ضعيفة ونسبتنا اليه بعيدة فلذلك اذا اشتد ذا ترنحنا هذا في اغلب الامور وفي اعم الاحوال
او في اكثر الناس وقد نجد مع ذلك ايضاً في انفسنا مثل هذا الطرب والاريحية والنشوة والترنح عند فصل منثور وفيما
يهدينا هذا الذي نصرناه والمعنى الذي اجتبيناه وان الكتب السماوية وردت بالفاظ منثورة ومذاهب مشهورة حتى
ان من اصطفى بالرسالة في آخر الامر غلبت عليه تلك الوحدة فلم ينظم من تلقاء نفسه ولم يستطعه ولا القى الى الناس عن
القوة الالهية شيئاً على ذلك المنهج المعروف بل ترفع عن ذلك وخص فعرض ما كانوا يعتادونه ويالفونه باسلوب
جبر كل سامع وبرد غلة كل مصيخ وارشد كل غاو وقوم كل معاند وافاد كل لبيب واوجد كل طالب وخسا كل معرض وهدى
كل ضال ورفع كل لبس واوضح كل مشكل ونشر كل علم واقاد كل شارد وقمع كل ردىء وهذا لا يكون ولا يجب ان يكون
الا في الشخص المخصوص الذي يوهل لنظم الكلمة المنتشرة باظهار الدعوة العزيزة في ايام السعادة المنتظرة بين خير
اعوان ثم يكون لهذا كله زمان محدود ينتهي اليه على السياح الاول مع العوارض التي تختلف من عجائب الزمان وافانين
الدهر فاذا كان كذلك كر على سالفه بتجديد شان شبيه بالدرس الى ان تعود نضرته المعهودة فتزول خلوقته العتيقة

٤٤

مقابسة اخرى

نعود في مقابسة اخرى الى اشياء لابي سليمان فناتي بها على وجهها ونذكر في هذه حكماً سمعناها
من الحراني ابي الحسن وغيره . فقد كانت المجالس لا تنصرم الا من فوايد كثيرة فلسفية وغير فلسفية قال الحراني قال بعض السلف
من الحكماء الصلحاء والفضلاء العلماء ما تم فضيلة العلم الا بالعمل وان العالم لم يعمل حري ان تتوق نفسه الى حال من الاحوال الى محاسن ما علم وحفظ
الجاهل منقطع النسب والعالم لم ينفع وان لم يعمل وليس ذلك للجاهل والعالم كاسب على الجاهل والجاهل كاسب للعالم قال ابن زرعة قال بعض القدماء
العقل والي على الفضيلة فمن اباها استحق لعقيمه بلا الترك للرذيلة ومن اثرها استحق اسم الجهل فما كان مميز الترك العمل بدلا الـ
وقال الصابي قال الاوليون الشكر الاقرار بالنعمة للمعبود وجزؤها بالحسنى في الضمير والقول والفعل فاما اجزاء الضمير
فالنية والمحبة والطاعة واما اجزاء القول فالثناء والدعاء والنشر واما اجزاء الفعل فالصبر والسعي فيما يرضي المنعم قال والشكر
ثلاث طبقات لمن فوقك بالطاعة والنصيحة ولاكفائك بالمكافاة ولمن دونك بالتفضل عليه والشاكر ان قصر عن ثلث لم
يشكر ويحتاج الى معرفة وطباع وعمل فبالمعرفة يعرف كنه النعم وقدر ما يجب عليه من الشكر وبالعمل يبلغ كنه ما هو عليه وبالطباع
يكون الدوام على ما وجب عليه والشكر مراتب فشاكر قصر عن قدر النعمة ولا عذر له الا ان يكون ذلك منتهى طاقته وشاكر
اقتصر على السوية فانما كافا ما اوتي اليه وليس يحسن ان الحاق الى الزيادة وشاكر زاد تنفلا وكرما فهذه اعلا مراتب الشكر
قال القومسي السلطان في تدبير الرعية كالشمس في تفصيل الازمان والجند كالرياح في التلقيح والعلماء من الجميع كالنبت
والحيوان والعوام في نقل الامور كالارض في حمل الانام وما يكون منه منافع الانسان وقال علي بن عيسى ليس يرى مجد الحكمة
الا من كان بصر عينيه في قلبه لا بصر قلبه في عينيه وما احسن ما افتق لسان البدوي بهذا المعنى في نظمه السائر وما الفضل فيما
ترى عيس بل هو فيما ترى القلوب وقال علي ابن عيسى قال افلاطن من اتصلت الحكمة بطباعه فتحتها واخرجت منها انواع البيان
المخالف لها في الشكل والقوة والصورة وقال غيره قال سقراط كل مصغر ليس بمحمود ما امكن منه الاختيار وقال ابو سليمن وقد
سمع هذه الحكاية ما احسن ما قال بطليموس في كلماته في الثمرة حين قال انا اطلب المختار المختار لا الافضل فليس بينهم وبين
المطبوع فرق وقد شرح هذه الكلمة في اخواتها من الثمرة كاتب نطولون واربى على كل فائدة قلت لابي سليمان اذا كان في
الاختيار انفعال كما على الدائم لا يكون المطبوع افضل منه وان سميته مضطرا فقال قد وضح لك قديما ان الانفعال على ثلثة
انحاء فمنه ما يحيط به الانفعال من خاصية جوهره باستحالة صورته وانحلال كينونته وضرب يتحرك به المنفعل على نفسه اما

نحو

نقصًا لما اجتمع او استحلا بالمائل عنه وضرب يتطاول به المنفعل الى ما هو فوقه مقتبسًا بالقوة شوقا الى
القدرة جارٍ على الشرك الواحد فهو بالقوة الالهية افضل من المختار ولكن شرف المختار عليه من جهة القدرة
الموهوبة له يتخير بها وفي هذا اعني التهليل وشرف المطبوع من جهة القدرة الموجودة فيه بها ومر عليها
وفي هذا المعنى العيش وقال اخر وهو عيسى بن علي قيل لبعض القدماء كيف يكون المحرك ساكنا فقال فى الجو
كالمغناطيس الذي يحرك الحديد وكذلك الشهوة للبدن فان الحجر والشهوة ساكنان وكذلك المعشوق والعاشق
فقال القومسي وغيره ايضا من الحكماء البينة قول الاول انما يدرك الشيء من جهة علته المحيطة به فاذا لم يكن للشيء
علة فلا محالة انه غير مدرك وقال عيسى بن علي الملك بحق من ملك رقاب الاحرار بالمحبة وقال الصابي قال ثابت

٤٧ بن قرة الخرافات توجد من اربعة اشياء وهي عجايب البحر وحديث السحر وحديث العشق وحديث الجن

مقابسة اخرى

قال ابو سليمان قال بعض الطبيعيين البياض ينشر البصر لانه من جنس النار والسواد مجمع للبصر لانه
من جنس الماء قال وقال اخر الفصل بين الجوهر والعرض ان الجوهر لا يقبل الزيادة ولا النقصان والعرض يقبلهما وقال
كل خير حسن وليس كل حسن خير وقال كلما فعلته النفس بالادب فعلته الطبيعة بالعادة وفعله العقل بالتقبل و
فعله الباري بالجود وقال الغضب يتحرك من داخل الى خارج والحزن يتحرك من خارج الى داخل وقال بعض الاوائل
معرفة الدواب اولادها بالرائحة ومعرفة الطير افراخها بالالوان ومعرفة الناس بالصورة وقال متى كانت
الحركة بشوق طبيعي لم تسكن البتة ومتى كانت باختيار رجاء ان تتحرك مرة وتسكن اخرى وقال سقراط ان لم تكن
لك استطاعة فالى محرك غير محرك ثم قال ابو سليمان هو محرك اذا كان محركا لانه محرك لا محرك فقيل له قد فطن
بالباري اذا كان محركا ان يكون محركا لانه يحرك فقال لا يجب هذا الامرين احدهما ان في القسمة قد تبين ان ههنا
محركا لان في مقابلته محرك غير محرك والثاني ان معقولنا من قولنا الباري محرك الاشياء لانها تنحوه وتتصل اليه وتتشوق
وتفعل به وتنفعل له لانه تقدس وعلا يوسم ما يوسم به اضاف ما تحرك او محرك وقال بعض الاوائل العلم والعمل حدا
الفلسفة وكل واحد منهما بين ضدين فالعلم بين الصدق والكذب والعمل بين الخير والشر ثم قال لهذه الرذائل
كلها اعلام هذا لفظه فمن الفها واستعملها وانقاد لها وغلب عليها فقد اعدم نفسه وعدمها وعدم معها وضمحل
فيها والعدم حال سيئة مكروهة فاحشة لا يأتي عليها نعت وان كان بليغا ولا يحيط بها قول وان كان شافيا فاما
الفضائل فعلى خلاف هذه كلها هي موجودة ولها الوجود المستفاد من الموجود الاول فمن اقتناها واستعملها
وراض نفسه بها اليها واجرى عادته عليها ولان عريكته لها انقطاعا عن ما عداها وانقطع اليها وكلما فضة
الازدياد منها بقي موجودًا بوجودها وجودًا الا بقاية على قدر اشتماله عليها وتقصيره لها وامعانه فيها فما
ظنك بحال توضح لك الفصل بين الموجود والمعدوم وترشحك لنيل ملك عظيم وتمليك الظفر بشان جسيم
وتوثقك على صراط الله المستقيم ثم قال وليس في التحلي بالحكمة تعب كثير وقد والله شاهدنا قوما يحملوا الاماكثر
وركبوا اهوالا عظيمة لسبب اغراض هايلة واعراض زايلة ولسبب هوى سول لهم وقرين اغواهم واعتقاد
ردي غلب عليهم وشيء محقير تعجلوه بشهواتهم وطلب السعادة باصلاح السريرة وانتحال الصواب اهون من
ذلك اجمع فلا يصدنك عن سلوك هذه المحجة البيضاء امر مبهم ولا حال مستجهمة فان فيها تدركه وتشرف عليه و
تنال الروح برخلفا كثيرا وغاية عظيمة فلا تكل نفسك الى اختيار السوء والى قرناء السوء فانك ان فعلت ذلك

خسرانًا مبينًا وضلالًا بعيدًا لا يعادًا وتحرقت اسفا وتقطعت ندما وان نصحت نفسك واخذت بيدك بيدك
واستمرت في امرك واستترت بدايك ورفضت كل كلٍّ عنك وعرفت المراد منك فزت فوزا عظيما ونلت ملكا ونعيما
وبقيت بقاء بلا انقطاع وسعدت سعادة بلا شقاء وصفوت وعلوت وعرفت وانفت وقدرت وظهرت في تجلي
وشرفت ولحظتك عين الجود غامره واكتنفتك الخيرات ظاهرة وباطنة واحدًا لا ينقسم وناظرًا لا يغمض وموجودًا
لا يعدم وبيّنًا لا يخفى وشاهدًا لا يغيب وحاضرًا لا يفقد وعلانية لا تنكتم ومتصلا لا ينقطع وحبيبا لا يقلى
ومعشوقا لا يخفى وموصولا لا يبعد وصاحبا لا يمل ومجموعا لا يفترق وامنا لا يخاف وساكنا لا يقلق وناطقا لا يعيى و
صحيحًا لا يسقم امر يجل عن نعت الناعتين وحال تعلو قول الواصفين وشان تدق على خبر المخبرين فاجمع اكرمك الله
بالقبول اطرافك وشمر الى الغاية ذيلك وكن رقيبا على نفسك فلا مشفق عليك سواك ولا ناظر في امرك غيرك وعلى الله
التلطف وعليك الاجتهاد والسعي فما بعد نصح الداعي وقبول السامع الا نيل الاماني وبلوغ الامال **مقابسة
اخرى** قال ابو سليمان قال بعض الطبيعيين الوسط فيه الطرفان فان الماء الفاتر توجد فيه الحرارة والبرودة
ثم قال وهذا بيان قول الاوائل الانسان لب العالم وهو في الوسط لانتسابه الى ما علا عليه بالمماثلة والى ما سفل عنه
بالمشاكلة ففيه الطرفان اعني فيه شرف الاجرام الناطقة بالمعرفة والاستبصار والبحث والاعتبار وفيه صفة الاجسام
الحية الجاهلة التي ليس لها ترشح بشيء من الخير ولا فيها انقياد له فما احرى من هذه حده وشانه ومقره ومكانه ان يتجافى
الى ما يعز به ولا يذل به ويوجد به ولا يفقد وينال به ولا يحقق وما اشقى من هذا حده يتم مع التمكين والاستطاعة
والقدرة والقوة والتذكرة والتبصرة ان تردى من ربوته ويذهب في هوته ويبقى خاسيا حسيرا او مقيدا اسيرا بلا
فكاك ولا اطلاق ولا رحمة ولا اشفاق قال ايضًا قال افلاطن من ملك منطقه سمي حليما ومن ملك غضبه سمي شجاعا
ومن ملك شهوته سمي عفيفا قال وقيل لافلاطن اي الامرين اعلى درجة ان يقول ما يعلم او يعلم ما يقول فقال ان
يقول ما يعلم لان مرتبة العلم فوق مرتبة القول قال وهذا كما قال ما تعلم فالقول تابع للعلم وهذا هو الحق ليكون العلم
اولا فاصلا واذا علم ما يقول فكان العلم مقصورا على قوله من غير ان يكون قائما بنفسه ثابتا في معدنه جاريا من
ينبوعه هذا اخر ما فهمناه عنه في هذا الفصل ولعل المطالبة بزيادة شرح ممكنة فان المغزى فيه لطيف في البيان
عنه عزيز وقال بعض الاوائل الانسان الذي لا يعمل بعلمه كالشجرة المورقة لا ثمر لها وقال اخر البخيل الغني كالحيا القوي
وقال اخر من الصورة والهيولى يكون الحد ومن الصورة والعلة يكون الايضاح ثم قال وهذا صحيح لانه لا وجود لشيء الا بصورته وهيولاه
فاما الهيولى بذاتها فغير موجودة وكذلك الصورة فكل ما يقوم قائما يتقوم بهما ثم يصير كذلك التقوم صورة اخرى محفوظة الظاهر
والباطن الى الاولين الذين هما الهيولى والصورة ثم على حسب ما عليه الصورة في هذا التقوم يكون شرف جوهره لانه يستفيد البقاء من
الصورة والتركيب من الهيولى وذلك على حسب ما عليه هيولاه فيكون متجوهرة وسيلا عنصره فكل حيوان غير ناطق عادم لشرف الصورة وكل حيوان
ناطق واجد لشرف الصورة الا ان الناطق ناطقان ناطق في الذروة وناطق في الوسط فالذروة للاجرام الناطقة
الحية النيرة العلوية والذي في الوسط الانسان الذي قد حوى بحاله معنى النطق ويظهر منه هذا المعنى في الطرفين
بالفطرة التي له فانه يحس ويعقل والاخر بالرياضة المحمودة والالف الحسن والاختيار الجيد والقبول الدائم
ولما علت الاجرام الناطقة عن هذه المهابط التي نتصف فيها الانسان استغنت عن الرياضة والتعلم والطلب و
والاجتهاد والاختيار ولما سفلت الاجسام الاخر التي هي في اخر الاطراف لم يطمع لها في ثمرة النظر وعاقبة الرياضة

وما يعد

٦١

ومايفيده الاختيار ويتوقع بالقبول وكما حصل للانسان دون الجواهر الناطقة كذلك حصل ساير الحيوان الذي هو
دونه دون الانسان لان خساسة ما تباعد عن الانسان من اصناف الحيوان اشد وابين لانها خساسة طينية لا طمع
في رفعها ولا رجاء في دفعها فاما ما جازه الانسان في مكانه الذي هو كالمنتصف من النواطق العالية النيرة الشريفة
الدائمة الابدية وبين ما سفل عنه من ساير الحيوان فهو على شرف الطبع في صلاحه واستجابته وانقياده حتى يجود اختياره
ويذكو ذهنه ويطهر عقله ويصير ما هو في قوته كامنا باديا وما هو معجون في طينته ظاهرا وحينئذ اذا بلغ هذا
المبلغ علم انه ناجح من ناحية الطبيعة وانه متى نزع يده من يد الغاش ووضعها في يد الناصح ثبت نسبه الى الشرف و
استقرت قدمه على الصراط وابصرت عينه كلما غاب ووثقت نفسه بالكرامة وارتاحت الى ما بين يديها من الغبطة
ولنسيت ان هذا الانسان في هذه المنزلة الصعبة والمنزلة المخوفة ما قد لا ينجح فيه الدواء ولا يسري اليه الشفا فيعطب
الذي من اجله صرنا نتنادى بشاهد التنادي ونتحارس في هذا العالم هذا التحارس ونتواصى هذا التواصي لئلا يختطف
نجاة الى مهوى البلاء ومعدن الشقاء قد والله لجأ الينا بالنجاة وصرح لنا بالحق ونصب امامنا العلم وتلا علينا بيان
الرشد والغي ليكون نجاشنا على يقظة وبيان وتحولنا الى مقام دار امن وسلام ونحن كما ترى ساهون لاهون الى الله المشتكى
والسلام وقال ايضا ابو سليمان قال بعض الطبايعيين منزلة الكواكب من الشمس منزلة الحديد من حجر المغناطيس اما
تراهن اذا ابعدن تحدبهن اليها قال وهذا القول فيه نظر فقال ابو سليمان كل من لا يعرف ما يجب عليه فلا يعرف فقال
ليس هذا من كيسي وقال اخر للدين حجة لا يحتج عليها وللشبهة سبيل لا يعرض لها **مقابسة اخرى** سمعت

٩٤

القومسي وابو بكر يقول قال بعض الاوائل الرقى باطلة فقيل له بل هي حق الا ترى الوعيد يقطع العرق وانما هي كلمات
تدخلها النفس على الطبيعة فتشغلها بتلك الكلمات عن عملها قال وهكذا تفعل الرقى اذا كررت على الانسان وقال ايضا
قال بعض الاولين في السياسة والاخلاق من ملك حقيق ان يحصن عقله من العجب ووقاره من الكبر وعفوه عن
تعطيل الحدود وقال بقراط الحمية ان تدع الشهوة تقية فقال بعض الاوائل استضاءة الجسد من النفس كاستضاءة
القمر من الشمس واستضاءة النفس من العقل كما يصلح النفس للنفس واستضاءة الروح من الطبيعة كاستضاءة
المركز من المحيط واستضاءة العقل من العقل الاول كاستضاءة العاشق من المعشوق وقد قال بعض الاوائل ايضا
هذا حق ولكن يقال هذا عدل بحق لان الحق او العدل له وقد قيل لافلاطون فلان لا يعرف شيئا من الشر قال فليس اذن
يعرف شيئا من الخير قال فهذا مكشوف لانه يريد ان تكون الامور متميزة عند الانسان الفاضل فانه بعد تمييزها يختار
منها وفيها ما يجب ان يجتنب وفيها ما ينبغي ان يكتسب واذا استقرت عليه ولم يوضح ها التمييز بطل اختياره منها و
اذا ابطل اختياره منها خيف عليه الهلاك فيها قال بعض الطبيعيين الدليل على ان الفعل غير الفاعل وغير المفعول الصوت
من اصطكاك الجرمين والنغم من اليد والوتر وقال قال بعض الاوائل الطبيعة والعقل مكان النفس والباري محيط
بجلا ذلك وهو بكل مكان لا يخلو منه شيء وهو العالم بكل شيء لانه علة كل شيء ثم قال وهذا على السعة المعروفة والمجاز
المعتاد والا فقولك علم ويعلم وعالم خبر عن ضرب من ضروب الانفعال والباري لا انفعال له بوجه البتة وقال قال بعض
الاوايل حد الشيء الصناعي خارج منه وحد الشيء الطبيعي موجود فيه قال وانما كان هذا لان الصناعي يحصل من ذي
هيولى باداة جسمية والة عملية والطبيعي يبرز عن الصورة نفسية باداة روحية والة لطيفة فالطبيعة من الالهية
لانها تستملي عما فوقها وتملي على ما يتصل بها وقال ايضا قال سقراطيس لو قبل الماء السكون لكان ارضا ولو قبلت

لان الحركة لكانت ماءً ولو كان الهواء حاد الزاوية لكان نارًا ولو كانت النار منفرجة الزاوية لكانت هواء وسمعت ابا الحسن
الحراني يقول قرأت في كتبنا يعني كتب الصابئين اذا اردت ان تكثر النحل في مكان فضع نخلة من ذهب واجعلها في سقف
بيت النحل فان النحل يزيد ولا ينقص ولا يهرب قيل للقومسي لم تقبل النادرة ولا ترد فقال كان المعنى في هذا القول ان النادرة
ليست مملولة لانها غير معهودة ولا مردودة فهي لا تستحق الرد الا ترى انها تعهد اذا تقدرت ولها حداثة مقدمها
٧٠ ولها حرمة الغريبة وذمام الزائرة البعيدة فهي لذلك ليست كاخرى تدعهدت وملت وقليت **مقابسة اخرى**
سمعت ابا سليمان يقول من التمس الرخصة من الاخوان عند المشورة ومن الفقهاء عند الشبهة ومن الاطباء عند المرض اخطأ
الراي وحمل الوزر وازداد سقما وسمعته ايضا يقول لا يجوز ان يصدر فعلان متضادان من جوهر واحد ولا يجوز فعل واحد
بالذات من جوهرين مختلفين بالذات وسمعته يقول من اراد ان يجود على الناس كلهم فليتولهم كلهم خيرًا وسالته عن الفرق بين المعرفة
والعلم فقال المعرفة اخص بالمحسوسات والمعاني الجزئية والعلم اخص بالمعقولات والمعاني الكلية قال غيره ولهذا يقال في الباري يعلم
ولا يقال يعرف ولا عارف وسئل عن الرطوبة واليبوسة فقال الرطوبة كيفية سهلة التشكل بالاشكال الغريبة واليبوسة كيفية عسرة
التشكل بالاشكال الغريبة وكل قابل لكيفية من الكيفيات فانما يقبلها اذا كان عادما لها وتكلم عشية يوم في التوحيد بكلام طال
ودق فقلت له هذا مشكل فقال اشكاله يدلك على وضوحه فلما خرجنا من بين يديه قال لي النوشجاني اراد ان اشكاله على
شواهد الحس تدل على وضوحه عند شواهد العقل لانه تجتمع ايضاح العقل والحس في معاني الاله وذلك ان الحس
يدرك ذوات الاشكال فيكون الشكل مدركا له بوساطة ذي الشكل والعقل قد يجرد الاشكال عن عواملها وموادها
فيلحظها ولكن يلحظها متميزة فاذا علا اللحظ عن الاشكال كما علا عن ذوي الاشكال حينئذ يصير العقل والمعقول
شيئا واحدا وينتفي كل شكل لاستيلاء الوحدة فيغتاض كل بيان لاستيلاء الحيرة فعلى هذا معنى قوله اشكاله
دال على وضوحه في نفسه بحسب حقه الذي في ذاته وصفيت هذا المقدار بعد استفهام كثير ومراجعة شديدة لان الاشارة
غامضة والايماء خفي على سعة المواد وتوضح المقصد وقرب الماخذ وانكشاف الغطاء واستنارة المسالك وان الله
تيسير عسير وتقريب بعيد فعل انه ماجد وهاب وقال ايضا النفس تلد بعرا اولي الالباب والطبيعة اولي العقل
والفكر في مرآة النفس يريها خيرها وشرها وظن العاقل كهانته وخدم الملوك خزان ارواحهم واشفاق الانسان يجب ان
يكون على فناء الزمان ومن احب ان يبقى في عالم الحس سليما من آفات الدهر فليغن عن عقله فقد مات ومن احب ان لا
تجري عليه احكام الفلك فليجد سقفا غير هذا السقف **مقابسة اخرى** سالت ابا سليمان عن الضحك ما
٧١ هو فاملى فقال الضحك قوة ناشئة بين قوتي النطق والحيوانية وذلك انه حال للنفس باستطراق وارد
عليها وهذا المعنى متعلق بالنطق من جهة وذلك الاستطراق انما هو تعجب والتعجب هو طلب السبب والعلة
للامر الوارد ومن جهة تتبع القوة الحيوانية عند ما تنبعث من النفس فانها اما ان تتحرك الى داخل واما الى خارج فاما
ان يكون دفعة فيحدث منها الغضب واما اولا فاولا باعتدال فيحدث السرور والفرح فاما ان تتحرك من خارج
الى داخل دفعة فيحدث منها الخوف واما اولا فاولا فيحدث منها الاستنزال واما ان تتجاذب مرة الى داخل ومرة الى
خارج فيحدث منها احوالا احدثها الضحك عند تجاذب القوتين في طلب السبب فيحكم مرة انه كذا ومرة انه ليس
كذا ويسري في ذلك الروح حتى ينتهي الى الغضب فتحرك الحركتين المتضادتين وتعرض منه القهقهة في الوجه لكثرة
٧٢ الحواس ويعلو الغضب واحد واحد منها **مقابسة اخرى** قال ابو زكريا الصيمري يوما لابي سليمان في حديث

النفس وما يغلب عليها ويصير ديدنًا لها لا يفارقها ولا يزول عنها ايها الشيخ انى اجد فى نفسى اشياء هى اركان فكرى و
دعايم همتى واُسُسُ وساوسى احدها حديث الوالدة فانى لا اكاد انساها ولا اذهل عن شانها وشانى معها هذا
على بعد عهدى بها وامتداد الزمان بينى وبينها الا انها صارت الى جوار الله وانا غلام والثانى حديث صاحب الشريعة
فانى اسيح فيه ايضًا متعجبا مما اختص به وافرد منه مع ما عاناه من اقاربه واباعده ومع الذى فعطى به من اعمال حال الرد
تدبير اصحابه ونظم جل امره ودقته ما كان يلقى وهى الحال التى توجد بها من بين اهل عصره فى نشر الغيب الدعا
الى الرشد حتى صارت اعجوبة عند من انكره وقاهرًا لمن عاند دبركته وعند على من عرفه ونصره وساير ما كان به مشهورًا
من امره الغالب وشانه المعجز ومع الاحوال التى اختلفت وائتلفت ووضحت على الذين عاينوه وخبروه وجاوروه
واستنبطوه مما يطول ذكره وهو بارز لكل احد وموضوع على كل مرصد والثالث الموت وذلك انى ممنوع بتخيله
عن كل استمتاع ولذة التخيل تخيلا غالبا موحشا وربما غشى فؤادى من ذكره وباشره صدرى من كربه ما يبلغ بى
الى اتمناه لاستريح منه والرابع البارى عز وجل وانه فى اعلا ارجاء الفكر وفى الحد الاقصى من حديث النفس لا
يخلو من ذكره بالى وقلبى ولا ينصرف عن مناغاته سرى وجهرى على انه لا صورة له عندى ولا عيار ولا تخيل ولكن ابت
عليا ثم لا اشعر به ووجلا ناله واعرابا عنه وايماءً نحوه فقال ابو سليمان هذا الخبر عن محل رفيع فى الاستنارة وشان
عجيب فى حصول الطهارة واتصال السفارة وقد يظن من لا شرب له من هذه العين ان هذا وسواس يغلب من جهة
المزاج اذا الخوف والاعتدال اذا افقد وليس كذلك بل يوشك ان يكون مصطفى الغاية المتمناة والنهاية
المتوخاة لان الوالدة يلحظ منها المبدأ الحسى فيعشق لذلك ومن سجايا النفس الفاضلة ومن عادة الفطرة
النقية والطينة الحرة ان يكون المبدأ ملحوظا فيها وعند هما وهذا كله للشعور بالمبدأ الذى هو الاول بالاطلاق
مع احوال تتناصر وتتشابه فى خلال هذه الفكرة تتحلل بها النفس تحللا مونسا مطربا ودافعا للوقت موجبًا قيل لو فلم
لم تكن المنزلة دون الام فقال لان الام شانها فى الحس اعظم وتدبيرها فى المباشرة اظهر وشفقتها بحسب ضعف قوتها
اكثر والاب هو الفاعل الحسى ايضًا ولكن لا مباشرة له منفصلة ولا ولاية له متمادية وانما هو اول فقط والام حاملة
واضعة وفاطمة ومرضعة وحاضنة ومربية فالكلفة عليها اغلظ وحبسها للولد الف وهو بها اشغف ثم قال واما
تخيل الموت فلان النفس تلحظ المعاد وتنزع اليه وتنقلب نحوه لان المعاد هو المحيط الذى منه بدا واليه يجب ان يكون
المنتهى ولاستعجام الحال فى الثانى ما فتئ تلبد فى الفكر فيه فيعتريه السهر الشديد والفكرة الغالبة نفورًا من الشقا
وتحسّرا على ما يكاد يقرب من الخير ولا سبيل للنفس الى هذه العاقبة الا بتحلية البدن الذى هو السور المانع بينه
وبين الخلاص من اسر هذا العالم وتدبيره هذه الاستقصاءات وهذه التخلية هى التى تسمى موتًا وانما هى تحول من
مكان الى مكان فالغرق مصحوب والخوف قائم والظن مترجح والامل بين رياح عواصف فكلما كان استعجام الحال
اشد كان الامل اضعف وكلما كان الامر ابين كان الشوق اليه اعظم فاما ما يتعلق بحديث الناموس الالهى الشارع
لطرق الخيرات القائدة الى غاية السعادات فانه ايضًا انما يشتد ذلك ويكثر ويتضاعف لان للنفس الفاضلة
مباحث كثيرة فى شان من هذا نعته وكيفيته وتلك المباحث هى مسالك الخير المامول ومراقى السر المعلوم والمجهول
فالشغف والفكر والنظر انما يتضاعف فى شان هذا الشخص ليقبس من نوره ويهتدى بامره ونهيه ويظفر
بنفيه النفس من جهته بقوله وفعله ويمنه وبركته فاما ما يرتقى عن هذه الحدود الى الغاية الاولى الغاية القصوى

فذلك يطلب النفس وسكونها الا قلق بعده وطمانينة لا يخطر بعدها فيحق كانت هذه الخواطر سانحة وهذه المشاعر فاتحة و
هذه الاواخر مشهورة وهذه الاوائل موجودة وبقدر توالیها وتعاقبها وتوافيها وتقاربها تكون نقطة الانسان في اكتساب
الاهبة الحسنة والعيشة الباقية والاخلاق الالهية من العلم والحكمة والجود والسخاء والعفاف والهمة العالية والشجاعة البينة و
الخير والعدالة والتقديس والنزاهة فلا عدة للنفس الحكيمة والطبيعة الزكية الا هذه الفضائل التي هي ينابيع الخيرات
ومصابيح الغايات وثمرات هذه الحياة ثم قال والله نسئل توفيقا ندوم به على هذه المحجة البيضاء واللقم الافيح ثم نزداد
بصيرة الى التمسك بما عادت جدواه علينا عاجلا واجلا ببذل الغاية وتقديم الحرص ورفض الدنيا ومجانبة قرناء
البطالة وابناء الهوى والشهوة فانه مجيب من دعاه وكافي من استكفاه واقول ما اخرجنا جميعا الى ان نعجب نفسا
هذا المجد وتشييد هذا البناء واقتناء هذا الذخر فوالله الذي لا اله الا هو لو تزينا بهذه المقابسة وحدها من هذا
الشيخ كانت زينة لنا الى اخر الابد فكيف ولها اخوات تعضدها وامهات تشهد بصحتها

٧٣ **مقابسة اخرى**

املى علينا ابو سليمان فقال الدهر هو اشارة الى امتداد وجود ذات من الذوات وهو ينقسم قسمين احدهما مطلق
والاخر بسيط من قبل ان الذوات اما ان تكون موجودة وجود اطلاق او بالحقيقة من غير ان تقترن مبدا نهاية واما ان
تكون متناهية اذا فهم منه وجود ذات لا ابتداء لها ولا انتهاء فهو الدهر المطلق واذا فهم منه امتداد وجود ذات ذي
نهاية فيكون الدهر الذي بالاضافة والشرط مثال ذلك انا نقول ان فلانا دهره يفعل كذا او كنت فعل الدهر كذا واما
المثال على الاول بالاطلاق فهو الذي يرجع منه الى الذات التي هي اقدم الذوات واتمها وامدها الى غير غاية ومن غير بداية و
الزمان هو عدد حركة الفلك المشرقي بالتقديم والتاخير قال ومن الناس من قال انه مدة تعدها الحركة وهذا الحد توهم ان
الحركات كالمكيال للمعنى المفهوم من اسم الدهر وليس هذا معنى الزمان على الحقيقة وجوده انما هو في عدد الحركة معدودة
ليس هو الدهر وانما هو الحركة فالاشياء الحادثة على ضربين منها ما هو جار مع الدهر ويتعلق في وجوده بالذات الاولى
وتلك لا يلزمها التناهي وغير التناهي والقبل والبعد الذي من قبل الزمان بل التي من قبل المعنى الذي يتعلق بالتصور والاضافة
الى وجود الذات الاولى والضرب الثاني الحادثة في الزمان وهو محصور بين طرفين بقبل وبعده فاذا حقق النظر فيه رجع
الى فعل وانفعال والجملة الى حركات من الحركات اما كون واما فساد واما نقلة واما استحالة واما نمو واما اضمحلال من غير
ان يتعلق بوجود ذات من الذوات

٧٤ **مقابسة اخرى**

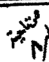
واملاء علي ايضا الفرق بين الوحدة والنقطة ان الوحدة
هي نقطة ما لا وضع لها والنقطة هي وحدة ما لها وضع فالوحدة هي مبدا الواحدية وهي الكم المنفصل بمنزلة العدد المؤتلف
من الوحدات التي تجتمع من غير اتصال احداتها بالاخرى والنقطة هي مبدا الكم المتصل بمنزلة الخط الذي يتصل اجزاؤه
بعضها ببعض بحد مشترك هي النقطة فالنقطة اذن هي وحدة ما لها وضع والواحد هي نقطة ما لا وضع لها ولذلك ما
كان وجود الوحدة موضوعها النفس في التوهم ووجود النقطة موضوعها الجوهر الطبيعي ومتعلقا بالحس وان كان
متعلقها بتوسط الحس

٧٥ **مقابسة اخرى**

سالت ابا سليمان عن الفرق بين الفعل والعمل فقال الفعل يقال على
ما ينقضي والعمل يقال على الاثار التي تثبت في الذوات بعد انقضاء الحركة قال والفعل ايضا يعم كل معنى صادر عن ذات وحد
الفعل انه كيفية صادرة عن ذات والانفعال كيفية واردة على ذات فالفعل يقال على التحقيق على هذا المعنى وهو الذي يقال
انه مقولة من المقولات العشر ويقال على العموم اي على اي معنى صدر عن ذات

٧٦ **مقابسة اخرى**

قيل لابي سليمان
النفس ليست قائمة بذاتها لانها لا تحل النفس الا في الجسم المركب فما هذا الا من الا الفاعل وهذا الفن وقد يرى هذا الشيء من ناحية اعتبار [illegible] وقد يعرض [illegible]



من ناحية بلادة الناظر فيه اذا قلنا ان النفس قائمة بذاتها فانا نريد بهذا انه لا علاقة لها مع الجسم ولا صلة ولا وصل ولا انفصال ولا تحرك ولا تصريف بل ان قلنا ان النفس في الجسم على رأي من قال انها هي السابحة فيه او بارية عليه وان قلنا ان النفس قائمة بنفسها دون الجسم بذاتها فانما بذاتها ايضاً انها غير ملابسة لذلك لا يستر اللاهي الهام وما الزخير على النفس في البدن عن تصفية العقول لمنه لا على تسليط الحس عليه ونقل التمثيل والتشبيه اليه لا تعلم ان الشيء في الشيء على فنون كالشيء في المكان كالشيء في الشيء كالماء في الجب كالجب في البيت وكالبيت في الفضا فقد يلحظ الجوهر في الجوهر على خلاف ما يلحظ في الجوهر ويلحظ البسيط في المركب على شكل غير شكل المركب في البسيط ثم بين الذي قسط من البسيط على قدر الاخر فرق بالضعف والقوة وهكذا الحال في المركب والتركيب وبهذا الغرض لو هو حصل بين الشبهين فرق معنى لا يقف عليه الا من توغل وتغلغل وحصل بين المتباينين شبه خافٍ لا يسبق اليه الا من تخلل وتوصل ولهذا ما رحل النظر والبحث الغالب العام انما هو في ايضاح الفرق بين متماثلين لشدة تماثلهما وايضاح الشبه بين متباينين لشدة تباينهما فليكن هذا من علم الحلم عندك حتى يخف عليك طلب ما اشكل واستيضاح ما غمض وقد سلف في حديث النفس ما فيه شفا النفس وسيمر فيما بقي من الكتاب ايضاً ما يكون نافياً للكثير من الشبه ودافعاً للكثير من الاعتراض في هذا النهج وفي حديث النفس انما هو لغلبة عشق البقا الدائم والحياة الصافية من الكدر وكيف ما نعتنا النفس في انباتنا عنها فانها بائنة الشكل والحال والظاهر والباطن والفعل والانفعال والحقائق والخصائص عما عليه البدن اعني ان قلنا ان النفس في البدن على سعة عرض في مواضعه او قلنا مصرفة الجسم على سعة عرض التصريف فهو اوفق او قلنا الجسم منفعل لها وبها على سعة عرض الانفعال واختلاف فنون انفعالها وبها نعني جميع هذه الوجوه قد وضح ان شانها غريب وان سرها غريب والنظر في امرها واجب واليسير مما يستفاد من حديثها كثير واني لاعجب ممن يظن انها تابعة للمزاج فهلا نامت عند نوم الانسان فان المزاج قد جبل على النوم بحسب الضرورة التي دخلت على الجسم من اليقظة الكادة والحركة الجاهدة بل الامر كان بخلاف ذلك فانها عند النوم عطفت على ما هو اخص بها واعشق لها فتصرفت فيه وامليت وانبأت عنه وانذرت فكيف يكون هذا الشانع شرفه وجلالته وشدة التعجب منه والقدر محمول على الحسن الوجوه هذا ما لا يسمح به عقل امرئ معروف في الصواب بسبب صحيح او لعاجبه في مواصلة الحق رغبة تامة وكان ابو سليمان في هذا الموضع هذا اماما في الجواب وهو حسرة الطبيب والمهندس والمنجم والموسيقاري والمنطقي والكلامي وجميع اصحاب النظر والقياس

مقابسة اخرى

٧٧

قرئ على ابي سليمان من كلام اسر تلس انه استولت المحبة على الاجسام التي منها تركيب العالم كان منها العالم الكري واذا استولت الغلبة كان منها الاستقصات والعالم الكائن الفاسد فقال مفسراً انما اراد باستيلاء المحبة على العالم استيلاء القوة العقلية فانها هي التي تحيط بجميع الموجودات احاطة كلية وتولف بينها تاليفاً نظامياً موفقاً بين جميع اجزائها وهذا الفعل منها شبيه بتاليف الاكر بعضها مع بعض في احاطة بعضها ببعض حتى لا يتصل بها شيء اخر ومعنى قوله اذا استولت الغلبة حدث منها الاستقصات المتباعدة الاقطار المتميزة بعضها من بعض المباين كل واحد منها غيرها وهذا تشبيه بالقوى الحسية المنشد به المفارق بعضها بعضاً فيما يخصها من الاكدادات مع ما يقع فيها من الخطا والغلط والزيادة والنقصان وهذه صفة الاشياء المتغالبة والمتنافرة هذا اخر تفسيره وليس به غني عن بقية بها ينكشف فضل انكشاف ويعترف من اجلها اكثر من هذا الاعتراف ولكني قد بلغت هذا الموضع من الكتاب وما بي طرف ولا معي ذهن لاحوال ان شرحتها اثرت الشماتة من العدو واعانت العدو على المحب وحركت ساكن الخصم الان وا... ارت الصديق بعض المساءة وان كان لا صديق والى الله اشكو غربتي وكربتي ومعاناتي لمن لا يسمع ولا يبالي فبيده تفريج ما القى وتسويغ ما اشقى وهو المولى والمعين

مقابسة اخرى

٧٨

املى علي ابو سليمان فيما املى السلب هو نفي شيء من شيء والايجاب هو اثبات شيء لشيء والعدل ليس فيه حكم ولا اثبات شيء لشيء ونفي شيء عن شيء لكنه قول دال على ايسر بلا الة

مفصلة كان الاسم دالا عليه لا انه مجملة مثال ذلك النقطة فانه سواء قلت شيء ما لا جزء له ان قلت نقطة من قبل ان قولي نقطة
ليس فيه حكم كذلك قولي شيء ما لا جزء له لا حكم فيه سواء ان جعلت احدهما موضوعا والآخر محمولا حتى تقول النقطة هي شيء ما لا جزء له
ولا يصير حينئذ الحد محمولا على النقطة ويختلف دلالته عما كان عليه

٧٩ مقابسة اخرى

قال ابو سليمان ايضا اما الطبيعة
اسم مشترك يدل على معان احدها ذات كل شيء عرضا كان او جوهرا بسيطا او مركبا كما يقال طبيعة الانسان وطبيعة الفلك وطبيعة
البياض والحرارة بمعنى ذاته ويقال للمادة ... ويقال على المزاج الاول اللاحق لكل مركب من الاستقصات ويقال على المزاج
العام بنوع الانسان الذي هو موضوع للنظر فيه وقد يستعمله الطبيب على المزاج العام ويقال على المزاج الخاص بنوع الانسان الذي هو
موضوع للنظر فيه وقد يستعمله الطبيب على المزاج الخاص بشخص شخص من نوع الانسان واما بحسب النظر الطبيعي العام الذي
يخص الفيلسوف الطبيعي فهو المعنى الذي حده ارسطوطاليس بانه مبدأ الحركة والسكون للشيء الذي هو فيه اولا بالذات لا بطريق
العرض وهذا المعنى يعم مسمى المركب اعني المادة والصورة فان المادة مبدأ للتحرك والسكون والصورة مبدأ التحريك والتسكين
والاولى بهذا الاسم عند ارسطوطاليس الصورة دون المادة وعند قوم من القدماء مثل المادة دون الصورة وبحسب النظر الفلسفي
حد للطب ... هو المعنى الذي يقال انها حياة تنفذ في الاجسام تعطيها التخلق والتصور بالصورة الخاصية بواحد واحد منها وكانها
القوة السارية من المبدأ الاول الى جميع الاشياء المنفعلة به او القابلة لها الرابطة بينه وبينها وهي بوجه ما الصورة التي تلتئم من
جزئي المركب التي هي غير كل واحد منهما على الانفراد وبحسب موضوع اللغة هي فعيلة من الطبع ولذلك ما صار اشبه بالصورة من
المادة وان كان المطبوع هو المادة لان الصورة هي المطابقة وهي المعطية ذاتها لها وحاصلة فيها

٨٠ مقابسة اخرى

قال ابو سليمان ايضا الموجود هو الذي من شانه ان يفعل او ينفعل فكل ذات موجودة فاما ان تكون فاعلة فقط او منفعلة فقط
او فاعلة ومنفعلة فالمنفعلة فقط هي المادة الموضوعة لقبول الصورة والفاعلة فقط هو المعطي صورة كل ذي صورة والفاعل المنفعل
هو المركب من مادة وصورة فيفعل بصورته وينفعل بمادته وقال ايضا كل موجود اما ان يكون بالقوة واما ان يكون بالفعل فقط
واما ان يكون بالفعل من جهة وبالقوة من جهة فالمنفعل الذي بالقوة دائما هو الهيولى المستحيل المتبدل الاحوال بالصورة التي
يعطيها الوجود بالفعل والموجود بالفعل دائما من غير ان يشوبه شيء من القوة هو الذات الابدية الوجود الذي هو سبب كل موجود
بالقوة والفعل والموجود بالقوة تارة وبالفعل اخرى هو المركبات من المادة والصورة فان لها القوة من جهة الهيولى والفعل
من جهة الصورة

٨١ مقابسة اخرى

وسمعت ابا سليمان يقول الخير على الحقيقة هو المراد لذاته والخير بالاستعارة هو
المراد لغيره والمراد منه ما يراد لذاته فقط ومنه ما يراد لذاته ولغيره والذي يراد لغيره بمنزلة الدواء والذي يراد لذاته فقط
بمنزلة السعادة والذي يراد لذاته ولغيره بمنزلة الصحة

٨٢ مقابسة اخرى

واملى ابو سليمان على جماعة كنت
... سنة احدى وتسعين وثلثمائة وقد سئل عن الواحد فقال الواحد اسم مشترك يدل على معان كثيرة احدها
وهو احقها بهذا الاسم فهو واحد بالعدد وهو اما ان يوجد من حيث هو مطلق وموضوعها النفس من غير ان
يوجد معه امر من الموجودات وهو بهذا الوجه مبدأ العدد وعلى هذا سواء اخذت واحدا او اخذت وحدة ويكون
مبدأ العدد الذي هو جمع الوحدات كما يقال فرس واحد وانسان واحد وهذا الوجه يعني العدد وقد قال ويقال
ايضا الواحد على ما هو واحد في الجنس كما يقال ان الانسان والفرس واحد في الحيوانية ويقال ايضا واحد بالنوع
كما يقال زيد وعمرو واحد في الانسانية ويقال ايضا بمعنى انه غير متجزء بمنزلة النقطة والآن وعلى هذا الوجه ايضا
يقال في الشخص انه واحد بانه غير متجزء من قبل انه جزئي شخص ويقال ايضا واحد في الموضوع وهذا الضرب يقال

منه المتصل الذي هو واحد بالفعل وكثير بالقوة ومنه ما هو واحد في الذات وكثير في الحد كما يقال ان زيداً الكاتب
اذا كان طبيباً او منجماً او ذا صناعات كثيرة انه الطبيب والكاتب والمنجم واحد في الموضوع من قبل ان الذي هو موضوعها
هو بعينه فاسد وكثير في الحد لان حد الفاسد خلاف حد الكائن ويقال ايضاً على ما هو واحد في المناسبة كما يقال ان النقطة الى
وقلب الحيوان وعين النهر واحدة بالمناسبة معناه ان نسبة كل واحد منها الى ما هو مثل نسبة واحدة ويقال ايضاً على ما هو واحد
في الحد وكثير في الاسم كما يقال ان الثوب والرداء والانسان والبشر واحد في الحد وكثير في الاسم وكذلك الخمر والخندريس وسائر
الاسماء المترادفة على معنى واحد ويقال ايضاً على ما هو واحد في الاسم كثير في الحد بمنزلة الكلب والعين فان الكلب يقال
على النابح والكوكب وحديدة الجلاد وكذلك العين على العضو الذي يبصر به وعلى عين الذهب وعين الماء وعين الركبة
واليق هذه المعاني ان يوصف به الموجود الاول ما كان واحداً بالموضوع وكثيراً بالحد والصفة اذ لا يجوز ان يكون واحداً بالعدد
من حيث هو عاد ولا من حيث هو معدود اذ الواحد على انه واحد من هذا الوجه كانت الكمية لاحقة به والذات الاولى متعالية
عن ان يلحقها او يحيط بها صفة يلحق غيره من الموجودات المعلولة له وذلك ان القوة التي تلحظ شيئاً من الاشياء ومعانيها
معلولة مفعولة ولحظها لها انما هو على سبيل ما يلحقه من الفيض وافادة الوجود من تلك الذات فثبتت عندها انية ذلك
فقط من غير ان يمكنها نقل شيء من احكامها واحكام ما يحيط عما هو دونها اليها والواحد بمعنى وهو ذات ما لا معنى الوحدة فيه لا
يوجب الكثرة فاليق الاشياء التي يجوز ان يشار بها اليها من جميع معاني الوحدة والآحاد التي ذكرناها هو الوحدة المجردة التي لا توجد
من حيث هي هذه النفس فتكون حاكمة عليها بها ولا التي موضوعها امر من الامور الموجودة ليكون بها هو واحد وعلى هذا الترتيب يصير
الواحد الذي هو اول موجود يستحق ان يوصف بما هو القوة الاولى التي ذكرناها اول معقول للذات الاولى فيكون واحداً
بتلك الانية التي يلزمها الوحدة التي وصفناها وهي الفعل فيكون الترتيب الجاري على النظام اللازم في مراتب الموجودات
انها الوحدة المحضة وتاليها في الوجود المحض الذي هو المفعول الثاني وثالثها الانيات المحضات التي هي النفس من
قبل ان حصل لها من الذات الاولى الوجود ومن الذات الثانية الصورة التي صارت بها كمالاً لكل موجود ما هو
دونه ولما كان الانسان الذي هو الموجود الذي ينتهي اليه جميع القوى من الموجود الاول والثاني والثالث من الاجسام
السماوية والاستقصات الكائنة الفاسدة والغاية التي اليها تبلغ القوى وتنحصر فيه صار الواحد المتكثر المقابل الواحد
المحض قوى يسلك بما معه من جميع ما فوقه الى مواصلة كل واحد منها بحسب الرباط الذي بينه وبينها الى ان ينتهي الى
المبدأ الاول والذات الاولى فيفصح عنه بما الحقه في ذاته عبارة جسمانية بالمنطق الخارج ويشير اليه اشارة روحانية
بمطابقة عقله المعقول الاول حتى يصير هو هو ويلحظ اثر الفيض الواصل الى تلك الذات فقط ومشاركته اياها
وينفي عنه جميع الصفات التي نفاها عنه المفعول الاول ويقال لهذا الفعل منه توحيد اي تجريد تلك الذات عن
جميع الكثرات التي تتعلق على الذوات وتحيط بها من الصفات

٨٣

مقابسة اخرى

قال ابو سليمان اسم العقل
يدل على معان وتنقسم تلك المعاني الى اقسام بحسب ما ينقسم كل ذي عقل وذلك له ابتداء وانتهاء واحدها وهو
بمعنى الابتداء بالطبع هو العقل الفعال وهو الشبيه الفاعل والثاني بحسب الانتهاء وهو العقل الانساني ويسمى هيولانياً
وهو في نسبة المعقول والثالث بحسب معنى الوسط وهو العقل المستفاد وهو في نسبة عقل والعقل الانساني
الذي بمنزلة المفعول هو في حيز القوة التي يحتاج ان يخرج الى الفعل وحده انه الشيء الذي من شأن الجزء منه
ان يصير كلاماً ومعناه ان في قوة كل واحد من هذه العقول الجزئية ان يدرك جميع المعقولات التي من شأنها

انه تدرك ولما كان الذي بالقوة يحتاج الى شيء موجود بالفعل يخرجه الى الفعل كان ذلك الشيء هو العقل الفعال اذا ا ~~تشبه~~
٨٤ بفعل في تشبيهه والمستفاد بمنزلة الفعل الملابس القوة والفعل جميعا **مقابسة اخرى** املى علي ابو سليمان
ايضا فقال الخلاء يدل عند الاوائل على مكان عادم جسما طبيعيا واختلفوا في وجوده فمنهم من قال انه لا وجود
لشيء ما هذه سبيله منهم ارسطوطاليس واصحابه ومنهم من قال بوجوده ومنهم من قال هذا المعنى مبثوث في جميع
العالم به يكون الانقباض والانبساط للاجسام والتخلخل والتكاثف والثقل والخفة واللطافة والغلظ ومن اجله
يمكن حركة الاجسام اذ لا يجوز ان يكون حركة في الملأ لما يلزم من مداخلة الاجسام بعضها بعضا ومنهم من قال ان
وجوده خارج العالم ولا نهاية له و سبقية الاجسام التي في هذا العالم فيعرض لها بعض المعاني التي ذكرناها فاما
بطلان وجوده عند من راى ذلك المعنى بعد اعني له طول وعرض وعمق يحصره ابعاد الجسم من قبل ان ينطبق طوله
على طوله وعرضه على عرضه وعمقه على عمقه والجسم انما يشغل هذا المكان بهذه الابعاد فقط لا بانه بارد او حار او ابيض
او اسود او ثقيل او خفيف اذا كان ابعاد الجسم يحتاج الى ابعاد المكان بما هي ابعاد فابعاد الخلا انما هي ابعاد
٨٥ يحتاج ايضا ابعاده ثم الكلام فيه الى ما لا نهاية **مقابسة اخرى** سمعت ابا سليمان يقول الفرق بين الكلي
والكل ان الكل متاخر عن اجزائه والكلي متقدم على جزئياته والفرق بين الاجزاء ان طبيعة الكلي بمنزلة الحيوان
موجودة في كل واحد من اجزائه بمنزلة الانسان والفرس واما الكل بمنزلة العشرة فطبيعة غير موجودة في كل
واحد من اجزائه بمنزلة الثلاثة والتسعة والفرق الثالث انه ان رفع من الكل واحد من اجزائه بطلت صورة
الكل واما الكلي فانه ان رفع جزئياته تبقى طبيعة الكل محفوظة بمنزلة الحيوان فانه ان رفع الانسان او اي واحد من
٨٦ الحيوان لم يبطل طبيعة الحيوان **مقابسة اخرى** قال املى علي ابو سليمان الجوهر اسم مشترك يدل على سبيل العموم
على الذات اي ذات كان جوهرا كان او عرضا كما يقال جوهر الحرارة وجوهر البياض بمعنى ذات البياض وذات الحرارة و
قد يقال على الخصوص لا على الذات التي وجودها ليس في موضوع ومعناه انه ليس يحتاج في وجوده الى شيء يوجد
به او فيه فينبغي ان يفهم هذا المعنى من الرسم الذي وصف به وهو القايل الجوهر هو الذي ليس في موضوع وهذا
الصنف ينقسم اقساما بحسب معاني احوالها في الموجود فيقال منه بسيط ومنه مركب وهذه القسمة بحسب الوجود
الطبيعي ويقال منه هيولى ومنه صورة وهذا بحسب حالها في ذاتها واضافة بعضها الى بعض ويقال منه كاين و
فاسد ومنه غير كاين ولا فاسد وهذه القسمة بحسب حالها فيما يقبل من التاثير ولا يقبل ويقال منه سرمدي
ومنه حادث وهذا بحسب مثال موجودها في الزمان ويقال منه محسوس ومنه معقول وهذا بحسب حالها
عند الادراك ومنه اول وهو الشخص ومنه ثان وهو الاجناس والانواع وهذه القسمة بحسب اعتيادنا في باب
العموم والخصوص وهذا الصنف هو الذي الواحد منه بالعدد قابل للمتضادات بتغيره في ذاته على ان في هذا
الصنف شكا وهو هل الاشخاص العلوية اعني الافلاك والكواكب هل يصدق عليها الرسم ام لا فان من الناس من راى
ان هذا الرسم مشتمل على جميع الجواهر الشخصية ومنهم من قال انه يخص الجواهر الشخصية المركبة من المادة والصورة التي تحت
الكون والفساد **مقابسة اخرى** سمعت ابا سليمان يقول رايت فيما يرى النايم كاني اناظر ابن العميد ابا
الفضل في مسايل من السماع الطبيعي وبقينا نقسم الموجودات فقلت الموجود ايضا ينقسم بنوع اخر انه يكون
اما خفي الذات خفي الفعل او ظاهر الذات ظاهر الفعل او خفي الذات ظاهر الفعل او ظاهر الذات خفي الفعل ثم قلت

الاوّل هو الباري جلّ وعزّ والثاني الحرارة والبرودة وما اشبههما والثالث الطبيعة والرابع الكواكب عذا صفة المقابسة على الشيخ المجتبي فقال هذا والله الحكمة وفصل الخطاب قسمة مستوفاة وحقيقة ذات برهان وكلمة ما عليها مزيد

٨٨ **مقابسة أخرى** سألت ابا سليمان عن البلاغة ما هي وقلت احببت ان اعرف قولاً على نهج هذه المطابقة لان لهم كتابة والخطابة في عرض كتاب الفيلسوف وقد بحثوا عن مراتب اللفظ واللفظ طبايع الكلمة والكلمة موصلة مفصلة وخواتيم احق ما اعتمد فقال هي الصدق في المعاني مع ايتلاف في الاسماء والافعال والحروف واصابة اللغة وتحري الملاحة المشاكلة برفض الاستكراه ومجانبة التعسف فقال له ابو زكريا الصيمري قد يكذب البليغ ولا يكون بكذبه خارجا عن بلاغته فقال ذلك الكذب قد لبس لبوس الصدق واعير عليه حلة الحق فالصدق حاكم وانما رجع معناه الى الكذب الذي هو مخالف لصورة العقل الناظر للحقايق المهذب للاعراض المقرب للبعيد المحضر للغريب فقلت لابي سليمان فهل بلاغة احسن من بلاغة العرب فقال هذا لا يبين لنا الا بان نتكلم بجميع اللغات على مهارة وحذق ثم نضع القسطاس على واحدة منها حتى ناتي على اخرها واقصاها ثم نحكم حكما بريا من الهوى والتقليد والعصبية والمين وهذا ما لا يطمع فيه لاحد ولكن قد سمعنا لغات كثيرة من اهلها اعني من فاضلهم وبلغائهم فعلى ما ظهر لنا وخيل الينا لم نجد لغة كالعربية وذلك انها اوسع مناهج والطف مخارج واعلى مدارج وحروفها اتم واسماؤها اعظم ومعانيها اوغل ومعاريضها اشمل ولها هذا النحو الذي حصته منها حصة المنطق من العقل وهذه خاصة ما حازتها لغة على ما ترع الى انا وبحسب ما اتانا من كلام اجناس الناس وعلى ما ترجم لنا ايضا من ذلك ولولا ان النقص سرى من هذا العالم نوسد لكان علم المنطق بعينه الطبيعة بالغريزة وكانت تسوق العربية الى طبايع اليونانية فكانت المعاني طباقا للالفاظ والالفاظ طباقا للمعاني وحينئذ كان الكمال يحط اليه عن كثب والجمال يصادف بلا رغب ولا رهب قال ايضا اصل الله ويبعد الله ويبعد الكون بعد الكون يغيسيا ان هذا الذي شمناه لقوم يكونون بعد ما فات العالم مشتاق الى الكمال ومشتاق الى الجمال عندهما يكون الغاية واليها تقف النهاية وقال ومما يوضح هذا الشكل ويبين هذا الجمل صورة العالم في كل وقت وساعة على حال لم يكن عليها قبل ذلك بما يفيض عليه ويسري اليه من الحق الاول والوسايط الاول بالجود الاعظم والاشمل وانما كان العالم ولكل ما فيه صورة محدودة وشكل ما ثابت يسير في كل وقت ولحظة الى هيئة لم تكن عليها من قبل فهل ذلك الا لان العالم متوجه نحو الكمال والجمال ينالهما حالا فحالا ثم يكون لوجود الحق الاول مبدأ بتجدد ويسوق وتمتد عليه نقلته من غير انفعال بتوسط ولا لحوم بعرض وهذا المبدأ مفروض والا فالحال متصلة اتصال الواحد بالواحد من حيث يلحظ ما هو واحد واتصال الوحدة بالوحدة من حيث يلحظ ما له وحدة وقال ايضا وهو الذي اشرنا اليه العالم انما هو من ناحية قبوله وانفعاله وما هو بسبيله والا فالجود الاول هو الجود الثاني والثاني هو الاول والى ما لا غاية معلومة ولا نهاية موهومة الا ان هذا لايق بالاله الذي له ينبغي وبه يليق فاما العالم فتجدده وحسنه وكماله وتمامه فضاف اليه وملحوظ فيه ولما دق كلامه واعتاص لفظه وتسلسل ايماؤه وسقط عن اتقاني جل ما كنت حويته ورايت الخط لي ولمن يرى رايي ان لا اخل بما امكن من ذلك فاثبته على ما تجده من الفتق والرتق والرقع والخرق وانت ابقاك الله اولى من تدارك خلله وستر خلله وارجو ان لا تخرج من حسن الظن بي ولا تغلط الفراسة فيك ولا تدخل في غمار من لا

٨٩ يساوي عيابه خبرك ولا يلحق كله بعضك كان الله لك ومعك وهو حافظنا لك ودافعنا عنك وصوننا بك

مقابسة أخرى نذكر في هذه المقابسة اشياء سمعناها من ابي سليمان في مجالس لا بل لان لم يكن في

صد والفلسفة فانها لا تخرج من جملتها ولعا فايدتها التي تحتاج اليها ولا يستغنى الاغلب عن الوقوف عليها قلت لم
بوما كيف اصبحت قال مالك الظاهر مملوك لا اقعد عدو ولا اتلذ الا عفوا ان حزنت حزنت طباعا وان فرحت فرحت
نزاعا ان انا خالطت ذممت الناس وان اعتزلت اجتلبتا لوسواس ان بحثت دهشت وان قدرت استوحشت فلذ
مسائي صباحي وعليه غدوتي ورواحي واشوقاه الى وطيء ذلك البساط واكربا من عقد هذا الرباط يا لها سعادة لو وجدت
والتشمير وزهد من ابتلى بها في التقصير والتطهير وهذا كما ترى وحدثنا يوما قال اجتزت بالري متوجها الى سجستان سنة
السنين وكان بها ابو جعفر الخازن فزرته قاضيا لحقه وسنة ولما انصرفت اتبعني برقعة يعتمد بها بري وفي الرقعة بسم الله
الرحمن الرحيم من استعجم في قضا حقوق الاخوان ما يلبغه عاجل الاستطاعة فقد عرضها للتقصير والاضاعة لان الايام انما
تسعف بكل المراد ولا تزول عن عادتها في الفساد وجرى يوما بحضرة ابي سليمان حديث احكام النجوم فقال من طريق
ما ظهر لنا منها انه ولد في جيرتي ابن نباتة فقال لي لو اخذت الطالع فاخذت وعرضته على علي بن يحيى نعمل و
توم فقال لنا فيما قال هذا المولود يكون اكذب الناس فتعجبنا منه فدارت الايام حتى ترعرع الغلام وبلغ وخرج
شاعرا كما ترى معدودا في عصره ثم انشدنا له مستحسنا وتاخذ منجوا بيننا الليالي + كما اخذ المساء من الصباح +
اما في اهلها رجل لبيب + يحس فيشتكي الم الجراح + ارى التشمير فيها كالتواني + وحرمان العطية كالنجاح + ومن لبس
التراب كمن علاه + وقد تخدعك انفاس الرياح + وكيف يلذ مجتهد حريص + يرى الارزاق في ضرب القداح + ثم انشد
ابن نباتة فاقر لي بها وقلت لابي سليمان يوما انشدنا ابو زكريا الصيمري عن سمكة القمي عن ابن محارب لفيلسوف
لنفسه صدفت عن الدنيا على حبي الدنيا ولا بد من دنيا لمن كان في الدنيا واد فعها عني بكفي ملالة واجذبها جذب المتاع
بالاخرى فقال هذا كلام رقيق الحاشية حسن الطالع مقبول الصورة يدل على ذهن صاف وقريحة شريفة واختيار محمود
وذهن ناصح ورأي بارع ثم انظر الى قول شيخنا ابي زكريا يحيى بن عدي فانه انشد يوما لخالد الكاتب لست ادري
اطال ليلي ام لا + كيف يدري بذاك من يتقلى + لو تفرغت لاستطالة ليلي + ولرعي النجوم كنت مخلا + فقال لم يحيى بعد ايام
قد عارضت خالد الكاتب في قوله ثم انشد ان يكن لا ادري كالمخلا + لست تدري ان كنت تدري ام لا + او تكن داريا
بذاك فهلا + كنت تدري اطال ليلك ام لا + قال وانقلب اصحابنا عنه بالضحك والتعجب انظر كيف يسلب الفاضل توفيقه
في وقت مع البصيرة الثاقبة بالعلم ولم ينشدنا ابو سليمان هذا ليحيى بن عدي حتى الححنا عليه وكذلك انه قال قد دل
شعره على ركاكة في هذا الفن والستر عليه احسن بنا وكان ابو سليمان يستحسن للبديهي قوله لا تحسدن على تظاهر
نعمة + شخصا تبيت له المنون بمرصد + او ليس بعد بلوغه امالة + يفضي الى عدم كان لم يوجد + لو كنت احسد ما
تجاوز خاطري + حسد النجوم على بقاء سرمد + فقال ما افلح البديهي قط الا في هذه الابيات وصدق كان عسيل
الشعر سريع القول فاما ابو سليمان فانه كان يقرض البيت والبيتين وينشدنا ذلك وينهى عن نثره عنه ويقول من
انتحل لضعفه قوة غيره تحت وجسارة فقد استجر الى نفسه فضيحة وخسارة فمن قوله واني عزوف النفس عن مجرني
+ ومعطي قيادي للحبيب الموالف + اشاطره روحي ومالي واتقي + حذارا عليه من رياح عواصف + فان نحا عهدي
لم اخنه وان اكن + على ما اوى من عذره بمواقف + واترك عقباه لعقبى فعاله + فهي عقب الايام كل التناصف + ومن
قوله ايضا بكيت على مفارقة الشباب + وايام البطالة والتصابي + وايام التغازل والدلال + وايام التجني والعتاب +
مضت فكانها ما قولت + معقبة نفيسا بالعقاب + لتنزع كل ملبوس جديد + وتمزج كل معسول بصاب + بياض الشيب

اعلام المنايا * نشرن نذيرة لك بالذهاب * هو الكفن الذي يبلى وشيكا * ويأتي بعده كفن التراب * ثم قال الاقلال من هذا الباب اولى
بنا فلسنا من اهل هذا الفن وسمة التقصير لائحة علينا ودالة على نقصنا وان خفي ذلك ننظر الان الا انشا عاشق نفسه
وليس بهوى اخذها على تقصيره ثم قال لى انشدنا ما سمعنا منك لبعض الالهيين فانشدته * لما تجاوز حشى * وفات مشى
لمسي * ولم ألف اقرب * دبيلا ابناء جنسي * فلم يكن ذا التجلي * ولا يعود بأسي * رجعت نحوي بشرط * يغيب عني حسي * فلاح تحت
ضلوعي ما قد من قرن شمسي * فقلت هذا طريقي من غير شك ولبس * وغصت حتى تجلى * واشرقت منه نفسي * فقال ابو سليمان
ما الحسن لا ادبو للكنه اذا كان هذا من ثمرها وسمعت ابا سليمان يقول للجرجاني الكاتب وكان يحدث نفسه بالوزارة
ايها الرجل ان الدنيا نار ذات دخان فلو سلوت عن صلائها لدخانها لكان اجدى واسلم فقال افلا اصبر على دخانها
لانتفع بضيائها او استمتع بصلائها فقال ما احسن هذه العارضة لو كنت في الاستمتاع بضيائها على ثقة ومن الانتفاع
بصلائها على يقين وكنت اذا ادركت ذلك دام عليك وصفا لك فاما والعادة جارية بخلاف قولك وبمثل اقتراحك وتوهمك
فلا فقال الجرجاني الله الموفق وهو حسبي فقال ابو سليمان حكم الكتاب واصحاب الخطابة مخايل تصدق قليلا وتكذب
كثيرا ليس لها رسوخ في القلب ولا ثبات في العقد فلما قتل الجرجاني قال ابو سليمان مسكين ذلك الرجل صبر على دخانها
ان اختنق وتعرض لصلائها حتى احترق ثم قال اللهم لا تكلنا الا اليك ولا ترغبنا الا فيما لديك ولا تعرضنا الا لطلب ما عندك
انا العجزة عن قدرة نطلبها بنا وضعفة على قوة ندعيها فينا ارنا الحق حقا ثم هيئنا لاتباعه وارنا الباطل باطلا ثم وفقنا
للاعراض عنه يا من بيده ملك العيان والخبر ويرينا بهما العجائب والعبر قد قوي رأيي ادام الله توفيقك ان لا تكون هذه المقابسة
في هذا الموضع لانها نائية عن اخواتها المواصي لكونها على حال قد اخذت بنصيبها من الحسن ولعلها تفيد بعض الفائدة قيل
لابي سليمان لم قيل اذا جل السؤال جل المنع فقال لان الحال يلتبس بشيء كالاغراء والاكراه والاحراج فيقع للمسؤول انه قد ظلم
وان السائل قد اعتدى فاذا استقر هذا في نفسه وتردد على باله لم يجد في عقابه شيئا اقرب ولا اخصر من منعه ليكون
ما اتاه من جنيته من جنس ما اتاه السائل من جنايته وهذا احفظك الله وان لم يكن من سراة الفلسفة ومن بحبوحة
الحكمة ومن غامض الفوائد كان يجري مع اخوانه في مجالس هؤلاء الاعلام لسبب من الحفظ ولم يعرض للفائدة فكرهت ان
لا يكون لها رسم في عرض ما رويناه وهذا الاعتذار مني قد تكرر ولولا سوء ظني بالزمان واهله لما رايت ان اعادته تنفع

٩٠

وتكريره يفيد والسلام

مقابسة اخرى

هذه مقابسة تشتمل على كلمات شريفة من كلام ابي الحسن محمد بن يوسف
العامري علقت وسمعت اكثرها منه وهي التي مرت في شرحه لكتابه الموسوم بالنسك العقلي ويصلح ان يأتي عليها هذا
الكتاب فاتيت بها على وجهها قصد التكثير الفائدة واخذ بجماع الحزم قال اعزه لا بالنفس بل بجبان النفس واشبهه لا
بل لجمال الجمال واطلبه لا للاتحاد لكن للاستخلاص للاتحاد وقال ايضا لن يوثق بالصديق بل بميزان الصدق ولن تنجو السبعية
بل بطلب السبعية ولن يهجر الكذب بل اخافة الكذب وقال انظر من جعلك مريدا فاجعله مرادك وجرد الانتساب الى من هو
اولك واخرك وقال وزن النفس بالنفس هو العبارة بالنفس وربيع النفس بالنفس هو العلاج للنفس وعون النفس
بالنفس هو التدبير للنفس وانتساب النفس بالنفس هو التعرف للنفس وعشق النفس هو المرض وقال سل واهب العقل
اضاءة العقل ولاحظ الحقايق بنور الحق وقال ابدا بالاول في ايثار الاولى واعرب الاولى بايثار الاول وقال مبلغ وصال الاحسن
يجر ان الاقبح ومنشور الراي الاقوم وجدان الاصلح وقال المختار الاول عاشق للاحسن والمقدم الاول مريد للاتقن وقال
امن المؤنة اشرف القنيات واخلاص العمل اشرف للاعمال وعلا وقال الشيطان اشرف من الجاهل والتهور لا جاه

الداعي اشرف ... المر غير تبقا من الفنا اشرف من النظر وقال دوام الصحبة للفضلا من السادة يروض الطبع على
الجميل من العادة واحالة الفكر في نظام الخليقة يحلي النفس بال الفضيلة وقال ليس اللطف في تزيين الشي بل اللطف
في تأنيق التزيين وليست المحنة تادية الصنا بل المحنة سهولة التادية وليس لكمال المطلق اقتناء الفضيلة الانسية
بل ما يتبع اقتناءها من الجود المزين لها اجل النعم هو الاستقلال بشكر النعم واشرف المواهب هو الفوز بالخلوص لرب المواهب
من لم يؤيد من نفسه باحكام الحكمة ويان يحقل العقل فقد صير صاحبه عليه لا له القايز بالاشراف اما ان يوجد مستوليا
على المشروف واما ان يوجد مستغنيا عنه والمقتصر على المشروف ان يستقل بالاستيلاء على الاشراف او يستعين بالالة
عند الوضيع اشد حالا من الخسيس فان الوضيع مذموم في حد الدون ال والخسيس عرف وله على كل حال اشرف العبيد
اخلصهم للمولى واشرف فعال العبيد ارضاها عند المولى واشرف ... العبيد هو ان يصفو له المولى واشرف
همم العبيد ان يتحلا بالمولى من خصايص المنزلة سلوك النفس الى النقص بعد الفوز بالتمام ومن خصايص التشبيه
بالضعاف مع وفور الطاقة الحكمة مقتضية لوجود العقل والمعاني الثلثة في الاقل شيء واحد وهو هو ذاته الحق
فاما فيمن دونه فمختلفة في حد ودها وان اتحدت في وجودها النفس العزيزة هي التي لا تؤثر فيها النكبا والنفس الكريمة
هي التي لا تثقل عليها المؤونات مقابل العزيز هو الذليل في التلون في احوالها بسرعة علمه ومقابل الكريم اللئيم والوضيع
من اضاله بالخلل عامة مراتب العبودية بحسب القوة العلمية اربع اولها مرتبة المتقين وهي من علايق الخوف والثانية مرتبة
المحسنين وهي من علايق الرجاء والثالثة مرتبة الاولياء وهي من علايق المحبة والرابعة مرتبة الصالحين وهي من علايق
الاستقامة صورة الكل واحدة هي القاذورات مندرجة في الخيرات والتمسك بالخيرات محصنة عن العفوات والا
من العفو امر تبعة المقامات ومعالي المقامات مجمعة للسرور واللذات متى لم يجلب الموانع فقد يختبر الجوهر الجسماني نحو
كماله الاخص العلم الصحيح ابلغ من صلاح العمل السادي من الاعتبار بالعكس فان الرياسة والملك بين اليد فاتحة للسعي في
طلب المولى الا تراه الجميع منه ودون المولى وتمام السعي في طلب المولى الاستغناء عن جميع من هو دون المولى متى جاوز
البعض البعض فقد استغنى الجميع عن الجميع ومتى تكل البعض على البعض فقد اضطر الجميع الى الجميع بدء وبعد
التعاون افتقار وتمامه استغناء وبدء التواصل استغناء وتمامه افتقار متى استتبت الحرية على هذا العرف
الحقيقي فقد سلم المحترف بها عن وصمة التقليد فيما فراق العبد للمولى يكون على صور اربع وهي القطع والطرد
والحسر والحجب نبعاث الخاطر النفساني وان عرض منه التادي الى الحرص فلن يجوز ان يعد مرذولا فان لكل واحد
منهما مقصود اخر عظيم الجدوى خذ الى له وبمثله الحالة المكافية ما ينبعث في النفس كان المتدين يفتتح تدينه
من درجة التقليد ثم يترقى منها رويدا رويدا الى معلوم التحقيق ومهما اقتصر من تدينه على الرتبة كان مذموما ان
لم يجد في البداة مختصا بالكنه الحال في اللذة والكرامة والثروة والرياسة المعونة والحرمة قد تقع بحسب القرب وقد تقع
وبحسب تقريب مراتب المتقرب بحسب العمل يفتقر الى الالات وهي الاتصال والتفويض والتوبة ومراتب التقريب
بحسب العمل تقسم الى ثلاث مراتب وهي الخدمة والطاعة والعبادة وقال الحال لا يجب ان تكون حال ... تبعي
الوقت لا يجب ان يكون قريبا من احوال الصبا والطبيعة لا يجب ان تكون ذات فعال او ذات الخلال والسبب
الداعي لا يجب ان يكون اما الثروة واما اللذة واما الرياسة واما الحيلة بل يجب ان يكون اما شرف الفضيلة او تحصيل
السعادة والرفقاء لا يجب ان تكون سبعيين او بهيميين وقال النعمة الموضوعة في غير موضعها قد تحسن بالعرض

الجهات ثلاث وهي المحبة والغيرة والمدرجة اقفال القلوب اربعة اولها الزيغ ثم الرين ثم الغشاوة ثم الختم وعلاجها
الايمان والدعاء واليقين بالآخرة والتصديق بالرسالة الخلال الانفس يكون على اربعة اوجه اولها الكسل ثم الغباوة
ثم القحة ثم الانهماك وعلاجه استشعار التقوى والمحافظة على العبادات والانفاق في سبيل الانفس اعلى النفس همماً هو
لا يفرح بشيء من السنخ كفرحه بصحة مآلك الملوك وهو الحال الفصلي للطبيعة الانسانية اختصاصاً كل موجود بفعل
له على حدة يحقق ان وجدانه ليس بعيب والخسران لعقل عن ان يتوهم لذلك الفعل موجوداً لخواصه لم منه تحقق له
انه ليس بناقص الذات اذ قد تفرغ كل من الموجودات بفعل له على حدة فمن اين تعرف وبالذي يصدر عن مجموعها من الفعل
المختص به من وجد مجموعاً ان ينتفع بسياقه الشيء الى الكمال اذ لم يحفظ علته ولن ينتفع بحفظ علته اذ لم يصير ذاته بنفسه
مستحفظاً لطباعه على اخص كماله ما لم يصير آمناً في سربه من طغيان الآية الغيرة الاعداء ولن ينتفع بالامن عداء الآفة الى ان يكون
الامن ابدياً على الاطلاق ان شرف الانسان هو الفوز بالسعادة العظمى ونيل المنزلة عند ربه ومن الواجب ان يكون غرض
الصناعة المعينة بشأن الانسان بما هو انسان اعني النسك والزهد هو تحصيل السعادة العظمى والمنزلة عند الله تعالى
وكان الشخص الواحد من اشخاص الناس غير صالح لاستبان صور الموجودات كلها في ذاته فيصير بذلك عالماً على حدته
حسب ما في اشخاص الحيوانات للاخر لما امتنع ان يفنى فناء ابدياً ويخلفه الآخر مكانه لازدحام الصور المتقابلة في الجوهر النفساني
ليس ممتنع وازدحام الصور الكثيرة التي لا يتناهى ليس بموجب ونبوه عن التلاشي عليها انه ليس بواجب وحصرها اذا تحللت بالابدان
الكلية بطباعنا الخاصية غير بعيد ان يكون الكمال المطلق هو ان يصير جوهره بحسب السعي الاختياري حكيماً قادراً جواداً وهو
يصير العبد ربانياً بالحقيقة لما جعل الشخص الحيواني توليد المثل ببقاء نوعه فقد اهتدى بالطبع المتمم لغاية نوعه بالعكس لما حرم الكمال
الاشرف بنفس حيلته قصر طباعه عن التصور لهذا سافلوا منا هاه الانسان في هذا الكمال لتشاكل في القصور عن التصور اذا سعد
العبد بوصال مولاه على الحقيقة فقد صارت دنياه اخرته وموته حياته وفقره غناه ومرضه صحته ونومه يقظته وضعفه
قوته وهمه فرجه واذا اشقي بالحجب عن مولاه فقد انقلب الامر بالضد مراتب العبودية في العيشة الدنيا وية على الحقيقة
اربع اولها الاهتمام للسعادة ثم السلوك اليها ثم الحصول عليها ثم الاستمساك بها وفي العيشة الاخروية تبيان وهما الاغتباط
بنيلها والاغتباط بالامن من زوالها كما امتنع عليها ابراز فعله المختص به فقد صار وجوده على ما هو عليه مضاهياً للعدم وتلك
هي خسة ذاته صلاح الواحد ينزل منزلة الملك وصلاح الجميع ينزل منزلة الملك وحيث وجد الملك وجد الملك
لا ينعكس فاذن الانسان لن يشرف بان يصير مالكاً بل يشرف اذا صار ملكاً وفعل المالك حفظ القنية على صورتها وحفظ
الملك حفظ مراتب القنيا على درجاتها متى علم ان الشيء مما يجب ان يعلم وانه ليس بعلم فقد صار المفعول عنه محروماً عليه
ذلك هو مفتاح الشحي وهو في الحقيقة اكثر من نصف جملته كما انه ليس يسكن العقل الصريح الى معرفة المبدأ القريب من الشيء
دون ان يعرف المبدأ الاول على الاطلاق وما بين المبدأين من الوسائط كذا ايضاً لا تهدأ النفس القوية على معرفة الغرض
القريب للشيء دون ان يعرف الغرض الاخير على الاطلاق وما بين الغرضين من الوسايط ان كان الاول المحض والآخر المحض بالذات
شيئاً احداً وان اختلف الوصفان عليه بالاضافة فبالحري ان يكون المبدأ والغرض المحض غير مختلفين وبالذات وان اختلفا
بالاضافة التعرف للذات بحسب المنتهى اربعة وهي ان تعرف لما ذا هو وكيف السبيل اليه وما الذي يحتاج اليه في التوجه
نحوه وما الذي يعوقه عن بلوغه مراتب التعرف للذات بحسب المبتدأ اربعة وهي ان تعرف ما هو ومن جاء به ومن داعيه
وكيف كان مجيئه ومن اجل ان المستخدم قد يضطر الحال الى استصلاحها واستحفاظها فيصير فعله فيهما عند ذلك شبيهاً

بفعل المتقادم بها في الظاهر فليس بعجيب ان يعرض منه الغلط او يبلد ومن جهته الانخداع من سوس العقل الصحيح التفرقة بين الحسن والقبيح ومن سوسه ايضا السكون على الحسن والالتفات عن القبيح لان الشيء متى كان مفرطا في الحسن فانه يبهر العقل المجري ويحتاج منه الى التدريج اليه والقرين عليه خصوصية هذا الصناعة رياضة الانفس الناطقة على تادية الافعال البشرية بصورة مستصلحة لاكتساب الزلفى عند خالق البرية لن يكفي ان تكون الغاية مجلوة في نفسها موجودة بذاتها بل يجب مع ذلك ان تكون متصورة عند القاصد لها على ما هي عليه وان تكون ايضا متشوقة محبوبة عنده يجب ان نعرف من درك الغاية اهو من جملة النعم ام ليس هو من جملة النعم وان كان من جملة النعم اهو مما ينال بحسب الافعال ام بحسب التعويض من بحسب المثوبة هذا اخر التعليق عن نفس الموجه وقد كان قادرا على هذا الجنس من الكلام المطول ارتياضه وكثرة فكره فيه مع سيرة جميلة ولقد ورد بغداد سنة اربع وستين وثلثمائة في صحبة ذي الكفايتين فلقي من اصحابنا البغداديين عنتا شديدا ومناكدة وذلك ان طباع اصحابنا معروفة بالحدة والتوقد على فاضل يرد من غير بلدهم وذلك كله جالب لتنافس مانع من التناصف وهو خلق تابع لهوائهم وترابهم قد احتاجوا من اجل ذلك الى علاج شديد ومقاومة طويلة وقل من يتخلص الى غاية هذا الباب لغلبة الطباع وسوء العادة وشرارة النفس والحكمة على السنتهم اظهر منها على افعالهم ومطالبتهم بالواجب لهم اكثر من بذلهم الواجب عليهم وهذا باب وان كان فاشيا في جميع الناس فكانه في اصحابنا افشاء وهو من جهتهم امد وهو على ذلك لا يعثر واحد منهم الا بعد عشرة من غيرهم واذا كان الكامل عزيزا في النوع كيف لا يكون عزيزا في الواحد نسال الله خلقا طاهرا وعملا صالحا وعلما نافعا

مقابسة اخرى تلطف في هذه المقابسة التي تقدمت فنون من الحكمة وانواع من القول يتشوق اليها الاحظ النفس لرواية عن هؤلاء الشيوخ وان كنت قد استفرغت الطاقة في تنقيتها وتوخي الحق فيها بزيادات يسيرة لا نصح الا بها او نقص خفي لا يبالي به وانا اسئلك ان تاخذ منها ما وافقك وتدع علي ما بار عليك ولاجل ما سلف من القول في المسائل ما احببت ان احكي لك حدودا حصلتها على مر الزمان بعضها اخذ من اقوال العلماء وبعضها التقط من بطون الكتب بعد ان عرض الجميع من يوثق بصناعته ويرجع الى نقده واختياره فاشركني في فوايدها وهب لي من بعض استحسانك لها وتغمد في بكرمك وفضلك اللذين لا يستغني مثلي عنهما واستقر اني نقلت هذا الكتاب والدنيا في عيني مسودة والهواء الخير د ومني منسدة بثقل المؤنة وقلة المعونة وفقد المونس بعد المونس وعثار القدم بعد القدم وانتشار الحال بعد الحال هذا مع ضعف الركن واشتعال الشيب وخمود النار وافول شمس الحياة وسقوط نجم العمر وقلة حصول الزاد وقرب الرحيل والى الله التوجه وعليه التوكل وبه المستعان ولا موفق غيره ولا معين سواه وفي الجملة اسالك بالملح الذي يتقاسم به الفتيان ظرفا ان تعذرني في تقصير تعثر عليه فوالله ما شرعت في تحبير هذا الكلام وايراد هذه الوجوه الا شغفا بالعلم لا ثقة ببلوغ الغاية وانت اولى من عذرك اني احق من اعتذر وهذا كله يجري في مجالس مختلفة بين مشايخ الوقت بمدينة السلام ورايت ان اخلالي بتحصيل على اي وجه كان اشد من اخلالي بتقصير يمر في جملة ذلك فتعرفت لم على علم مني بقلة السلامة على ان من انحا علي بجده وكشر لي عن نابه وجعل صوابي خطاء وخطائي فيه عارا احتملت وصبرت وتغافلت وعذرت واذا كنت في جميع ذلك راويا عن اعلام عصري وسادة زماني فانا افدي اعراضهم بعرضي واقي انفسهم بنفسي وانا ضل دونهم بلساني وقلمي ونظمي ونثري وارجو ان لا اخرج عند التصميم وضيق العطن عند الحمام الى مفارقة الادب والى ما يقبح لاحد وثم فاقول قولا لا يورث الندامة وابرز بروزا يجلب الملامة ولست انا فسل حملا على هذا الحديث الا بعد ان يرسم بقلمه في هذا الفن عشر اوراق يسلم فيها لك السلامة ويتبرا فيها ممن

كلا قالة وهذا مما لا يتطاول له كل احد ولا يعثر به كل انسان والطعن بالقول سهل من بعيد والعنف خفيف على لسان كل
غايب والتعقب مركوز في كل وقت ولكن الستر اجمل والابقاء احمد ولان يطلب التاويل لخفي سهو ويعرض احسن من ان يتتبع
الخلل فيما الحق بتسبب على ان الحسنى لا تتقدم فاذا ما كان المحسنة لا تتقدم ملائما والسلام والمقابسة التي من قول العامري قد
جعلناها مقصورة على حدود حصلناها وفي نثرها فوائد جمة ولو كان الوقت يتسع لوصلنا جميع ذلك بما يكون شرحا له وتابعا
معه واتساعات مما لا خفاء به من المكروه والعلم في النفس والحال الغالب الاخوان فلا بد من الرضى بالممكن والنزول عند التسهل والقناعة
بما حد الكلام الجواب انه مولف من صوت وحرف ومعاني يقال كيف يحصل الجواب يجذب الانسان الهوا بالحركة الطبيعية
وحصره في قصبة الرئة ودفعه وسلكه بالحركة الارادية للهوا الخارج بحروف فيجذ بها الة اللهوات وهذه مركبة دالة
بحروف اتفاق واتساق على معاني فكر النفس الناطقة بقدر الهواجس الطارية والخواطر السانحة والصواب المؤيد من العقل
والاثر الحاصل في القلب يقال ما الشعر الجواب كلام مركب من حروف ساكنة ومتحركة بقوافي متواترة ومعاني معادة ومقاطع موزونة
ومتون معروفة يقال ما الغناء الجواب شعر ملحن داخل في الايقاع والنغم الوترية منعطفة على طبيعة واحدة ترجع مشاكلة
اليها يقال ما الايقاع الجواب فعل يكيل زمان الصوت بفواصل متناسبة متشابهة متعادلة يقال ما اللحن الجواب صوت تسير جميع
خارج من غلظ الحدة ومن حدة الى الغلظ بفصول بينة للسمع واضحة للطبع يقال ما النغم الوترية الجواب استحالة الصوت
من نسبة شريفة الى نسبة غير شريفة القاطع ومواضع استراحات الانفاس مع تمام دور من ادوار الايقاع يقال ما الطنين
الجواب هو رجوع الهواء من جرم المقروع الجرم منه وذلك ان الجرم العميق الاملس اذا قرعه شيء نبا عنه ثم عاد اليه كالكرة
اذا ضرب بها الارض وكذلك الصدا من المتكلم يقال ما الجدل الجواب مباحث مقصورة بها ايجاب الحجة على الخصم من
حيث الا يقوى ومن حيث لا يقدر ان يدفع يقال ما المحال الجواب الجمع بين المتباينين في شيء ما في زمان واحد وجزء
واحد واضافة واحدة وسمعت ابا سليمان يقول المحال لا صورة له في النفس فقيل له الباري في هذا اما يقول فيه
المحال هو فقال لا لان عليه شهادة من العقل بشهادته ثبتت انيته وبارتفاع صورته انتفت كيفيته وهذا غير التوحيد
وقد مر الكلام في التوحيد عن هذا الشيخ وعن غيره على سعة اطرافه وضيق عباراته فلا وجه للاطالة في هذا الموضع
ولولا ان هذا القدر كالبيضاء ما اقترن به واشتمل عليه لكان تركه اولى وعلى كل حال ففيه تعاويذ لاهل الباب وبعث على ما
تنزع النفس اليه من هذه الحقايق وليس من فصل في هذه الرسالة الا وهو يحتمل ضروب من البيان واصناف من القول ولكن
الاقتصار اليق بالحال واحسم لمادة الشغب والجدال فقال ما الكون الجواب خروج الشيء من القوة الى الفعل يقال ما الفساد
الجواب خروج الشيء من الفعل الى القوة يقال ما الجمع الجواب انضمام المادة الى نفسها وتلاقي اجزائها يقال ما الانفراد
الجواب انفصال المادة باقسام لطيفة صغيرة القدر يقال ما الباطل هو ما ينافي الموجود هو ما هو يقال ما الخير بالحقيقة
الجواب هو ما يراد ويوثر لاجل ما يراد لا للاستعارة لذاته يقال ما الشيء الجواب هو ما يهرب منه لاجل ذاته وايضا الشر
هو ما يهرب منه لاجل انه يؤدي الى الاستعارة الى ما يهرب منه لاجل ذاته يقال ما الذكر الجواب احضار الذهن ما تقدم وجوده
في النفس يقال ما الذهن الجواب جودة التمييز بين الاشياء يقال ما الذكاء الجواب سرعة الانقداح نحو المعارف يقال ما
التواني الجواب هو نهاية الفكر يقال ما الشك الجواب هو تردد النفس بين الاثبات والنفي يقال ما الارتياء الجواب تجارب
يقال ما اليقين الجواب مطابقة العقل معقوله يقال ما العلم الجواب وجدان النفس الناطقة الاشيا بحقايقها يقال ما
الحكمة الجواب هو حقيقة العلم بالاشياء القائمة ووضع كل شيء في موضعه الذي يجب ان يكون فيه الموضع فقط يقال ما التمييز

الجواب هو جمع القضايا واستخراج النتايج ويقال ما العزم الجواب الراي على الفعل يقال ما اليقين الجواب سكون الفهم
مع ثبوت القضية ببرهان وايضا هو وضوح حقيقة الشيء في النفس يقال ما المعرفة الجواب راي غير زايل والراي هو
الظن مع ثبات القضية عند التادي فهو ادنى سكون الظن يقال ما الجزم الجواب هو قوة يحدثها فوق الثقة باوايل الامور
مع سكون الظن بعواقبها يقال ما الوهم الجواب هو الوقوف بين الطرفين لا تدري في ايهما القضية الصادقة يقال ما التوهم
الجواب موافقة الظن العقل من غير اثبات حكم يقال ما التصور الجواب هو حصول صورة الموجودات العقلية في النفس
يقال ما الذكر الجواب هو سلوك النفس الناطقة الى تلخيص المعاني ومعرفة ماهياتها يقال ما الحفظ الجواب ثبات صور
المعقولات والمحسوسات في النفس يقال ما الحس الجواب وهو قبول صور المحسوسات دون حواملها يقال ما التخيل الجواب
هو حصول صور المحسوسات بعد مفارقتها وزوالها عن الحس يقال ما الادراك الجواب هو تصور نفس المدرك بصورة
المدرك يقال ما المعرفة الجواب هي ادراك صور الموجودات بما يتميز عن غيرها وهي المحسوسات التي لانها تحصل بالوسم و
الوسوم ماخوذة من الاعراض والخواص والعلم بالمعقولات التي لانه يحصل بالحدود والمعاني الثابتة للشيء يقال ما
الاستقصى الجواب هو ما يكون فيه الشيء ويرجع اليه منحلا منه الكاين بالقوة يقال ما الصورة الجواب هي التي بها الشيء هو
هو يقال ما المكان الجواب هو حيث التقى لاتقان المحيط والمحاط به وايضا هو ما بين سطح الجسم الحاوي وانطباقه على
الجسم المحوي يقال ما الزمان الجواب مدة تعدها الحركة ثابتة الاجزاء يقال ما الجرم الجواب ما له ثلثة ابعاد طول وعرض وعمق
يقال ما الكثرة الجواب هو انفصال الهيولى باقسام كثيرة عظيمة القدر يقال ما الملازقة الجواب امساك نهايات الجسمين
بجسم ثالث بينهما يقال ما الاجتماع الجواب حال تقارب الاجسام بعضها من بعض والافتراق تباعدها يقال ما السيلان الجواب
كيفية سريعة الزوال يقال ما الاتصال الجواب هو اتحاد النهايات والانفصال تباين المتصلات يقال ما الرطوبة الجواب علة
سهولة انحصار الشيء بذات غيره وعسر انحصاره بذاته وايضا هو الكيفية التي لا يحيط بشكل الجسم الذي هي فيه على شكل
محدود ولا يعسر ان يتشكل بشكل ما يحيط به بسهولة يقال ما اليبس الجواب علة انحصار الشيء بذاته وعسر انحصاره بغيره
وايضا هو الكيفية التي تحفظ شكل الجسم الذي هي فيه وحتى لا يتشكل بشكل ما يحيط به بسهولة يقال ما البرودة الجواب جمع
الاشياء التي من جواهر مختلفة والتفريق بين التي هي من جواهر واحدة يقال ما الحرارة الجواب علة جمع الاشياء التي هي من جوهر
واحد وتفريق الاشياء التي هي من جواهر مختلفة يقال ما المؤلف الجواب المركب من اشياء متفقة بالحس مختلفة بالحد
يقال ما الروية الجواب هي التمثيل بين خواطر النفس يقال ما الفعل الجواب تاثير في مؤثرات للتاثير وايضا هو الحركة التي
تكون من نفس المحرك والقابل عنه يقال ما الاختيار الجواب هو ارادة تقدمتها روية مع تمييز يقال ما التضاد الجواب جمع
ذوات مختلفة الى ذات واحدة يقال ما النفع الجواب الشيء المشوق منه الكل يقال ما القسمة الجواب هي لفظ مجمل ما فصله
الكتاب يقال ما المدخل الجواب هو قول يفصل المعاني فيما يحتاج اليه في معرفة ما هو مدخل اليه يقال ما المنطق الجواب
يقال هو صناعة ويتميز بها بين الصدق والكذب في الاقوال والحق والباطل في الاعتقادات والخير والشر في الاحوال
يقال ما الصناعة الجواب بالاطلاق هي قوة للنفس فاعلة بامعان مع تفكر وروية في موضوع من الموضوعات نحو غرض
من الاغراض يقال ما الصدق الجواب قوة مركبة من الحق يقصد بها العدل والحق يقال ما اليقظة الجواب هي استعمال النفس
المنطقية لاستعمال الات البدن من غير مرض عارض ولا انسان على طباعه يقال ما الحياة الجواب هي رباط الحركة وحس
وعقل ونما وتربية والموت ضد ذلك يقال ما الشجاعة الجواب هي قوة مركبة من العزم والغضب تدعوا الى الشهوة الانتقام

الجبن ضده يقال ما الفرح الجواب هو انبساط النفس من داخل الى خارج على المجرى الطبيعي الخوف ضد ذلك يقال
ما الجهول الجواب الذي لا يقنع ما يتخيل في وهمه تخيلا ضعيفا من غير نظر ولا فحص والغيظ هو ابتداء الغضب يقال
ما الركين الجواب هو الذي يكون العزيمة منه مع تمييز وتفكر يقال ما الحسود الجواب هو الذي لا يحب لاحد خيرا ويحب له
الاضرار بهم وينفسر كي يختصم بذلك مكروه يقال ما الدخل الجواب هو حقد يقع مترصد الفرصة والانتقام يقال
ما الحقد الجواب هو غضب يبقى في النفس على وجه الدهر يقال ما الغضب الجواب هو غليان دم القلب لشهوة الانتقام وهو الحركة
لقهر ما اضر بالبدن يقال ما العجب الجواب هو ظن الانسان بنفسه انه على الحال التي يجب ان تكون عليها من غير ان تكون عليها يقال
ما الرضى الجواب هو قناعة النفس بما لها غير تاقعة يقال ما الحياء الجواب هو خوف الانسان من تقصير يقع منه من هذا فعل
في شيء ما او في كل شيء يقال ما الاستطاعة الجواب هو التهيؤ لتفعيل الفعل بارادة المختار من غير مانع ولا عايق يقال ما الشهوة
الجواب هي التشوق على طريق الانفعال الى استرداد ما نقص مما في البدن والى نقص ما زاد فيه تجاوز بل بالانفعال انه شيء يجري
على خلاف ما يجري به الامر الذي هو بالتمييز والفكر يقال ما المحبوب الجواب هو مطلوب النفس ومتمم القوة التي هي علة
الاتحاد ما من شانه ان يتحد يقال ما الوقت الجواب هو نهاية الزمان المفروض للعمل يقال ما البصر الحسي الجواب هو اتصال
النور النفساني بنور الشمس بتوسط الهواء يقال ما الحد الجواب هو قول دال على طبيعة الشيء الموضوع بمنزلة ما هو
يقال ما الرسم الجواب قول مميز للموضوع من غير تركيب عن صفات عرضية اكثر من واحد يقال ما الخاصة الجواب هي كالرسم
الا انها من صفة واحدة عرضية يقال ما الانسان الجواب هو ناطق مايت فالحي دالة على الحس والنطق والحركة والناطق
دالة على العقل والروية والمايت دالة على السيلان والاستحالة يقال ما الممكن الجواب هو الذي بالقوة تارة وبالفعل
فيما يوصف تارة يقال ما الممتنع الجواب الذي ليس بالفعل ولا بالقوة فيما وصف به ابدا يقال ما القول المطلق الجواب ما لا
يثبت فيما تراه اخر يقال ما الكيفية الجواب ما هو شبيه وغير شبيه يقال ما الكمية الجواب ما احتمل المساواة وغير المساواة يقال
ما الصدق الجواب مطابقة القول لما عليه الامر ويقال ايضا الاخبار عن الشيء بما هو عليه يقال ما الكذب الجواب لا مطابقة
القول عليه الامر وايضا الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو يقال ما الحق الجواب هو ما وافق الموجود وهو ما هو يقال ما العنصر الجواب هو
طبيعة كل ذي طبيعة يقال ما الهيولى الجواب قوة موضوعة لحمل الصور منفعلة يقال ما الجوهر الجواب هو القايم بنفسه
الحامل للاعراض لا يتغير ذاته موصوف لا واصف يقال ما النفس الجواب تمام جوهر ذي آلة قابلة للحياة وايضا هي جوهر
عقلي متحرك من ذاته بعدد مؤتلف وايضا هي جوهر علامة مؤتلفة بالفعل يقال ما العقل الجواب جوهر بسيط يدرك
الاشياء بحقيقتها لا بتوسط زمان دفعة واحدة وايضا هو الذي من شان الجزء منه ان يصير كلا وفي معنى هذا القول من
شان عقل زيد مثلا وهو عقل جزئي ان يعقل كل المعقولات التي من شانها ان يعقل ان يقتص بالزمان او يعترض لرتق
وليس شيء من الموجودات لهذا المعنى سواه يقال ما القادر الجواب هو الذي ينفذ ارادته فيما له بالقوة العاجز منه ذلك
يقال ما الفعال للخير الجواب هو الذي لا يبخل على احد في شيء من الاشياء يقال ما الازلي الجواب الذي لم يكن ليس وما التركيب
ليس لا يحتاج في قوامه الى غيره والذي لا يحتاج في قوامه الى غيره لا علة له يقال ما القائم بذاته الجواب هو الذي حلة ما
فيه وما ليس هو قائما بذاته هو الذي حلة خارج منه يقال ما العلة الاولى الجواب مبدع الكل متمم الكل غير متحرك وايضا
فقط وايضا خير محض يشتاقه كل شيء سواه ولا يشتاق الى شيء سواه وايضا هو وجود مطلق للكل وجود عقلي وحسي وايضا
الواحد القول المطلق لا كالجنس الواحد ولا كالشخص الواحد يقال ما النفس ايضا الجواب روح الله منبجسة بتوسط العقل

يقال ما الشكل الجواب قوة روحانية يتصل فعلها من خارج بها ما الحركة الجواب هي على ثلاثة اوجه مستوية ومستديرة ومنفرجة يقال ما
الطبيعة الجواب صورة عنصرية ذات قوى متوسطة بين النفس والجرم لها مبدأ حركة وسكون من حركة يقال ما السماء الجواب جوهر
مستدير مركب متحرك حركة شوق دائمة يقال ما الفرح ايضا الجواب انبساط الطبيعة من داخل الى خارج والطبيعة
هنا الحرارة الغريزية والحزن انقباض الطبيعة من خارج الى داخل يقال ما النوم ايضا الجواب غوص القوى في عمق النفس يقال
ما الارادة الجواب هي باسم حركة قوة بسيطة نفسانية عن ذهن يعم الشوق يقال ما اللذة الجواب انطباق الشهوة الطبيعية من
النفس بلا مانع يقال ما الكل الجواب هو جوهر محيط بالاجزاء لا شخص له هذا اخر المقابسة التي اتت على حدود هذه الاشياء
وهي وان كانت تحتمل التخفيف ببعض الاطالة والاعتراض ببعض الاستقصاءات فقد حوت معاني غريبة وطرقا واضحة وقد كنت
عرضت اكثر هذا على ابي سليمان وعلى غيره فما اصبت عند احد منهم ما يحكى الا ما قال جماعة من النحويين فانهم يعرجون الكلمة كلمة
بعد كلمة منها من ناحية الاعراب والصوغ فاعدت على ابي سليمان ذلك فقال انما استقام لك عمود المعنى في النفس بصورته الخاصة
فلا تكترث ببعض التقصير في اللفظ تادوليس هذا مني في تصحيح اللفظ واختلاف التزويق وتحبير البيان ولكن اقول متى جمع اللفظ
والرويات واعتاص ولم يسمح فلا تفت نفسك خصايص المطلوبات وغايات المقصودات فلان تخسر صحة اللفظ الذي يرجع الى
الاصلاح اولى من ان تعدم حقيقة الغرض الذي يرتقي الى الايضاح ولولا هذا الذي قاله هذا الشيخ لما اخترت نثر هذه الحدود على
ما عرفتك من اعلالها والمراد القول عليها ومن بحر الحكمة نقد نقد اوفى فضلا كثيرا وفاز فوزا عظيما واحرز ملكا كبيرا

٩٢ مقابسة اخرى

قال ابو سليمان انما صار العلوي المعرفة واليقين والفضائل باسرها قليلة في هذا العالم لشرفها في نفسها واتصالها بما
وهكذا اعز كل شيء شريف في نفسه وعز في جوهره انظر الى المعادن في الارض والى قلتها اذا تدبرت سائر الاجسام ثم انظر الى
قلة الاشرف منها وهو معدن الذهب ثم انظر الى محل العلم بما فيه الا المستحقه بالطلب والجهد والمعاناة والكدح وهكذا المعارف
والفضايل تعرف في هذا الحساب لانها تنبو عنه فلا يقربه ولا يانس به فحق علينا كلما اشتهر وفشا وكثر فانما ذلك بحوزة الطبيعة
وكثرة المادة وغلبة الهيولى ولاختلاف النفوس باصناف المزاج والتربية فاما كيفية النفس وارتضاء العقل واثارة الفكر وكان
من باب الحقائق ط اليقين والطمانينة والسكون وروح البال وطيب النفس فانما ذلك بمعونة العقل واتصال بجوده وعزازة
فيضه وغلبة سنخه وتعهد الباري الذي اليه ينتهي القول والوهم وعنده يقف النثر والنظم وعليه يشتد اللهف والذي هو الكل
المستولي على الكل

٩٣ مقابسة اخرى

قال ابو سليمان انما عرض الاختلاف من الناظرين في العالم اقديم هو ام محدث
لامر لطيف وذلك ان الناظر الى المركز وجد الشيء الكائن ثم وجد الشيء الفاسد فحكم ان الحدوث والقدم قد تعاقبا عليه
قدم الزمان وحدوث ايضا بالزمان في اتي الحكم بانه محدث واجب والناظر الى هذه الاجرام العلوية وجدها لا يكون ولا يفسد
ولا يعتريه فتور فحكم بانه قديم وكان النظران صحيحين من الجهتين المختلفتين والشرف على الحقائق وهو الذي يقضي
بالواجب لانه ينتهي السفلي الى العلوي او يبتدئ النظر من العلوي الى السفلي فعند هذا التصفح والاستبانة يحكم بالحق و
يقول قديم بالسوس حديث بالتخطيط وكيف لا يكون كذلك واثار الصورة فيه ظاهرة واثار الهيولى فيه حاضرة فاثار الهيولى
هي التي درست وعافت وبادت وانتشرت واثار الصورة هي التي ثبتت واستمرت وبقيت وشرفت وحسنت ولطفت ظاهر
هذا عند من لا دراية له بهذا البحث متناقض وانه قد جمع في هذا الحكم بين السلب والايجاب

٩٤ مقابسة اخرى

قال ابو زكريا الصيمري عند ابي سليمان في مذاكرة طويلة ان كانت النفس واعتبار حالها بمنزلة الدرة في الحقة والجوهرة
في عمق البحر وما اشبه ذلك فليست النفس في حكم البدن ولا حالها الا يقربها حال الكاين الفاسد لان الدرة ليست في

الحقة التي فيها والغشاء الذي هو عليها في شيء وان كان كالبصل وقشوره فهي بائنة لا بقاء لها ولا خير فيها وفي المتكون يكون
مع خواصها الشريفة وعجايبها الغريبة في حكم السائل الذي درى والدارس العافي وقد انت المقايسات الاولى على فقر
يليق في تحقيق شان النفس واثبات امرها وما خصت به دون البدن والمزاج وتوابعها ولواحقها لاوجبه للولوع بالاكثار
فان ذلك رب اجرّ الى التقصير وحمل على الاعتذار وهذا علم كلما قلت الحروف فيه كان المعنى بها انور واخلص وكلما اكثر اللفظ كان
ما يراد به ويعني فيه انقص وليس كذلك باقي العلم والسبب في ضيق هذا العلم انه بحث عن حقايق الموجودات وقصد الى
المعقولات والخصايص عرية من العلل والشبهات بعيدة من الشكوك والعارضات غنية من التاويلات والاحتمالات لانها
اعراضها عن زخارف القول وترتفع عن مواقع الاستعارة والغلط والتجوز والاتساع ولهذا ما اتساع نظرهم الحصر الموجود
في ائرة العشرة حتى لحظوا الجوهر والكم والكيف والمضاف والاين وكذلك متى والواجد له وينفعل وينفعل وفصلوها
وحققوا حدودها واوضحوا علاماتها واستوفوا جميع احكامها المفصلة بين المعاني اللفظية والحقائق الالهية والقوا
الطبيعية والمناسبات الكلية والجزئية وفي ضمن هذه الكلمات الشريفة الحاوية لكل ما علا وسفل معنى هو الجنس الاعلى ومعنى هو
النوع الاقصى ومعان بينهما اذا اضيفت الى ما علا منها كانت انواعها واذا اضيفت الى ما اسفل عنها كانت اجناسها ولما
فات ساير العلماء هذا البحث تاهوا واضطربوا وحاروا واخترقوا وصار ذلك ثبوتا للعداوة وسببا للاختلاف وهذا
النظر ايضا عرفوا القوى الاول من النفس الاثار هم اذا سموا شيئا بالباقي كيف يعنون به الجسم المتنفس اي الذي له جملة القوى
النفسانية القوة المولدة وبها يكون النسل والقوة المربية وبها تكون البقاء والقوة الغاذية وبها تكون الزيادة وبهذا النظر
استعملوا من العقل ما الشيء الذاتي وما ذلك الذي ليس بذاتي وما الكلي وما الجزئي وما المحمول والموضوع وما
الخاصة وما الاعيان والذوات والمواد وما المعاني المنطقية التي انما تضيف الاضافة وكيف حصل معنى يعم الحيوان
الذي هو جنس للثور والفرس والانسان وكيف حصل الناطق الذي هو فصل بين الانسان والفرس حتى تميزت
الاشياء بالجنس والنوع والخاصة والعرض وما هو بالوضع وما هو بالطبع وما له مبدأ وما ليس له مبدأ وما علته غيره
ما علته سواه وما لا علة له علة لما هو اول في العقل وما هو علة في النفس وما هو اول بالطبيعة وما هو اول بالزمان وما هو
اول بالدهر وما هو اول بلا سبب اعني بالاطلاق وما هو بسيط وما هو ممزوج وما هو حق وما هو باطل وهذه تلاع
لا يرقاها الا الاقوياء الاصفياء وبحور لا يركبها الا السعداء الفضلاء وانا اعتذر من انشقاق الكلام في هذا الموضع وقصر
الحديث برمح تباعدي عن كثير مما هو اولى بي وانفع لي ولكن الكلام صوب لا يملك اذا اهطل وهيان لا يحصر اذا انتشر
ووسمي يتبعه الولي وخيره ما كان عفوا وشره ما كان تكلفا ولست اعني بهذا بلاغة البلغاء ولا خطابة الخطباء اذ ذلك
شان عن غير هذا الحكم لانه ملحوظ بالهذر وربما يستغني عنه في الاكثر وانما اعني ما يطيق الفصل ويحققها ويحتها بالمعنى و
ياتي على المراد ويشفي عليل النفس وتهدي اليقين فذلك كالعرض لا ثبات له ولا سكون معه وقد يعرض ايضا في تحقيق المعاني
وتحصيل الاغراض بعض التجوز والسعة ولا يكون ذلك معتمدا بالقصد الاول ولكنه يكون كالشيء الذي لا يعرى عن محاذاة
الامر الذي لا يخلو من ضده وكيف يصدر عن الانسان المركب الممزوج بانه لا عيب فيه وكيف يصح له فعل لا عتب عليه وانما
يصدر من المركب مركب مثله ومن الممزوج ممزوج شبيهه ولكن بين المركب والمركب بسيط وبين الممزوج والممزوج
صاف وبين المعقول والمعقول صلاة وبين المظنون والمظنون فنون تشير الى اليقين فما احرى من فتح الله بصره و
ايقظ نفسه ان يعترف بنعمته عليه وينشر ما قد وهب له وقد رويت في هذا المكان عملا وجدته لبعض اصحابنا

كثيرة وكان تذكرة نفسه وبانجير لسانه ومشهد طرفه وهو بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عاهد عليه الله فلان بن فلان وهو يومئذ آمن في سربه معافى في جسمه عنده قوت عمره لا تدعوه الى هذه المعاهدة ضرورة نفس ولا بدن فلا يوارب مخلوقا ولا يستجلب منفعة من الناس ولا يستدفع مضرة بهم عاهده على ان يجاهد نفسه ويتفقد امره ما استطاع فيعز والشبع ويجاهد وعلامة عفته ان يقتصد في مآرب بدنه حتى لا يحمله السرف على ما يضر جسمه او يهتك مروته وعلامة شجاعته ان يحارب دواعي نفسه الذميمة حتى لا تقهره شهوة قبيحة ولا غضب في غير موضعه وعلامة حكمته ان يستبصر في اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة ليصلح اولا نفسه ويهتدي بها ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها التي هي العدالة بذكر ايثار الخير على الشر في الافعال والحق على الباطل في الاعتقادات والصدق على الكذب في الاقوال هو ذكر السعادة وان تحصيلها يكون باختيارها ثم اذكر الجهاد الدائم لاجل الحرب اللازمة بين المرء ونفسه التمسك بالشريعة ولزوم وظايفها حفظ المواعيد حتى ينجزها واول ذلك ما بيني وبين الله عز وجل قلة الثقة بالناس بترك الاسترسال الجميل لانه جميل لا لغير ذلك الصمت في اوقات حركات النفس للكلام حتى يستشار فيه العقل حفظ الحال التي يحصل شيئا شيئا حتى يصير ملكة ولا يفسد بالاسترسال الاقدام على كل ما كان صوابا الاشفاق على الزمان الذي هو العمر ليستعمل في المهم دون غيره ترك الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغي وترك الدنية ترك الاكتراث لاقوال اهل الشر والحسد لئلا يشتغل بمقابلتهم والانفعال لهم حسن احتمال الغنا والفقر والكرامة والهوان بجهة وجهة ذكر المرض وقت الصحة والهم وقت السرور والرضى والغضب ليقل الطغى والبغي قوة الامل وحسن الرجاء والثقة بالله تعالى فاذا يسر الله تعالى اصلاح نفسه بما جاهد عليه تفرغ بعد ذلك الى اصلاح غيره وعلامة ذلك انه لا يبخل على احد بنصيحة ولا يمنع احدا رتبة يستحقها ولا يستبد دون الاخيار بما يتسع له فاذا اكمل الله ذلك ورفع عنه العوائق والموانع وبلغه ما في نفسه من هذه الفضائل يصير بها من اوليائه الفائزين وانصاره الغالبين وعباده الامنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقد استجاب لدعائه الى كل ما دعاه به ووثق بعد ذلك الى ما اجابه الى كلها وكلها الجود ومن اعطائه ما لا يحسن ان يرغب فيه واعادته بما لا يحسن ان يستعيذ منه وهو حسبه وعليه توكله ولا قوة الا به وهذا آخر العهد وهو غني عن تقريظي ودلالتي على حسن لفظه وصحة الحق عليه فمن جعل هذه كفيلة صدره وعقيدة سره ووسيلة بينه وبين ربه فهو الفيلسوف المحق المبرز المحقق

٩٥ مقابسة اخرى

رويت لابي سليمان كلاما لبعض الصوفية فلم يفكه ولم يبحث عنه وقال لو قلت انا في هذه الطريقة شيئا لقلت الحواس مهالك والاوهام مسالك والعقول ممالك فمن خلص نفسه من المهالك قوي على المسالك ومن قوي على المسالك اشرف على الممالك شرفا يوصله الى المالك قال ابو الخطاب الكاتب ايها الشيخ هذا والله احسن من كل ما سمعناه منهم فلو زدتنا شرحا فقال الحواس مضلة والاوهام مزلة والعقول مدلة فمن اهتدى في الاول وثبت في الثاني ادرك في الثالث ومن ادرك في الثالث فقد افلح ومن ضل في الاول وزل في الثاني خاف ومن خاف في الثالث فهو من الهمج واستزاده مطهر الكاتب البغدادي فاستعفى وكل هذا احاديث قوم اباعد سنأتي ببعض المشاكلة وما قلناه كاف فيما قصدنا فاستتب خفت العار واستحليت العار ولكل افق يد وروت عليه ومركز يطمئنون اليه وجو يتسقون فيه ونحن يقطعون منه ولولا هذه اللطائف التي هي شعلة النفوس الحادية والناقصة لكانت الصدور تنفرج باسا والعقول تتحير ياسا والارواح تزهق كمدا والاكباد تتفتت صمدا فسبحان من له هذه القدرة وهذه الخليقة وهذه الاسرار في هذه الطريقة

٩٦ مقابسة اخرى

هذه مقابسة رسمنا فيها كلمات نافعة كانت متفرقة في ديوان الحفظ ولم ينسبها الى شيخ لانها



كانت تجري في مجالس مختلفة وهذا موضع يقتضي حصول نظائر لتكون مجاورة لاخواتها وداخلة في جملة ما لاق بها وفي
النفس بعد هذا جمع النوادر للفلاسفة مع التصحيح والايضاح ان اخر الله مدة الابد واعان على اظهار ما تحدث النفس
يكون شرف الجامعة ومائدة للطاعم وغنيمة للطالب لروية تسهيل ما عسر وهو ولي الحمد في الاولى والاخرة لكل زمان قايد
ولكل طاير رايد وما كل نوم تصلح للعقبان وما كل طبيعة محتاجة الى برهان وقال الحق بين منهاجه ومنير سراجه ومعقول بيانه
ومعلوم برهانه من استضاء بسراجه افلح ومن سلك سبيله نجح قال قائل انواع الاختلاف ستة الاضافة والتضاد والقنية
والعدم والايجاب والسلب والمضاف مثل الضعف والنصف والتضاد مثل الصالح والطالح والقنية والعدم مثل البصر
والعمى والموجب والسالب مثل فلان جالس فلان ليس بجالس قال قائل لكل صانع صناعة ولكل تابع طبيعة ولكل مدبر تدبير
وما كل صانع حكيم وما كل طابع كريم وما كل مدبر مصيب ولكل انسان لسان ولكل لسان بيان وليس لكل لسان بيان ولا لكل بيان
برهان وما كل ذي قلب بلبيب وكل انسان ذو نطق وما كل ذي نطق بلبيب وكل انسان ذو نفس وما كل ذي نفس
باريب وكل انسان ذو حس وما كل ذي حس بلطيف وكل انسان ذو عقل وما كل ذي عقل بعاقل وقال اخر ما ترى هذا
الرباط المعقود والسرج المشدود والافق الممدود والمركز المعهود والمد المحدود وقال اخر التعليم الهندسي صناعة من
الصناعات العقلية والانسية وتقع بحثها على المقادير والابعاد والاشكال والزوايا وما يقع تحت كل مقدار وبحثها عن الزوايا
الخطية والسطحية والجسمية وقال الهندسة صناعة معرفة المقادير وطبايعها وحدودها وخواصها وما يقع تحتها
من اجزائها واشخاصها والمقادير هي الاشياء ذوات الابعاد وهي ثلاثة طول وعرض وعمق والمقدار الخطي بعد واحد وهو
الطول والمقدار السطحي بعدان وهما الطول والعرض والمقدار الجسمي ثلاثة ابعاد وهي الطول والعرض والعمق فالجسم
المقدار التام وقال قائل اذا غاص الانسان في البحر واستخرج درة فيها غناه فقد حاز سعادته وملك ارادته لانه
ليس من شرط الغناء ان يستخرج جميع ما في قعر البحر من الدر والجوهر فان طالب هذا مغرور وعقله مختل ولكن اذا حصل
له الغنى بدرة واحدة خاصة اذا كانت ثمينة فقد كفى واغنى وهذا معناه على ما سبق الى الفهم اي لا يلهج بالاستكثار بالعلم و
بالتوغل في فنونه وكذلك في السير المختلفة والاحوال المتباينة فان الرشد اذا اصيب والغبطة اذا اميلت والخير اذا وجد فقد
سعد المرء ونجا من العطب وان فاته وراء ذلك جميع ما هو داخل في باب الخير وموجود في ناحية الزيادة ولعمري ان الاجمال
حسن وطلب الاقصى شجاعة ولكن الغاية المتوخاة موهومة ولا سبيل الى بلوغها والذي يجب بذل الاستطاعة وقلة الرضى بالقنوع
ومصارفة الزمان بكل حال وما احسن ما يعبر بهذا المعنى بعض الموفقين حين قال انا احرص على بلوغ الغاية لعلمي
لانه لا راحة دونها وشحيح على ساعات العمر لقصر المدة لانه لا عمل بعدها وهذا كلام عال وينبغي ان يكون الحرص نقيا من الكد
والاجتهاد بريا من التعب المؤدي الى العطب وقال اخر انما انت لب في قشر فاحفظ لبك بصيانة قشرك ولا تقصر قشرك باضاعة
لبك واعلم انك ذو لب واحد وذو قشور كثيرة وتنقيتك من قشورك صعب وقيامك بلبك اصعب والامر الاهم يجب ان يتمم
هو انك تلبك قشرا بعد قشر حتى اذا وصلت الى القشر الحافظ اللب اشفقت عليه وسترته ليبقى لبك مصونا فقشرك فات
ترابك لهذا القشر باب الى التواء وجالب الى الفساد وستنقشر عنه ذلك الثاني على حسب ما يغيب من هواك وحبك واقدر
عليك وانفذ حكمه فيك و الذي نظمك وانت بدد وجمعك وانت متفرق وطولك وانت مغيب واوجدك وانت عدم واقدرك
وانت عاجز واهلك وانت ساه وانبهك وانت راقد ولاطفك وانت جاف والفك وانت متناف وقاد لك الحظ وانت
آب واتاح لك الخير وانت يابس واعلى يا هذا حظك وانت كاره وعلى هذا انظار الحصى لما يغلا تستقصى فعد

ينبغي لك بعد هذا الحجة او منطق **مقالة تسعة اخرى** هذه مقالة يسيرة استخرجناها منه واضع مختلفة في ايدينا كلام الاوائل المترجمة
المنقولة الينا هي وان كانت محتاجة في بعض معانيها الى تفصيل وشرح فانها صالحة الفوائد كثيرة الجدوى ولعلها تتعلق ببعض ما يكون
بينها في القاعدة او الرواية النظائر مما قد مرت شافية بالبيان مستوفاة بالبرهان والقليل من هذا الفن كثير والصغير كبير فاول ذلك
قال بعض الاوائل الكرم والنبات المشتبه به اذا اخذ منه الجزء نبت مثل القضيب الكرمة والتفاحة والرمانة فان هذا منه ما نبتت ومنه
ما لا ينبت الا في السلم وعلة ذلك لان صورة الكرمة وما اشبهها غالبة على صورتها فلا تنمى ولا تنبت الا بالاصل الذي يجتمع فيه القوى
الطبيعية وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة وقال ايضا النفس في العقل صورة ان يحتملها او احدها فاذا اتمت تلك
الصورة واملهما اعطتها النفس تمام ما تهيأت له فيكون اول طبقات الانفس وهي النامية ويكون في الحيوانية ولا تكون في الا نباتية
فتمام الشيء الفصل انبعث من الشيء الخالص المحض الذي لا هيولى له ان ينتسب اذ ليس للهيولى بالشيء الذي انبعث منه على قدر
احتماله تقصير له مثال حقا وصنم مشبها لطيفا من الانفس العاقلة منها وغير العاقلة وقال قائل لم كان للعقل ثلاث جهات جهته
العلوية وجهة الى معقولاته وجهة الى ذاته فقيل له ان جهته الى البارئ هي التي جعلته عقلا اولا ثم نظره اليه انما هو استمداده من الصور
التي صورت فيه بدء الامر وقع فيه جميع الصور فاستمداده ليس بزيادة صور لم يكن كانت ولكنه ليبقى ويقوى كما يستمد
الهواء من نور الشمس فهو يزداد من غير صورة تحدث فيه كذلك النفس انما تستمد من العقل الصورة هي على حالها وكذلك الطبيعة
تستمد من النفس يقوى بها ولكن اشراقها عليها يبقي قواها ولولا ذلك لضعفت وانتقصت وقال لنا علمان احدهما علم محض
كعلمنا بالاشياء الاوائل بلا روية ولا فكر كما نعلم ان علة كل زوج او فرد فانه لا يمكن ان يكون الشيء الواحد في حالين مختلفين
كالانسان لا يمكن ان يكون قائما قاعدا معا وكعلمنا ان كل متحرك من ذاته دائم الحركة وكقولنا كل دائم الحركة بجوهره دائم الحياة
ولنا علم فكري مثل علم القياس الذي يستنبط منه الشيء من شيء اخر كقولنا الانسان حي والجوهر حي فالانسان اذن جوهر وقال
قائل اذا قويت الهيولى علينا لم نقو على وجدان الذي فينا الا بطلب وبحوص وبحث وغوص فاذا استولينا نحن على الهيولى
وجدنا الشيء باهون السعي بل بالجوهر اذ كنا نحن نعقل العقل الاول وكانت الاشياء فيه وهي هو فكيف يمكن ان تذكر
الاشياء والاشياء فيها والتذكر انما يكون في ذات الاوقات لانا ننسى في وقت ونذكر في وقت اخر وهناك الدهر لا الوقت
وقال الفيلسوف الذكر انما هو حركات الفكر على الوهم الجاري حتى يرد ما في خزانته على ما كانت الفكرة تحركت به وقال
قائل الفكرة انما تقع على الشيء المفقود والعلم يقع على الشيء الموجود والاشياء في العقل الاول حاضرة ابدا وقال اذا
اردنا ان نحس بانفسنا فان نعلم العلوم الشريفة حرصنا على تعارف انفسنا الهيولانية فنكون كانا نصير خالصة بتجرد ذاتنا
فاذا رأينا ذاتنا استفدنا منها علوما شريفة وكنا نحن الناظر والمنظور اليه والعالم والمعلوم وقد قيل لارسطو لم لا نذكر العالم
العلوي ومنه هبطنا الى هذا العالم فقال انما صرنا لا نذكر العالم العلوي لانا صرنا في هذا العالم الحسي واختلطنا بالاشياء
الهيولانية وفارقنا ذلك العالم لانا لا نقدر على ان نكون هناك وفينا الطبع من الاشياء الهيولانية فصرنا كانا لم نبصرها الا مستولية
علينا وصرنا كانا انما بدينا من هذا العالم لشدة ميلنا اليه والى الاثار التي كانت منه فان هذه الاشياء الهيولانية انما هي
اثارنا وذلك ان كانت النفس هي التي اثرت الاثار الحسية بمعرفة العقل وتسديده اياها وكنا نحن العقل فلا محالة ان هذه
الاثار انما هي اثارنا واختلطنا بها كنا اذا انا مكونين وكانت الاثار من اثارنا وانما هي اثارنا لا نحن من اثارها وقال انما صرنا
لا نذكر ذلك العالم لانا قبل ان نصير في هذا العالم لم نكن اصحاب ذكر وذلك ان الاشياء هناك حاضرة ظاهرة وليس
هناك مستقبل ولا ماض بل كلها حاضرة بحضورها الان عندنا فكذلك لم نكن نحتاج الى الذكر لانا لم نكن من ابناء الزمان

بل الزمان من ابناشنا لانا كنا في حيز الدهر فحيث الدهر فليس هناك نذكر البتة دائما نحتاج الى التذكر في الاشياء الزمانية التي تكون مرة
وقت ولا تكون مرة فحيث انا هناك التذكر فاما الموضع الذي ليس للمضي فيه مساغ فليس هناك تذكر وقال ايضا الاشياء التي علمناها
لم نعلمها في وقت من الاوقات فنحتاج الى ان نذكرها بل قد علمناها بنوع الدهر لا بنوع الزمان وقال ايضا انا قبل ان
نتلطخ باوساخ الهيولي ونحن في العالم الاعلى كنا علماء ولم نكن اصحاب ذكر ولم نكن نحتاج الى ان نذكر ما قد علمنا لان الاشياء
قد علمناها حاضرة تحت ايدينا لا يغيب عنا منها شيء ولا يستتر وقال كل اثر لزمنا في هذا العالم الحسي فانه لم يلزمنا في هذا العالم
العقلي مثل النما والحس والوهم والقياس والتذكر وما اشبه هذه القوى وقال الاشياء التي لزمتنا في هذا العالم فانها لا
يلزمنا في ذلك العالم وذلك ان الذي يلزمنا هاهنا النما والحس والروية ونحن هناك لا ننمى ولا نحس ولا نروى فلذلك
لا نقدر على ان نذكر ذلك العالم لانه واقع تحت العلم لا تحت التذكر وكل شيء هناك انما يعلم ولا يذكر لان الاشيا هناك
حاضرة بحال واحدة ولم يكن وقت لم يكن ثم كانت لان كان ويكون من باب الزمان والزمان اثر من اثار ذلك العالم والاشياء التي في
العالم العقلي دائمة لا تتغير ولا تستحيل عن حالها وهي افضل واكرم من الدوام لان الدوام بها كائن دواما ولم تكن هي دائمة
الدوام وليس الدوام غيرها بل هي الدوام وذلك ان الصفة والموصوف هناك شيء واحد قيل فما حاجة النفس في العقل
الى العلة الاولى قال حاجة المعلول الى العلة فانه ليس من معلول طبيعي ولا صناعي ينقطع عن علته الا فسد وباد كالحي فانه
اذا فارقته حياته باد وفسد وكالنامي اذا فارقه النما باد وفسد وكذلك الصناعات والتجارات والبنا وقال العقل الاول يدرك
الاشيا بغتة والعقل الثاني ايضا يدركها بغتة اذا كان متصلا بالعقل الاول ولا تعوقه عند الاشيا الهيولانية فاذا انقطع احتاج ان يتوصل
بالمقاييس فيدركها شيئا بعد شيء وايضا العقل الثاني بالوهم هو الذي عليه الاقاويل والمسافات الجسمية وانما كان الوهم
ذلك لانه يقبل اثار الجسم فيجسم الاشيا ويفكر الصورة المجردة واما اذا مال الى العقل الاول اتصل به فاذا ادى اليه الوهم
الاثار التي قبلها من الحس علمها علما عقليا والقى عنها الاقاويل والمسافات وذلك انه يعلمها علما صوريا وقال للعقل النفساني
طرفان احدهما طرف الوهم والاخر الى العقل الاول فاما اذا مال الى الوهم كان فكرا وروية لا يلتبس عليه الوهم فيريد ان يتخلص
واما اذا مال الى العقل الاول كان عقلا مدركا بلا روية ولا فكر ولا زمان فالفكر انما هو للعقل الوهمي والعقل النفساني المدرك
بلا توهم ولا فكر ولا يقدر الوهم على ان يتوهم شيئا بلا شكل ولا قدر جرمي وقال الفيلسوف العقل وحده لا يموت اراد به
انه يميزه من قوى النفس النامية والحسية لان الحس والنما يضمحلان لان النفس استفادتهما من العالم الهيولاني و
اما العقل فلم يستفد من هذا العالم فكذلك بقي قال فرفوريوس وهو المفسر ان هذا المرء الفاضل قال في كتاب النفس ان
العقل النفساني اذا اتصل بالعقل الاول الخالص كان عاقلا دائما ولم يكن عاقلا مرة وغير عاقل فاذا فارق البدن كان احرى
ان تلزمه هذه الصفة ولا تفارقه واما الاخر من الحس والنما والتوهم والفكر فانها كلها تبطل مع بطلان الجسم وذلك انها
اثر النفس في الجسم فاذا بطل الجسم وفارقته النفس بطلت هذه واما العقل فليس من قبل الجرم كان ولا من قبل النفس بل
النفس كانت من اجله وصورتها وقال اخر الرسم من حيز الحلو ومن حيز المر فاما الحريف والمر والعفص الحامض وبينهما يعني
بين الحلو والمر قال ويكاد يكون عدد صور الطعوم مثل عدد صور الالوان هذه سبعة وتلك سبعة فالطعم حلاوة و
مرارة وملوحة وحرافة وعفوصة وحموضة وللالوان بياض وسواد وقتمة وخضرة واسماجوني وشقرة ولون السماء
وانكر ان تكون الصفرة منفردة فجعلها بين الشقرة والخضرة وقيل ما بال الطعم منبعث من الشكل مثلا وكذلك في الالوان
وليس كذلك في الاشكال لانه لا ضد لها فقال ان الشكل واحد منه منبعث كل شيء وهو المدور والاشكال كلها ماخوذة منه

لكثرة تزوداياه وقيل ما بال الشيء ذي الرايحة اذا لم يكن من جنس الغذا فيقال ان الدهن وما اشبهه لا ينقسم الى جنس انما الجنس واحد
والشهوة كلها تكون في ذلك الجنس فلا يحلي بجنس اخر اليه مثل التفاح فانه لا يجلب اليه حسن الطعم مع حسن الرايحة
والشهوة لطعمه بما ينقص رايحته عند الشم واذا كان الطعم وحده لا يجاذب حاسة اخرى كان اقوى له قال فاما اهل هذا فانهم
يخلطون قوة الطعم والرايحة يريدون بذلك اجتماع اللذتين فاذا كان ذلك كذلك لم يكن الشام الذايق يجلب ما يجلب الذايق
وحده ولا الشام وحده وقال الرايحة الطيبة تصحح الاعضاء وكانت الغذا ينميها وقال زعم بعض الاولين ان الجسد يكون مواتا
وهو بهيئة من الهيئات ومقدار من مقادير المزاج ثم يكون حيوانا اذا تغيرت هيئته ومزاجه وعلى بعض ضروب التغيير وضرب
مثلا فقال لم نر التوقظ من آلات الصناعات بعد الا الهيئة سوى تغيير شيء منها من الآلات ورايناها اشياء انها اذا فارقتها استحالت الى غير ما
كانت عليه كقدوم النجارة ينحت قدوما فاذا انقلبت هيئتها الى المنشار بطل النحت بها وحدث النشر بها لان ما في الحديدة
المصنوعة قدوما او منشارا امر يحس ولانه اذا زاد على مزاجها او نقص لم تكن الحديدة بالحال التي تقطع بها فلو ان يبسها اشتد
او نقصت وكذلك لو اسرف لينها لما مضت فيما تحمل عليه من الابدان فالمزاج الذي مزج بها الطبيعة الحديدة كانت الحديدة
ماضية فاجتماع قدر المزاج والهيئة تكون الاعمال للعمل وزعم ان الطبايع الاربع لما كانت بمقادير معتدلة في بدن الحيوان
المهيا بهذه الهيئة القابل للحس كان البدن حيا واذا تغير المزاج وانقلبت الهيئة كان مواتا ومنهم من زعم ان البدن
يكون على قدر المزاج وتهيئة من الهيئات ليحدث في ذلك البدن عرض تكون حياة ونفسا وضرب مثلا فقال انا لم نر شيئا مفردا من
العالم يفعل بوحدته فاذا ازاوجه غيره نتجا فعلا وذلك انا لم نر برد الحجر يهبط ولا حره ولا لونه ولا عرضه ولا طعمه ولا صعد لما
ازدوجت كان الهبوط لها فعلا قال فلم نر لا نفراد بفعل ورأينا الحيوان ركب من اشياء مفردة قلنا ان الحياة ثمرة افراد
ازدوجت وهي عرض في البدن لان العرض واقع عليها الاثر لا يكون ولا يفسد بل الافساد للموضوع فلما راينا الحياة تكون
وتبطل بلا افساد البدن جعلناها عرضا حادثا في البدن وضربوا مثلا فقالوا انما مثله في حدوثها بين الابدان كمثل الصوت
الحادث بين اليدين المتضادين او كاللون الحادث من بين يدين كالسواد الحادث من بين العفص والزاج وكغيره من
الاشياء الالوان والطعوم والاعراض الحادثة من بين الالوان المختلفة ويدينا في هذا القول الى ربنوت وهذا ظن زايف
راي مضعوف وقد سبق في صدر هذا الكتاب ما يستبان معه تاويد النفس من البدن واستقلالها بجوهرها وثباتها
بحقيقتها وانها غير محتاجة الى البدن الا اذا احدث البدن واستعملته وصرفته عن لوازمه واعراضه اللايقة به وانما النفس
ذات النطق والعلم والحكمة والبيان والفكر والاستنباط والعقل والنظر فهي اعلا واشرف من ان يكون لها الوصف
بمعونة البدن وارفاده والاسباب الحادثة بالبدن العارضة لم معروفة محصاة وليست تلك من حقيقة النفس بسبب وان كان
مجموعها هذا كله يوجد في الانسان وبالانسان ونعوذ بالله من الخبط في القول والعمل وقال اخرون البدن يستحيل من
حال الى حال فيكون مرة مواتا ومرة حيوانيا وضرب مثلا فقال لما راينا الاجسام تستحيل عن طبايعها وتستحدث انواعا
لم تكن لها كالماء السائل يستحيل جمدا فيبطل سيلانه ويستحدث جمودا وسكونا ويبسا وكالماء يستحيل بخارا صاعدا
بعد ان بدأ هابطا او كالماء يغذو ثمر الانهار ويستحيل دهنا ثم يسود الدهن نارا عند قلب اناه واغتذائها به فلما لم يكن
في طبعه من استحالته الا يستحدث فعلا وانسلخ من فعل غيره قضينا على ابدان الحيوان بالاستحالة والتكافؤ بين الموت و
الحياة والحركة والسكون فغلت الحي هو الميت مستحيلا والميت هو الحي مستحيلا وضرب مثلا فقال المثال ذلك عصير العنب
يكون عذبا حلوا غير مسكر ثم يستحيل خمرا مرا مسكرا ثم يعود خلا حامضا مخدرا والعنبة واحدة لم تبرح الا انها استحالت

فتغيرت

فتغير فاعليها التغيير حالاتها وكذلك البلحة تكون بسرة ثم رطبة ثم تمرة فهذه جملة اقاويلهم في ان النفس ليست بعين واما من زعم ان
النفس عين فانهم اختلفوا في كيفيتها وموضعها وزمانها وحركتها وسكونها وجميع افعالها فزعم منهم زاعم انها عين سوى البدن فلا تكاد
يعلم بمفارقتها البدن وزعم آخرون انها في جميع اجزاء البدن النامية وزعم آخرون انها ليست تكون الا في مواضع الحس واحتج آخرون انها
لا تعلم الا بمفارقتها الجسد وقال لو لم تر النفس تعلم الاصوات او عرفا او طعما او لونا او لمسا وهذه الاشياء الخمسة لا تقع الا في هذه الاجزاء
الخمسة البقية من البدن وهي العين والانف والاذن واللسان وساير البدن للحس فلما رأينا النفس محتاجة الى هذه الحواس الخمس قضينا
عليها بالجهل اذا كانت مفردة وحدها وقضينا لها بالعلم اذا قاربت البدن وضربوا امثالا فقالوا انما مثل النفس في حاجتها الى ما ذكرنا
كمثل النور الذي لا يرى الا على بدن لا يرى في البدن الابد وكالنافخ في المزمار لا يسمع لنفخته صوت الا بالمزمار ولا يسمع للمزمار
صوت الا بالنفخ واما الذين قالوا انها في جميع البدن فانهم قالوا لما رأينا النفس اذا فارقت البدن لا ينمي علمنا ان النفس حيث الاجزاء
النامية لذهاب النمو عند مفارقتها وضربوا مثلا فقالوا مثل ذلك مثل النار التي لا تكون الا حيث تجد غذاها فاذا فارقها غذاؤها
بطلت ولكان البدن نمو الغذاء بالنفس واما الذين قالوا لا تكون الا في الاعضاء الحسية فقالوا لما رأينا النفس لا تفارق البدن الا
ميت ولم نرها علمت الا في بعض البدن علمنا انها ليست في جميع البدن وضربوا مثلا فقالوا انما مثل اعضاء الحس للنفس كالمغناطيس
الجرار الحديد فهو افقر بين الحديد والحجر وكمثل النجار الذي لا يحتاج الى الحس لذلك ومنهم من زعم انها غير ذات موضع
تعتاض من البدن بما يشاكلها وانها اجزاء من اجزاء البدن يعلم ببعض اجزاء البدن وتفعل باجزاء اخر فزعموا انها تعلم بالعين
والصماخ والخياشيم وما اشبه ذلك مما لا يقال له ظاهر ولا باطن وزعموا انها تفعل بالمعدة والوتر والطحال والدماغ والدم و
الوتين والبلغم من الفواعل التي لا حس لها وزعموا انها تعمل وتفعل بالكبد والقلب والكليتين والعصب الذي فيه الحس والحركة و
وصفوا بها آخر عموا انها هي الروح الحارة الرطبة التي انشاتها الطبيعة من رقيق الدم الكاين في القلب المصطفى من دم الكبد المستخرج من
من تصفية الغذاء وزعموا ان هذه الروح تنبعث من القلب في عرق اجوف ذي طرفين حتى تصل الى الدماغ منتشرا في عصب الحس
والحركة واحتجوا بقول اسندوه الى بعض سادتهم وهو افلاطون حيث يقول ان في البدن ثلاثة ينابيع ولكل ينبوع جداول تفرق
ما حملت الى اقطار البدن فاحد الينابيع الثلاثة الكبد وهو ينبوع الغذاء وجداوله عروق الدم الساقية لجميع الاعضاء والاخر
والاخر القلب وهو ينبوع روح الحياة وجداوله عروق الاوراد الضوارب الناشرة لروح الحياة في جميع الاعضاء والاخر
الدماغ وهو ينبوع الحس وجداوله العصب المحسن الشامل لجميع الاعضاء الحسية وقالوا ايضا لما رأينا الطبيعة تحكم افعالها و
تفصيلها العلة ورأينا العلة غاية الفعال ورأينا غاية افعالها استيلاء لها روح الحياة لان الحياة افضل افعال الطبيعة التي
اياها عدت واليها صمدت واول فعلة فعلتها من هضمها الغذاء في المعدة واحتجوا على ذلك بان قالوا لما رأينا افضل
الافعال واكثرها واقواها الحرارة ورأينا فلك في جملة العالم في الجنس المستحيل منه الجنس النامي والجنس الحي فلما قضينا
للحرارة بشرف الفعال ورأينا الفعال اشرف افعال الطبيعة شهدنا ان روح الحياة جرم اس الحرارة وضربوا امثلا فقالوا انما
مثل النفس في البدن كالشمس في العالم المسخنة بنفسها المفيضة بخيرها على جميع العالم وزعم آخرون انها ذات موضع وتنتقل
بما يشاكلها مع غذاء البدن وانها عين سوى البدن تكون في البدن وانها علامة بنفسها متحركة ووصفوها بصفتها فقالوا
النفس نور مفرد لا حر فيه ولا برد ولا طعم ولا عرف ولا صوت وضربوا مثلا فقالوا لما لم نر الابصار تدرك الا الالوان و
الاثار بالنور علمنا ان الابصار عاجزة عن العلم بالالوان الا بافادة النور اياها ذلك العلم ولما لم يمكن الشيء ان يفيد ما ليس
من جوهره علمنا ان العلم من جوهر النور فلما رأينا العلم من جوهر النور علمنا انه معلول واحد والمعلول الواحد لا يكون من علتين

متضادتين كالحر لا يكون من النار والثلج فلما صح هذا عندنا علمنا ان النفس ليست بجوهر النور فقضينا على النفس والنور
بالموافقة وانهما من جنس واحد قلنا ورأينا الآذان لا تدرك الاصوات الا بالهواء الموصل للاصوات اليها لا منحتر ولم نر الهواء
اوصل ذلك الا برقته ومفارقته للشبيهين انه لنوره وصفائه قالوا وكذلك رأينا الخياشيم لا تدرك الاعراف الا بالهواء ورأينا
اللسان المدرك للطعوم لا يدركها الا بالرطوبة واللين المشبهين لرطوبة الهواء ولينه قالوا ثم رأينا الحاسة تلمس الحر والبرد في الهواء
والماء ورقيق الابدان وان غليظ الابدان مستغلق على ما فيه محسوس لا يظهر ضده الا الارق من الابدان بما يجيء فيظهر كما شه
الى الحس قالوا فلما رأينا الاشياء الموصلة متفقة على صفة واحدة من الرقة واللين التي في صفة النور قضينا للنور بجميع وجوه ايصال
المحسوس الى الحس وجعلناه سبب العلم ومفيده ومستفيده فقلنا النفس النور فضربوا امثلة قالوا مثلها مثل السراج المنير
عن نفسه المنير من غيره المفيد للعلم لغيره وكذلك النفس حيث كانت عالمة بما افادت العلم قد حوت ابقاك الله هذه المقالة
ضروبا من الكلام في النفس مختلفة ومؤتلفة وانت انما عنيت بما سبق في الكتاب وبما يتلوه ايضا في الثاني تغنيت عن الاكثار الذي
ربما صد عن تحقيق المرام والكلام كله بين زيادة وربما جلبت الفساد وفتحت بابا الى الشك وبين نقصان ربما جلبت الاشكال و
طريقا الى اللبس هذا اذا كان المتكلم عليه من باب الجلي ومن فن الواضح فكيف اذا كان في الغامض الخفي اللطيف المحتجب وهذا
اقتصاد مني وتحفظ واستشعار للمراقبة والتيقظ فقل من استرسل وخطب مطنبا واجيب بما يأتي به مستحسنا الا دخل عليه
ما يثلمه ويكسره وغلب على خطئه ما يتأدى به ويشينه وحين الكلام في الواضح الجلي ان يكون لطيفا ليستجمع الى السامع ما يربط من اجله و
الغامض الخفي ان تكون مكشوفا لينحو السامع منه ما غاب بعضه ولا ابرهما الا انه ما قيت المعاني تارة بسوء التاليف وتارة بالاكثار وتارة
بالتعريض دخلها الخلل ولم يبلغ المحصل بها على ما قد ثبت رايه وساق نظره وسعيه اليه على انى اعلن ركاب الخطيب مصقع وكل بليغ
وكل باحث متوغل وكل طالب مترفق انه الامر في النفس بحث من شانها ان يعيا ويحصر ويقصر فان المطلوب في هذا الامر صعب
والغاية بعيدة والشوط بطيء والعجز شامل والناصر مفقود والمتناصر مرتفع والقوة محدودة والقائم زائل الذرو المنتهى حيرة
واذا كان النظر في النفس على ما اصف مع روادف لا اتى بتسطيرها في هذا المكان فكيف الكلام في العقل وهو البحر العميق والمعنى
الذي هو فوق ذلك ابين فكيف الكلام في العلة الاولى وهو الذي كان اليه القصد وعليه وقف العمل ومن اجله يحل غيب هذا الامر واشتغل
بارقة هذه الجبال وصبر على اثار الكون والفساد وترقى في سلاليم الغرور والخطر وتجرع كل كأس هي امر من الصاب والصبر ونفذ في
الاتصال بالباري ودقة البحث ولطف النظر وبعد رتبة العقل التدنا الكلام عليه وطرب على الخبر عنه وبعد محاسن النفس عن العشق
وبذل الصوت وجرد السعي ويتلى عن كل الف وكيف لا يكون الكلام في هذه المعاني صعبا والبحث شديدا والقوة عاجزة ولو انا
لو اوردنا اثار الطبيعة في عرصة الكون والفساد من هذه الرتبة المكاثرة للابصار بعد استنفاذ قواها المستمدة للاذهان بقدر
استيفاء ما فيها لم تستطع ذلك ولم تقدر عليه نعم ولو كان كل من هو في مشكل ظهيرا لك ونظيرا معك وكان ابو سليمان اذا راى
بعض اصحابه يتشدد في هذه الوجوه قال له يا هذا ارفق في الاستقصاء وتوقر اكتف من هذا المطلوب بما يجاد به عليك وفيما ونما
اليك ولا تعنف فالعنف محرمة وعليك بالرفق فانه سحر النفس والشاعر يقول والدر يقطعه جفاء الحالب وقد والله صدق وقال
الحق ان طلب ما لا ينقاد لك لتدبيره مثل ما لا ينقاد لحسبك عنه شقاء وما لا ترويجيه تضييع زمان وامارة تعب واحتمال خسف
اختراع اسف النفس حاطك الله قوة شريفة الهيئة بهية واصلت ابناء الطبيعة على قدر قوابلهم بجود العقل الذي له الرتبة
الاولى بقلبه ما الدمنا الفيض من العلة الاولى على مراتب ابناء الطبيعة مختلفة اختلافا لا نهاية له وكل قد نال شيئا فلا ما ناله بعرفه
وطلبه وما حرمه لا بايثاره وكرهه ولكن هكذا كان وعلى هذا بان فليكن الرضى واقعا بحسب الموجود فذلك الموجود به عليك

واعلم ان الصورة التي هي محيطة من الاول الى الآخر شايعة بين الطرفين لا بينونة هناك ولا فصل ولا حيلولة ولا نقص فكيف
يكون مع هذا النعت شيء عن شيء او سوى شيء او شيء دون شيء او شيء فوق شيء او شيء على شيء او شيء مع شيء او شيء في شيء و
انما ثبت هذه الاسماء بالنظر الثاني لهذه الفلك مواصلة لآثارها ومواصلة لقوابل آثارها وعلى الحالين كان الاختلاف و
الايتلاف والتباين والتراسل والتفرق والتجمع والجيئة والذهاب والروح والصلاح والعظم واللطف والكبير والصغير
وجميع ما يجري الى هذا الجانب ويجري هذا المثال في بلاد القوابل لا في بلاد الفواعل فيسلك بحسب هذين الجنسين طريقك
وشربك البارقة ولطفك فانك تجد المواد التي من شانها ان تنفعل على مراتب الانفعال وتجد الصور التي من شانها ان
تفعل على مراتب الفعل وتعلم ان الاعتبار تارة يفرد بالصورة وتارة بالمواد وان ما تركب منهما وبينهما واستبد بهما و
استند اليهما هو في مضمون ذلك الاعتبار وفي حوزة ذلك النظر وان الشك ان قدح والغلط ان سنح فانما هو من اضافة
شيء الى غير شكله او تحليته بغير ما هو لايق وقد طال القول والمدى في هذه المواضع فان كان لك سمع فاطرب في ترنح
وخذ وجد واعدل واعقل واسلم واقدم وانعم وارق وابق وان كان بك صمم فاعطف على بابك وسل عن دوائك
فليس يحسن بالاخرس ان يفتري على من يتم والسلام **مقابسة اخرى** حضرت القومسي ابا بكر المتفلسف وكتب
لنصر الدولة عامين وكان كثير الفضل فقيل له هل يجوز ان يكون في اثبات الناس المعاد والمنقلب اصطلاحا منهم ومواطاة من
وعقلائهم في بدء الناس في سالف الزمان ثم الف الناس ذلك وهتفوا بحضرته ولهجوا بذكره مع تاكيد الشرائع وتاييد الكتب
الناطقة به فقال المعاد اثبت في انفس الناس وارسخ في عقولهم واعلق باذهانهم من ان يكون اصله راجعا الى التواطؤ و
التشاعر ومردودا الى الاصطلاح والتمادي وهذا الذي يهجس في نفس قائل وعقل مغرور قول رذل من خلط فاسد و
مزاج مائف وهلا وقع الاصطلاح على رفضه وابطاله وانه لا حقيقة له ولا دليل عليه ولم ترد الكتب باحالته وبقيته ومن
الظنون منه ومنع الخلق اعتقاد صحته ولم يعرض في ابطاله الوثوق الايمان بمآرب ومراد وبغية وسبب والناس من جهة الحواس
والشهوات وحب العاجلة ونيل اللذة اكثر نظرا واقوى وانفذ عزما واشد انقيادا واسرع ارتكابا واتقن احتقابا واحسن
سماعا واقرب نزاعا ولكن العقولة ذلك ظاهرا او دعت الى اثبات الثواب والعقاب في الثاني دعوة مشهورة متصلة
على اختلاف لغات اربابها وتباين اشارات المخبرين بها ولم تكن هذه الدعوة عن قسر وتمويه ولا حيلة ولا مكيدة وتحقيق
وايضاح وبينة وافصاح وكيف يسع عاقلا ان يظن ان الناس على ما هم عليه في دياناتهم ونحلهم وعاداتهم وممارستهم
تقاديرهم وتظالمهم مع الاستطاعة الحاضرة والتكاليف اللازم ومعرفة الاصلح والافسد والاحسن والاقبح يفنون و
يبيدون ويهلكون عن حال باقية بها يحسن المحسن ويثاب المسيء فيعرف المتقي هذا ما لا يجوز بجوازه عقل وان
قيس ولا يلين له قياد وان استميل ولا يانس به وهم وان استكره وانما يتحرك عند هذا الظن من ضاق حجمه وقل
علمه ونبا سماعه وفهمه وفسد حسه ومزاجه وجعل نفسه مصبا لكل ريح ومغيضا لكل سخف وامتاز للحاجات فاما
الناظر في انباء الامور الداعي احاديث الزمان الفاحص عن السرائر الطالب لظاهر الاحوال وباطنها فانه بريء بنفسه
عن مجنة هذا الرأي والقلادة هذا العقد ويشتمل على ما نطقت به الكتب القديمة وتضمنت الاسفار الصحيحة واتت
به الشرائع الصادقة وبنيت عليه الاذهان الجلية وشهدت له الفطرة السليمة ودعت اليه العقول الراجحة وهذا
وان تمادت في الاحداث الاعمار وغلب على من لا خبرة له بما يأتي به الليل والنهار فاما من له رغبة في حياطة دينه وهمة
في معرفة الغامض الواضح من نفسه وعالمه وبحث عن المراشد والمصالح في الظاهر والباطن ونظر في السياسة الالهية

٩٨

الانسية وخير البرية والمصلى لبصير بذلك المتوكل عليه فقد حماه الله غايلة هذا الرأي وكفاه مؤنة هذا الخطر وجعله في الاعليين في حظيرة القدس وحضرة الانس حيث لا عبث ولا ثقل ولا فراغ ولا شغل ولا هجر ولا وصل ولا ذنب ولا عذر



مقابسة اخرى سمعت بعض مشايخنا ببغداد وغالب ظني انه نظيف الرومي يقول العالم من حيث هو كاين فاسد ومن حيث هو فاسد كاين فلذلك نظمه بلد وبدد ونظم ومتصله منفصل ومفصوله متصل وعقله موسوم وموسومه عقل وتيقظه رقاد ورقاده يقظة وغناه فقر وفقره غنا وحياته موت وموته حياة قال فلا الليل هاهنا مثلا ينزع الى الحس ضرورة ويعترف به العقل اضطرارا انظر الى الشيء نظرا شافيا وتاملها تاملا بليغا وجل في افاقها بعقلك ونظرك مليا وتقر صورها استقراء تاما فانك تجد نجومها منتثرة متساقطة كان سلكها قد وهي ونظمها قد انخرط على هذا ادراك الحس وسابق العيان وشهادة النظر وظاهر الخبر والاثر ثم انك لا تستثبت بعد امعان النظر وانعام الفحص ومواصلة البحث ان تجدها متسقة اتساقا ومتفقة اتفاقا وموزونة وزنا ومعدلة تعديلا ومنظومة نظما ومعباة تعبية ومزينة بحلي زينة ومحلاة بحلي حلية حتى يقضي اختيارا واضطرارا وانتهارا وانقيادا انها زالت عن حالتها المعروفة وحالت عن صورتها المألوفة باقل من ثقال ذرة او هباة ترى تهافت اصله وبطل بعضه وكله واضمحل خفيفه وثقيله وباركثيفه ولطيفه واضطرب اوله واخره واختل محيطه ومركزه وهذا لان الحس حس قضى في الاول قضاء بما في الطبيعة من الخلل والنقص والتلون وقديما قيل الحس حاكم مونس وساع مفسد ومتوسط عياب وقاض خصم ودليل سوء ومشاطة مشوطة وموضع لا يشفي ناقد مدلس وخاطر ملفق وصديق متملق ومعلم مضل ومقوم مزل وناصح مزور ومرشد معز وجار مخاتل وشريك سروق ووافد كذاب لا مقنع به ولا مفزع اليه ولا خير فيه ولا معول عليه فاما العقل فانه يقضي بانتظامه ود وامه وسلامته وصحته وثباته واتصاله والتيامه وذلك لان العقل عفيف وقاض عدل وصديق مشفق ووالد حدب وجار محسن وشريك ناصح وهاد صدوق وصاحب مؤنس وخطيب محقق وزاد مبلغ وملاح مفهم ومحادث مطرب وجليس فكه ونور شايع وضياء ساطع وقول فصل وركن وثيق وجوهر شريف وعود منيف ونقطة متصلة وذات مقدسة وخير محض ووجود بحت من ذا يقدر على مدحه وتقريظه ونشر خصايصه وتحصيله فضايله الوجود الحق من الموجود الحق له الحكم الفصل من الحكيم العدل واتما اوحى هذا الشيخ الى المعنى ايماء خفيا اتسعت عندهذا الذي نراه ونقراوه والعلم ظاهر لنا فلهذا تركوا اهل البذل وتريد على الانفاق وثمرته حلوة وعوده ناضر وسلطانه قوي وعزه اقعس وذروته عالية من تحلى به ظهرت عليه جلالته واستقامت له عادته ومن تعرى عنه بخست قيمته وبانت عورته



مقابسة اخرى سئل ابا سليمان يوما الطبيب المعروف بفيروز فلان ملأ العين والنفس ما معناه فقال الغير وزلا ادري فان شئت ان تتصدق علينا بفايدة فان زكاة العلم واجب على ربه من زكاة المال على صاحبه فقال ابو سليمان هذا سهل جدا وما احب ان يقال لنا فانه يدل منك على عجز قد محاه الله عنك وعلى ملق قد رفع الله منه قدرك فقال فيروز ما احوجني الى ان املك رضاك باتباع امرك وابلغ ارادتك فيما يشرفني بالطاعة وما اتفضل الا للعلم ولا اتملق الا لاهله وليس بعد هذه المراجعة المحمودة الا اسعافنا بما في طي المسئلة فقال معنى قولهم فلان ملأ العين والنفس اي جمع بين النظر المقبول بالعين اعنا نظر اليه وبين المخبر المحمود بالنسان اذا اشرف عليه وكان هذا لان جمهور الناس بالفرق بين الشخص والنفس فان اسعد هما اذا لا يسم الاخر لما لا نسان بهما واذا اخطاه احدهما كان نقصه من جهته واذا لم يكن من النقص بد ولان يكون من قبيل ما للعين اولى اعني ان يكون لانسان ملأ النفس اذا لم يكن ملأ العين لانه اذا كان ملأ النفس ولم يكن ملأ العين كان



روحاً لطيفاً ودقيقاً ولو كان ملأ العين غير ملأ النفس كان بدناً كله كثافة وغلظاً ولو كان احدهما نصيبه من الهيولى اكثر والآخر
قسمه من الصورة اوفر لما انتقلنا كان الكمال المطلوب وانما قيل فى اللغة العربية هذا ملأ هذا اى ملاؤه ومنه الملاوة ومنه
الملأ والملاء والملاوة والاشتقاق معروف ولا يدفعه الا ضعيف فقال فيروز يمين الله عليك ايها السيد فوالله ما نجد شفاء
لداء الجهل الا عندك ولا نظفر بقوت النفس الا على لسانك ولا نعلم يقيناً الا بحسن تعريفك اذا افاتحناك ولا نجد ظلماً
بانفسنا الا اذا ابعدنا عن مجلسك ولو كانت هذه الفائدة عندنا بعينها متى لنا ان ناتى بها على هذه الطراوة والحسن امتع الله
الارواح برويتك والعقول بهذا نيتك فقال ابو سليمان سمع الله منك واجاب مثله فيك فما اعلقنى بمودتك وما اوثقنى
بمروتك جزاك الله خيراً **مقابسة اخرى** قال ابو القسيم عيسى بن على بن عيسى ليس فى الدنيا خصلة يحسن 101
الانسان فيها الى نفسه ويحمد عليها الا العلم وما يدخل معه كالصبر والكظم والتغافل والاغضاء فاما الخصال البواقى فان
الانسان يحمد بها اذا احسن الى غيره او شكره فى ذلك الاحسان غيره اكرمك الله وابقاك انما بعثنى على رواية كل ما
سمعته من هولاء الجلة الا فاضل فى عشقى لهم وحمدى لله تعالى على ما اتاح منهم فلا يقران هذا الفصل ثم يقول ويا قوم هذا من
الغاية فان درجات الحكمة مختلفة ولكل كلمة قائل ولكل قول واع ولكل عمل عامل ولكل عامل راع وهذا الشيخ ممن قد
اعلا الله كعبه فى علم الاوائل ووفر حظه من الحكمة المبثوثة فى هذا العالم وفيما قال حث على حسن معرفة فضل الحكمة وفى معرفة فضل
الانهماك على اكتسابه والاستكثار منه فان الحكمة سكينة الالهية وحلية ملكية وقنية عقلية وقد اطلقها الناموس الحق على الله عز وجل
فما ظنك بما يبعث رب العالمين وخالق الخلائق اجمعين ثم يرتبه بشر خلق من الماء والطين وابرز لعيون الناظرين تبارك
الله رب العالمين **مقابسة اخرى** قال بعض اصحابنا كل شئ اجوزه من آثار النفس فانى اجوزه فى اليقظة وكل شئ اجوزه 102
فى اليقظة اجوزه فى المنام الا التركيبات لان النفس تخترع بها امورا لا تستجيب لمواد لها فاما انما اعنى بما اجوزه الانذارات
والاطلاعات وقوة الكهانة وما اشبه ذلك وهذا الذى قاله هذا الشيخ يحتاج الى شرح ولعمرى للنفس هذه القوة وهى لها
بالحق والواجب ولكن البيان عن كون ذلك على التحقيق بالفعل عزيز ولعل الزمان يتسهل فيمكن التحلف عليه بما يزيله شرحاً او
وضوحاً ان شاء الله عز وجل وعلى ذلك فانى اقول فى هذه الحال ما تعين من الحق الذى اياه نقصد وفى طلبه نسعى ونجد و
ارجوان لا يكون هذا الاعتزام والتحرى يتناقض بعد ذلك الاستعفا والتلافى وليس ينبغى لنا ان نجترى على العلم متجاوزين
فى طلبه فنقول ما لا يفى به ولا يحسن بنا ان نبخل بما وهبه الله تعالى لنا وفتحه علينا فنتوهمت انا مقصرون فيه وكما ان
اظهار التشيع مع اخفاء الجود قبيح فكذلك اظهار التفاخر مع كتمان القدرة قبيح الخير ابدا بين الطرفين والوسط
مطلوب كل ذى عقل وعين فاذا لا باس ان يكون ذلك العطف على ما سبق من قول هذا الفيلسوف فى هذه المقابسة ضعفاً وهو
هذا فيكون هذا اقل افدنا بمبلغ علمنا ووكلنا المستفيد منا فى الزيادة منها الى غيرنا ممن قد رفع الله درجته علينا وجعله
المحسن الينا اعلم ان الحال التى قد وضعت للفرق بين النوم واليقظة وهى التى يتحلى الانسان بقوة احديهما تنشرح للامور
قد سبقه باعيانها وجواهرها واعراضها وامور اهى مشهورة فى الآن على ما هى عليه من حقايقها وزخارفها وامور اهى على الدثار
فى التالى من اوقاتها وهذا الاجمال والشرح يستفاد ان من جهتين احديهما هى الهيئة الحاصلة للشخص فى السنخ والاصل الذى
يتفقان بالقسمة السماوية والقوى العلوية والاخرى هى الهيئة الحاصلة للشخص فى الفرع والثانى بالروية النفسية والقوى
الفكرية وهاتان الهيئتان انما يختلفان فى النظر الطبيعى والا فالاتفاق واقع بالنظر العقلى والاول الالهى فعلى هذا الافرق
بين اليقظة والنوم ما دام الحكم يصدر من صاحبها على اطلاع النفس وراحة الليل والقبض لسبب ابق وهذه حال الهامنا

كثيرة الى القوة والضعف والشدة واللين والعمود المنصوب وبحسب ذلك يصح الانذار ويصدق الزجر ويحق الكهانة و
انما لم يقع الحال في هذا الموضع لان النظر كان موصولاً بالامور المجردة والمباحث الصافية والحقايق المثمرة المسكون والثقة
فاما ما اتصل بالتركيب فان النفس تفعل قوتها بتبلغ امنافها وضروب الاسبيل الى وقوع شيء منها من القوة الى الفعل لسر الطبع
وعدم اعيانها لان الطبيعة لا تليها ولا تعطف عليها وانما يقف الطبيعة عنها لان النفس لا يأذن لها في توليها ولا تلقي اليها اما تيلها ورسومها
والنفس ايضاً في هذا تتشبه بالعقل فما لم تجد منه لم تجد به وما انفذت عنه لا تحبس ما تطلبه والجود وان كان في الغاية والنهاية فان قال
قايل الجود لا يعدو طوره ولا يجوز طوقه ولا تتطاول الى ما ليس له فقد تيسر الان ما تراه من ايضاح ما قال هذا الشيخ في تجويزه في المنام
جميع ما تجوزه في اليقظة الا التركيب لان التركيب وجد في الطبيعة في قايل وفي اثار النفس ايضاً تركيب ولكن الاهي لا ترى التجاوز
في العدد والتباغض والتكعيب والتثليث انما هو من فنون التركيب ولكن بنوع خارج من اثار الطبيعة في المواد المنقادة حتى
اذا علوت من هذه الربوة الى اللوايق بالعقل وجدت هناك امورا يضعف عنها وصف اللسان ووصف البيان ولهذا الفعل
خصوصية ليس بعدها سعي ولا دونها رضى جعلنا الله واياك من صفوته ببجوده وتقدمته

مقابسة اخرى

قلت
لعيسى بن زرعة ابي علي وابن عبد ان الطبيب حاضر انا شديد الحرص على معرفة شيء قد طال تخالجه في صدري مع مواصلة
مسئلتي عنه وحسن استفهامي له فيه فقال ما هو فقلت اريد ان اعلم ان الاشياء التي نجدها بالحس والعقل كلها اتبعت العلل
والعلل للاشياء فقال لي من اين ثارت عليك هذه المسئلة فقلت رايت جالينوس في منافع الاعضاء يذكر اموراً يكشف دقايق
وينثر عجايب وينشر حكماً جليلة ولعمري ان ما خلا فضلك الكتاب وتاله واستنبطه يكاد يكون عن وحي والهام فضلاً
عن غير ذلك فمما انزع الى هذا البحث اني رايته يصف العين ويذكر مكانها من الانسان وانها كالربيئة للطليعة وما دانا عنه
وجرى معروف فذكر ايضاً الاحتياط في العين لكثرة افات هذا احاصة فقيل لم وجدت احدى العينين في نقرة القفا والاخرى
في وسط الجبهة لامكن ان يتم لجعلنا احدى العينين من خلف ليكون وقاية وحراسة مما يكون هناك ويحدث ويذكر الضرر الذي يعرض
من تلك الجهة فكانك ايها الحكيم لما وجدت هذه الامور على ما نظمت به وعنيت اثرت منها هذه الاعراض من المعاني بفضل عقلك
وقوة بيانك ولطف اشارتك فكان الاشياء تابعة للعلل على هذا والمتبع بمقالتك يقتضي ان العلل تابعة للاشيا ليس الاشياء
تابعة للعلل بدليل ما ضربنا من المثل لانك هكذا وجدتها فعلى ما وجدتها بينتها ولو وجدتها على غير ما هي عليه لكانت
استنباطك على ما كنت تجدها عليه بفضل فحصك واستقرائك فعلى هذا علك التي شرحتها وحكمك التي استخرجتها تابعة لا موجبة
فقال في جواب ذلك ما احكيه على تصوري عنه وكان ابن عبدان الطبيب ينصر ما يقوله ويرتضيه ولقد اضطرب على كثير مما
قال اعلم في اول الجواب ان المسالة غوصا وانها معروفة عند الاوايل وقد اوسعوا فيها الكلام كثيرا في الكتب معروفة و
اقول في هذا المكان ما يكون مقنعا ان لم يكن كافيا ان الاشياء التي من شانها ان تكون معلولة هي تابعة لا محالة لعللها وان
اختلفت سبلها في اتباعها كما اختلفت احوالها في كونها وفسادها والعلة ما دامت علة فانها تقتضي شيئا خاصا والشيء قضى
ما دام مقتضيا فانه يتبع علته الخاصة به وهي مع ذلك موجودة معًا لا على معنى القران ولكن على معنى الوجوب فقد
العقل مرتبة التابع دون مرتبة المتبوع ودرجة المتبوع فوق درجة التابع والعلل بنظر ما على ضربين علل موضوعة و
علل مصنوعة والصناعة منقلبة للموضوع لان الوضع هو بالطبيعة في الاول فاذا صحت هذه العبرة انكشف ان الاشيا
كلها عللها ومعلولاتها على وتيرة واحدة وسنن واحد في الوجود من العقل وان كانت موسومة بالتركيب بالعقل
فالاشيا تابعة لعللها ما دامت العلل عللا لها والعلة مستتبعة الاشيا ما دامت تابعة لها والاتصال بين العلل والمعلول

اتصال